التسهيل لعلوم التنزيل

لابن جزي وفتح القدير للشوكاني

من بداية الجزء الثاني والعشرين إلى نهاية الجزء الرابع والعشرين

دراسة تحليلية مقارنة

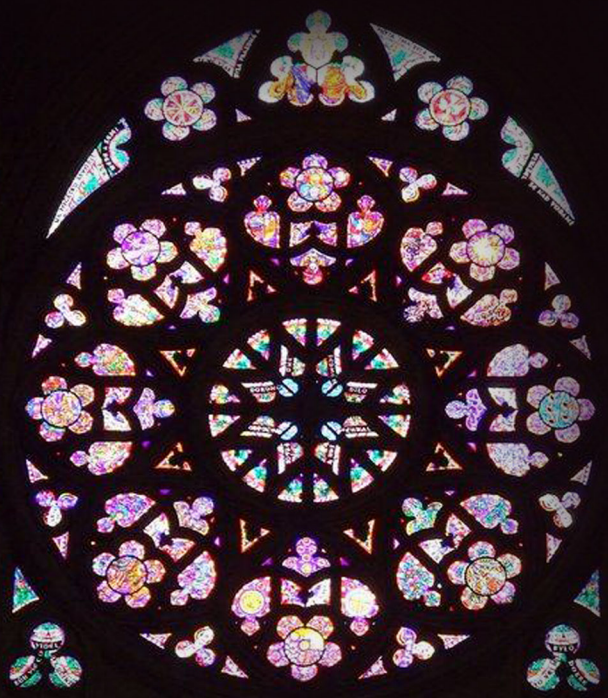

د. إيهاب عبده محمد حيدرة باقي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

كلية الدراسات العليا

دائرة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

شعبة التفسير وعلوم القرآن

التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ، وفتح القدير للشوكاني

(من بداية الجزء الثاني والعشرين إلى نهاية الجزء الرابع والعشرين)

(دراسة تحليلية مقارنة)

أطروحة مقدمة لنيل درجة التخصص العليا الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب

إيهاب عبده محمد حيدرة باقي

إشراف الدكتور

حمزة حسن سليمان

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، [الأحزاب: ٥٦]

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإهداء

إلى من عشت بقلبها وأبصرت بعينها.

إلى من رافقني طيفها بكل كلمة من هذا البحث.

لروحك الطاهرة الزكية أيتها الحبيبة.

والدتي: **رقية عبد الله ناصر**، رحمها الله.

إلى من أرهق نفسه باسم الثغر من أجلي.

إلى من علمني الصمود رغم الصعاب.

والدي: **عبده محمد حيدرة**. حفظه الله وأطال عمره.

إلى أهل بيتي الطيبين: إخواني وأخواتي وأعمامي وأخوالي الأعزاء، وأخص منهم خالي محمد عبدالله الذي لم يضن علي بكل ما احتاجه.

وإلى زوجتي الوفية أم محمد، التي طالما وقفت بجانبي أثناء دراستي للماجستير والدكتوراه، وأثناء كتابتي لهذا البحث، وضحّت بالكثير من أجل راحتي وتفرغي للكتابة.

إلى فلذات كبدي، وريحانة قلبي ولديَّ: رقية ومحمد جعلهما الله ذخراً لدينه.

إلى فضيلة الشيخ الدكتور: أبو محمود محمد زكريا محمود صاري الحلبي الشافعي.

وإلى أصدقائي الأعزاء الذين لم يحرموني من دعواتهم.

أهدي بحثي، راجيا من الله سبحانه القبول، وأسأله العفو والغفران.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أشكر الله سبحانه على نعمه التي لا تحصى، فهو الذي رزقني الوقت، والصحة والعافية، ووفقني لإتمام هذا الرسالة، فله الحمد أولاً وآخراً.

وبعد شكر الله سبحانه يطيب لي أن أتوجه بالشكر، والتقدير، والعرفان إلى كل من أَسْدَى لي عوناً في هذا البحث _ من دكاترة ومشايخ وزملاء_ وعلى رأسهم أعضاء اللجنة المناقشة، رئيس اللجنة العميد الأستاذ الدكتور: الطيب محمود عبدالقادر، ومشرفي فضيلة الأستاذ الدكتور: حمزة حسن سليمان الذي أولاني كل اهتمام ورعاية وملاحظات وتوجيهات، والمناقش الأستاذ الدكتور: قاسم بشرى حميدان، والمناقش الأستاذ الدكتور: حيدر محمد سليمان جزاهم الله خير الجزاء.

ثم الشكر لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ولمجلس أمنائها الكرام ولعمادة الدراسات العليا، وأخص منهم بالذكر شعبة التفسير وعلوم القرآن، والأساتذة الكرام.

كما لا يفوتني أن أشكر كل أبناء جمهورية السودان الشقيقة، الذين عرفناهم بالأخلاق الفاضلة ورقي التعامل وطيب الأسلوب.

فجزى الله الجميع عني خير الجزاء، والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: "التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ، وفتح القدير للشوكاني (من بداية الجزء الثاني والعشرين إلى نهاية الجزء الرابع والعشرين" دراسة موضوعية تحليلية مقارنة.

تكون البحث من مقدمة تضمنت: أهمية الموضوع وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكلة البحث.

وبعد الدراسة في تفسيري الإمامين ابن جزي والشوكاني- من سورة الأحزاب إلى سورة فصلت- دراسة تحليلية موضوعية مقارنة، سعى الباحث من خلال الدراسة إلى إبراز جهود عَلَمين من علماء المسلمين، بالتعريف بهما: من حيث النسب والمولد والنشأة والمكانة العلمية والمذهب والعقيدة، ومعرفة الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية.

وبيان قيمة تفسيرهما واهتمام العلماء بهما، وبيان المنهج الذي اعتمده كل من المفسرين ومصادرهما.

كانت السمة الغالبة لتفسيرهما التفسير بالمأثور، ثم التفسير بالرأي، إلا أن ابن جزي سمة تفسيره الاختصار، لكنه على صغر الحجم واختصار العبارة إلا أنه قد حوى دراً نفيسة، ربما تغنيك عن كثير من المطولات في بعض الأحيان.

يهتم ابن جزي والشوكاني باللغة وعلوم القرآن والقراءات وتوجيهها والأحاديث والآثار؛ إلا أن الشوكاني يستطرد في ذلك كثيراً.

لم يذكر ابن جزي علم المناسبات في مقدمته، لكن تكلم عن بعض المناسبات في أثناء تفسيره لبعض السور، أما الشوكاني أنكر علم المناسبات والتكلف فيه، فنفى أن يكون شيئاً من المناسبات في القرآن، ثم لم يلبث أن أتى به، فكأنه يثبته كعلم وينكر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبالغة فيه.

وكانت قراءة ابن جزي قراءة نافع، وقراءة الشوكاني برواية قالون عن نافع.

تكلم الإمامان عن أسباب النزول والنسخ والمحكم والمتشابه، فيرى ابن جزي أن من المتشابه آيات الصفات، ويرى الشوكاني أن من المتشابه الأحرف المقطعة.

وتكلم الإمامان عن آيات العقائد وآيات الأحكام الفقهية من العبادات والمعاملات، فكان مذهب ابن جزي مالكي لكنه لا يتعصب لمذهبه، وكان الشوكاني لا يتقيد بمذهب معين، فيرجح ما توصل إليه اجتهاده.

وتكلم رحمهما الله تعالى عن الآيات الكونية وآيات القصص والأمثال، وبيانها وأثرها في تدبر معاني القرآن وأخذ العبرة والعظة فيها، والتزما بعدم الخوض في الاسرائيليات، وتصريحهما في عدة مواضع عن ذلك لعدم صحتها؛ لكن لم يف ابن جزي بشرطه الذي اشترطه على نفسه في مقدمته، بل انتقد بعض المفسرين الذين أكثروا من القصص الاسرائيلية إلا أنه وقع في شيء من ذلك كما في قصة داود عليه السلام وغيره، أما الشوكاني فكان يمتاز عن ابن جزي بقلة الإسرائيليات بل لا تكاد توجد فيه إلا للرد عليها، فكان يقف موقف الناقد الحصيف العارف يضع الأمور في مواضعها، فكان الشوكاني أشد المفسرين انتقاداً للاسرائيليات.

والحمدلله الذي بحمده ونعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم، كتاب الله ووحيه المنزل على عبده الأمي، خاتم النبيين والمرسلين وسيد الخلق أجمعين محمد ﷺ، وهو الصراط المستقيم والحبل المتين، الذي ارتضاه الله لعباده، وأمرهم بتطبيق أوامره، وتنفيذ أحكامه، وجعله هداية للمسترشدين، ومعيناً للمستعينين، ونوراً للمستبصرين، وإن الرفعة والعزة التي نالها السلفُ الصالح، وذلت لهم رقابُ العرب والعجم، إنما كانت بسبب تمسُّكِهم الحقيقي بكتاب الله تعالى.

وبسبب ما اعتور لغة العرب من خلط وحل بها من غربة عن الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم فقد شق على كثير من المسلمين فهم معاني كلمات القرآن الكريم فاحتاجوا إلى البيان والتوضيح، لذا كان لزاماً على علماء الأمة أن يبسطوا المعنى ويقربوه للأذهان ليتمكن المسلم من فهم القرآن وتدبره.

وما يزال علماء الإسلام على مر الزمان يتعاقبون على العناية بالكتاب العزيز، تدريساً وتفسيراً وشرحاً وبياناً، فألفوا فيه المؤلفات التي حوت مختلف الفنون، وصل بعضها إلى عشرات المجلدات، مما شجعني للكتابة في علم التفسير مقارناً بين مفسرين عظيمين هما الإمام ابن جزي والإمام الشوكاني فاخترت أن يكون العنوان: **(التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ، وفتح القدير للشوكاني (من بداية الجزء الثاني والعشرين إلى نهاية الجزء الرابع والعشرين)** دراسة تحليلية مقارنة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أهمية الموضوع تبرز بالنقاط التالية:

- يعتبر هذا العمل من قبيل خدمة كتاب الله تعالى.
- علم التفسير من أعظم العلوم وأشرفها لتعلقه في فهم كلام الله تعالى.
- حاجة أبناء الأمة إلى تقريب هذا التراث الوفير في مجال التفسير وعلوم القرآن، ليكون عوناً لهم في فهم مراد ربهم والسير إليه سبحانه وتعالى على بصيرة.
- الحاجة لمعرفة منهج الإمامين الجليلين في التفسير وإبرازه، ليكون عوناً لطلاب العلم المتخصصين في مجال التفسير وعلوم القرآن.

أهداف البحث:

- رغبتي الخوض في غمار علم التفسير وفهم كلام الله، من خلال الاطلاع على مناهج المفسرين ومصادرهم في التفسير .
- التعريف بالمكانة العلمية للإمامين الجليلين المفسرين.
- التعريف بالمكانة العلمية للتفسيرين .
- المقارنة بين التفسيرين حول الآيات موضوع الدراسة.
- الحصول على درجة الدكتوراه في مجال علم التفسير.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي لم أجد من كتب في المقارنة بين هذين التفسيرين، وأطروحتي جزء من مشروع تبنته دائرة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية شعبة التفسير وعلوم القرآن في جامعة القرآن الكريم، فكان نصيبي منه أجزاء ثلاثة فقط، من بداية الجزء الثاني والعشرين إلى نهاية الجزء الرابع والعشرين.

وبالبحث وجدت أن عدداً من الباحثين كتبوا عن هذين العَلمين العظيمين الإمام ابن جزي و الإمام الشوكاني وعن بعض مؤلفاتهما –كل بمفرده – دراسات

علمية مفيدة أبانوا فيهما عن عظمة هذين العالمين ومكانتهما بين العلماء، وتمكنهما في شتى العلوم.

ومن الدراسات العلمية للإمام ابن جزي:

١_ ابن جزي ومنهجه في التفسير: تأليف: علي محمد الزبيري رحمه الله دراسة مسهبة عن الإمام ابن جزي، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٣٩٨هـ.

٢_ ابن جزي الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي: تأليف: سليمان أبي الريش،رسالة دكتوراه في كلية الشريعة والقانون لجامعة الأزهر، مصر، ١٣٩٥هـ.

٣_ الإمام ابن جزي وجهوده في التفسير: تأليف: عبدالحميد محمد ندا، رسالة ماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين بالأزهر، مصر، ١٤٠٠هـ.

٤_ ابن جزي ومنهجه في التفسير: تأليف: فراس يحيى الهيتي، رسالة ماجستير في جامعة صدام للعلوم الإسلامية، بغداد، ١٩٩٥م.

٥_ ترجيحات واختيارات ابن جزي الكلبي في تفسيره، وهي عدة رسائل لمشروع مقسم على طلاب الماجستير والدكتوراه في جامعة أم القرى بالسعودية .

٦_ علوم القرآن عند الإمام ابن جزي الكلبي وأثرها على تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل تأليف: طارق الفارس رسالة الدكتوراه في جامعة أم القرى، مكة، ١٤٣٤هـ.

ومن الرسائل العلمية للإمام الشوكاني:

١- الإمام الشوكاني مفسراً: تأليف: محمد بن حسن الغماري، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة،١٤٠٠هـ.

٢- منهج الإمام الشوكاني في العقيدة: تأليف: عبدالله تومسوك، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية،١٤١٢هـ.

٣- الاتجاه الفقهي في تفسير الإمام الشوكاني: تأليف: علوية مصطفى عثمان،

رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠٠٥م.

٤- اختيارات الإمام الشوكاني في القضاء والشهادة، تأليف: عالي محمد القرني، رسالة دكتوراه، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ٢٠١٣م.

٥- ترجيحات الشوكاني في تفسيره من سورة الكهف إلى سورة فاطر، تأليف: شكري شفيق مصطفى الأخضر، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، مصر، ٢٠٠٨م.

٦- اختيارات الإمام الشوكاني الفقهية على ضوء كتابيه: نيل الأوطار والسيل الجرار: تأليف: صالح بن عبدالله الضبياني، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، وغيرها .

منهج البحث:

اعتمدت على المنهج الاستقرائي التحليلي والموضوعي حيث سيقوم بتتبع الآيات من بداية الجزء الثاني والعشرين إلى نهاية الجزء الرابع والعشرين، ودارسة ما فيها حسب التفصيل الوارد في تقسيم البحث.

سرت في البحث وفق المنهج التالي:

١- جمعت مادة البحث من كتب التفسير وعلوم القرآن والكتب التي لها علاقة بالدراسة.

٢- دراسة الآيات القرآنية للأجزاء الثلاثة من خلال تفسير الإمامين ثم أستخلص منها: علوم القرآن، وآيات العقائد، وآيات الأحكام، وآيات القصص والأمثال، والآيات الكونية.

٣- وضعت عناوين مناسبة لكل مسألة.

٤- توضيح المسألة وشرحها بإيجاز من كتب التفسير.

٥- ذكر أقوال المفسرين وأدلتهم في كل مسألة، ثم الترجيح .

٦- عزوت الآيات الكريمات إلى سورها ورقم الآية.

٧- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها المعتمدة، فإن كان في الصحيحين أسندت إليهما أو إلى أحدهما؛ لأن الأمة قد تلقتهما بالقبول وأجمعت على صحتهما، وإن كان الحديث في غيرهما أحلته إلى مصادره ثم أبحث في بيان حكمه، وقد أكتفي بمصدر أو مصدرين مكتفياً في ذلك بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث.

٨- الترجمة للأعلام المغمورين الواردة أسماؤهم في البحث.

٩- عرفت بما رأيته يحتاج إلى تعريف من الألفاظ الغريبة والمصطلحات.

١٠- ختمت البحث بخلاصة موجزة مع ذكر النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

١١- وضعت فهارس تفصيلية للبحث تيسيراً للمراجعة والاستفادة منها، وهي كالتالي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

هيكلة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وفهارس، على النحو التالي:

الفصل الأول: التعريف بالإمامين ابن جزي والشوكاني، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جزي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإمام ابن جزي، وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: اسمه ونسبه ومولده.

المسألة الثانية: نشأته وطلبه للعلم.

المسألة الثالثة: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المسألة الرابعة: مكانته العلمية.

المسألة الخامسة: شيوخه وتلاميذه.

المسألة السادسة: مؤلفاته ووفاته.

المطلب الثاني: عصر المؤلف، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: الحالة السياسية.

المسألة الثانية: الحالة الاجتماعية.

المسألة الثالثة: الحالة العلمية.

المطلب الثالث: التعريف بتفسير ابن جزي، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالكتاب وقيمته العلمية.

المسألة الثانية: منهجه في التفسير.

المسألة الثالثة: مصادره في التفسير.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام الشوكاني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الشوكاني، وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: اسمه ونسبه ومولده.

المسألة الثانية: نشأته وطلبه للعلم.

المسألة الثالثة: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المسألة الرابعة: مكانته العلمية.

المسألة الخامسة: شيوخه وتلاميذه.

المسألة السادسة: مؤلفاته ووفاته.

المطلب الثاني: عصر المؤلف، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: الحالة السياسية.

المسألة الثانية: الحالة الاجتماعية.

المسألة الثالثة: الحالة العلمية.

المطلب الثالث: التعريف بتفسير الشوكاني، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالكتاب وقيمته العلمية.

المسألة الثانية: منهجه في التفسير.

المسألة الثالثة: مصادره في التفسير.

الفصل الثاني: مقارنة بين التفسيرين في علوم القرآن، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أسباب النزول، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف أسباب النزول.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المبحث الثاني: علم المناسبات، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المناسبات.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المبحث الثالث: القراءات، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القراءات.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المبحث الرابع: الناسخ والمنسوخ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الناسخ والمنسوخ.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المبحث الخامس: المحكم والمتشابه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المحكم والمتشابه.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

الفصل الثالث: مقارنة بين التفسيرين في آيات العقائد، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بآيات العقيدة.

المبحث الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب.

المطلب الرابع: الإيمان بالرسل.

المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المطلب السادس: الإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل الرابع: مقارنة بين التفسيرين في آيات الأحكام الفقهية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بآيات الأحكام الفقهية.

المبحث الثاني: أحكام العبادات.

المبحث الثالث: أحكام المعاملات.

الفصل الخامس: مقارنة بين التفسيرين في الآيات الكونية وآيات القصص والأمثال ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآيات الكونية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالآيات الكونية.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المبحث الثاني: آيات القصص، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بآيات القصص.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المبحث الثالث: آيات الأمثال، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بآيات الأمثال.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتحتوي على التالي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

الفصل الأول: التعريف بالإمامين ابن جزي والشوكاني، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جزي.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام الشوكاني.

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جزي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإمام ابن جزي.

المطلب الثاني: عصر المؤلف.

المطلب الثالث: التعريف بتفسير ابن جزي.

المطلب الأول: التعريف بالإمام ابن جزي، وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: اسمه ونسبه ومولده.

المسألة الثانية: نشأته وطلبه للعلم.

المسألة الثالثة: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المسألة الرابعة: مكانته العلمية.

المسألة الخامسة: شيوخه وتلاميذه.

المسألة السادسة: مؤلفاته ووفاته.

المسألة الأولى: اسمه ونسبه ومولده.

اسمه ونسبه:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَيّ الكَلْبي الغرناطي الأندلسي المالكي[1]، كان يعرف بـ ابن جزي، وأما بيت ابن جزي فقد كان بيتاً كبيراً مشهوراً بالمغرب والأندلس.

كنيته ولقبه: أبو القاسم[2].

الكَلْبي: منسوب الى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، تنسب إليه جماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فاتفق جميع المترجمين للإمام أنه من العرب الأقحاح، حيث نسبته إلى قبيلة بني كلب التي يرجع

---

(1) طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي، تحقيق علي محمد عمر، (٨٥/٢)، مركز تحقيق التراث بدار الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

(2) الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله الأندلسي، المعروف لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبدالله عنان، (٢٠/٣)، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م. – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، (٥/ ٥١٤، وما بعدها)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م. – طبقات المفسرين، الداوودي، (١٠١/١). – الديباج المُذهب في معرفة أعيان المذهب، القاضي إبراهيم بن نور الدين، المعروف ابن فرحون، تحقيق محمد الأحمدي، (٢٧٤/٢-٢٧٦)، دار التراث العربي، القاهرة، بدون طبعة. – معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، (٦٢٥/٣)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م . – الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، (٣٢٥/٥)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

نسبها إلى حِمْيَر[١].

الغرناطي: نسبة إلى غرناطة[٢] لأنه ولد فيها.

إلا أن أسرة ابن جزي تنقلت في عدة مدن بالأندلس، ثم استقرت أسرته بغرناطة[٣].

ويرجع أصل نسب ابن جزي إلى وَلْمَة إحدى حصون الواقعة في منطقة البشرات الجبلية، حيث نزل بها أولهم عند الفتح، وكانت لجدهم بمدينة جَيّان[٤]، رئاسة وانفراد وتدبير[٥].

---

(١) اسم قبيلة من اليمن، ومن هذه القبيلة الصحابي دحية الكلبي، والصحابي زيد بن حارثة، جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد، المعروف ابن حزم، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، (ص٤٥٥)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة.

(٢) تقع غرناطة في جنوب إسبانيا؛ جنوب العاصمة الحالية مدريد.

(٣) ابن جزي ومنهجه في التفسير، دراسة مسهبة عن الإمام المفسر ابن جزي، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره، التسهيل، علي محمد الزبيري، (١/ ١٤٨)، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

(٤) حصن ولمة جنوب غرب إشبيلية، وقيل: ثغر ولبة بدلاً من ولمة.

ومدينة جيان: بالفتح ثم تشديد وآخره نون، هي مكورة كبيرة تجمع قرى، تقع في قلب الأندلس المسلمة. – معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، (٣٨٤/٥)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

(٥) الإحاطة، ابن الخطيب، (٣/ ٢٠).

مولده:

اتفق علماء النسب على أن مولد ابن جزي يوم الخميس تاسع ربيع الثاني من سنة ثلاث وتسعين وستمائة هجرية ٦٩٣ هـ في مدينة غرناطة التي كانت حاضرة مملكة الأندلس[١].

(١) نفح الطيب، المقري، (٥/ ٥١٤، وما بعدها). – الإحاطة، ابن الخطيب، (٢٣/٣).

المسألة الثانية: نشأته وطلبه للعلم.

نشأ ابن جزي وتربى في حجر والده ورضع من معينه أول رضعات العلم والسماع، فقد كان بيته بيت حسب نبيل وفقه وعلم مشهود في الأندلس، الأمر الذي كان له أثره الواضح في تكوين شخصيته العلمية[1].

ونشأ في غرناطة التي كانت حاضرة الأندلس، وقبلة علماء المغرب، وتعلم العلم منذ صغره؛ لأنه كان من بيت عريق في العلم والأصالة، والنبل والمجد، وكانت البيئة العلمية لها أثر في عكوفه للعلم منذ صغره، فنشأ متضلعاً في شتى العلوم المختلفة كالقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والأصول، وأصول الدين، كما كان شاعراً أديباً، مشتغلاً بالعلم تحصيلاً وتأليفاً، وبالعمل حتى بلغ الغاية القصوى في العلم والعمل[2].

([1]) ابن جزي ومنهجه في التفسير، الزبيري، (١/١٤٥).

([2]) الإحاطة، ابن الخطيب، (٣/٢٣).

المسألة الثالثة: عقيدته ومذهبه الفقهي.

أولاً: عقيدته:

إن سلامة المعتقد هي من أولى المهمات التي يسعى إليها كل مسلم، وهو مطالب بها، كيف لا والله تعالى قد قضى وحكم أنه لا يقبل عملا إلا بالتوحيد، فالتمسك بعقيدة التوحيد والدفاع عنها هي سبيل النجاة لكل إنسان.

وقد قُدّر للإمام ابن جزي الاستقامة والسلامة في العقيدة، فكانت عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة؛ فهو الذي شهد له المؤرخون على حفظه وسعة باله في العلوم الشرعية عامة، وفي التفسير خاصة.

فقد نهج منهج السلف الصالح في تقرير الأمور العقدية، والرد على من خالف عقيدة التوحيد من أهل الكتاب أو من الفرق المخالفة كالمرجئة والمعتزلة وأهل الكلام والفلسفة.

ومن أمثلة رده على اليهود والنصارى ومشركي العرب عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ الإخلاص: ٣، قال ابن جزي: (وهذا رد على كل من جعل لله ولداً، فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٠، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله..)[1].

ورد على الفرق المخالفة عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥﴾ الليل: ١٥، قال ابن جزي رحمه الله: (استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝١٦﴾ الليل: ١٦.

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، (١٧٦٧/٤)، دار الضياء، الكويت، طبعة الأولى، ٢٠١٣م.

وتأولها الناس بثلاثة أوجه:

أحدها:أن المعنى لا يصلاها صلي خلود.

والآخر: أنه أراد نارا مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بالأشقى كافرا معينا وهو أبو جهل وأمية بن خلف، وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصديق، فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم)[1].

وقد تكلم رحمه الله في مقدمة كتابه التسهيل عن الزمخشري وذم مذهب المعتزلة حيث قال: (ومما بين أيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم الزمخشري ...، فمسدد النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان؛ إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة ونصرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه، فخذ منه ما صفا، ودع ما كدر)[2].

وابن جزي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل، وكتابه قوانين الأحكام الشرعية فقد كان يُبين مذهب السلف، ويجنح إلى آرائهم.

لقد نهج ابن جزي منهج السلف الصالح في تقرير الكثير من الأمور العقدية، ويتضح ذلك في موقفه من المسائل التالية:

١. **الرؤية.**

٢. **خلق الأفعال.**

٣. **ثبوت الشفاعة.**

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (٤/١٧٢٢- ١٧٢٣)

(٢) التسهيل، ابن جزي، (١/٩١).

٤. **خلق الجنة والنار**[١].

وأما منهجه في الأسماء والصفات فقد أثبت معظم الصفات، وبين فيها مذهب السلف، و كان رحمه الله تارة يميل إلى التأويل[٢]، وتارة يميل إلى الإثبات[٣]، وتارة يجنح للتفويض[٤]، ويسمي آيات الصفات بالمتشابهات أو المشكلات، غير أن ميله إلى طريقة الإثبات أكثر؛ فهو بالجملة ينحو منحى السلف الصالح من إمرار الصفات كما وردت من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تأويل، ولا تعطيل.

ثانياً: مذهبه الفقهي:

يعتبر ابن جزي من أعيان الفقه المالكي ومن منظري هذا المذهب ومرجعاً من مراجعه، حيث اعتنى بتقرير مذهب الإمام مالك والاستدلال له وبذكر الخلاف الموجود فيه، وكتابه (قوانين الأحكام الشرعية) خير شاهد على ذلك؛ حيث إن مادته هي الفقه المقارن، وهو كتاب مشهورعند علماء المالكية.

---

(١) التسهيل، ابن جزي،(١٦٣٦/٤)و(١٢٤٣/٣)و(٣١٢/١-٣١٣)و(٢٠١/١-٢٠٢).

(٢) وهي قليلة انظر مثلاً تفسيره عند قوله تعالى:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤، وقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح: ١٠، وقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الفاتحة: ٣،وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن: ٢٧، وقوله:﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ الزمر: ٦٧، وهذا لا يمثل رأيه ومنهجه الحقيقي الذي ذكره وسلكه في ثنايا مؤلفاته.

(٣) انظرمثلاً تفسيره عند قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة: ٢٦، وقوله:﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ الزمر: ٧، وقوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة: ٢٣، وقوله:﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤.

(٤) انظر مثلاً في تفسيرسورة الأعراف عند قوله تعالى:﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الأعراف: ٥٤، فالسلف يعلمون معنى الاستواء، وينفون العلم بالكيفية وهو الذي قصده الإمام مالك رحمه الله، وانظرقوله:﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الفجر: ٢٢.

قال رحمه الله في مقدمة كتابه قوانين الإحكام الشرعية فهذا كتاب قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية على مذهب إمام المدينة أبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه إذ هو الذي اختاره أهل بلادنا بالأندلس وسائر المغرب[1].

وقال في موضع آخر: (وإذا قلنا المذهب فنعني مذهب مالك)[2].

فكان اختيار ابن جزي للمذهب المالكي باعتباره المذهب السائد آنذاك في الأندلس، وبحكم العلماء الذين تلقى عنهم، ودرس عليهم الفقه.

وعند مقارنة الأقوال بين المذاهب الفقهية الأخرى نجد ابن جزي رحمه الله يتطرق إلى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم، ولم يكن رحمه الله متعصبا لمذهب الإمام مالك، قال رحمه الله: (ثم زدنا إلى ذلك التنبيه على كثير من الاتفاق والاختلاف الذي بين الإمام المسمى وبين الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي والإمام أبي حنيفة النعمان ابن ثابت والإمام أبي عبدالله بن حنبل لتكمل بذلك الفائدة ويعظم الانتفاع فإن هؤلاء الأربعة هم قدوة المسلمين في أقطار الأرض وأولو الأتباع والأشياع وربما نبهت على مذهب غيرهم من أئمة المسلمين كسفيان الثوري والحسن البصري وعبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وأبي ثور والنخعي وداوود بن علي إمام الظاهرية وقد أكثرنا من نقل مذهبه والليث بن سعد وسعيد بن المسيب والأوزاعي وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين فإن كل واحد منهم مجتهد في دين الله ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله)[3].

---

(1) القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، ابن جزي ، تحقيق محمد بن سيدي مولاي، (ص٥٠)، طبع في وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.

(2) القوانين الفقهية، ابن جزي ، (ص٥٤).

(3) القوانين الفقهية، ابن جزي ، (ص٥٠-٥٢).

وكان في تفسيره كثيراً ما يذكر رأي الإمام مالك، ولكنه لا يتعصب إليه ولو كان مالكياً ؛ بل يسير مع الدليل الأقوى ولو على غير مذهبه.

ومما يدل على عدم تعصبه للمذهب، قال رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ....٥﴾ البينة: ٥، ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾،استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء، وهو بعيد)[1].

وخلاصة القول إن الإمام ابن جزي كان على عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان بالفقه على مذهب الإمام مالك.

([1]) التسهيل، ابن جزي، (٤/١٧٤٠-١٧٤١).

المسألة الرابعة: مكانته العلمية.

كان الإمام ابن جزي نابغة زمانه في مختلف العلوم الإسلامية، فله الإمامة في التفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول واللغة والكلام، كان عالماً متواضعاً عاكفاً على العلم والإفتاء والجهاد والتدريس على صغر سنه.

لقد كان عالماً فذاً، مشاركاً في فنون العربية والأصول والقراءات والحديث والأدب، مستوعباً لأقوال المفسرين، كما كان قائماً على التدريس والخطابة بالمسجد الأعظم بغرناطة على حداثة سنه[1].

ولقد كان معتكفاً على العلم مشتغلاً بالنظر والتقييد والتدوين.

فكان الإمام والخطيب والمدرس والقاضي، إلا أنه اعتذر تورعاً واحتياطاً.

وكان ينظم الشعر في الزهد والمديح النبوي والفخر وغيرها.

ومن نماذج شعره في مدح النبي ﷺ قوله:

أروم امتداح المصطفى ويردني قصوري عن إدراك لكل المناقب

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب[2].

([1]) ابن جزي ومنهجه في التفسير، الزبيري، (١/١٩٦).

([2]) الإحاطة، ابن الخطيب، (٢/٢٠-٢٣).

المسألة الخامسة: شيوخه وتلاميذه.

شيوخه: لقد أخذ عن جملة من العلماء منهم:

١_ أحمد بن إبراهيم بن الزبير، الثقفي، الغرناطي، أبو جعفر، المتوفى سنة ٧٠٨هـ من مواليد جيان- نحويّ، مؤرخ، محدث، واشتهر خصوصاً بكونه مفسّراً، كما أنّ له مشاركه في الفقه وأصوله وفي أصول الدين. ذكره ابن جزي في مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل ضمن أعلام المفسرين، وقال عنه:ثم خُتِم علمُ القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطة في علمه وقوّة في فهمه، وله فيه تحقيق ونظر دقيق. وقد اقتبس من تفسيره ملاك التأويل في عدّة مواضع من التسهيل[١]. ويبدو أنه كان يُكِنُّ له إجلالاً بالغاً وتقديراً كبيراً ينمّان عن مرتبته، فهو لا يذكره إلاّ مسبوقاً بعبارة: شيخنا الأستاذ.

ومن تلاميذ أبي جعفر بن الزبير: أبو حيّان، صاحب البحرالمحيط، وقد قال عنه: كان محدّث الأندلس بل المغرب في زمانه، من مصنفاته: مَلاك التأويل في المتشابه من اللفظ والتأويل، والبرهان في ترتيب سور القرآن، وسبيل الرشاد في فضل الجهاد، وصلة الصلة البشكوالية، و ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل، في الردّ على الشوذيّة[٢].[٣]

٢_ محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رُشَيْد الفهري، الغرناطي، أبو عبد الله: المتوفى سنة،٧٢١هـ، من مواليد سبتة.

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (٩١/١).

(٢) الشوذيَّة: مؤسسها أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بـ(الحلوي) توفي على مع مطلع القرن السابع الهجري في تلمسان، وفي الشوذية تخرج ابن سبعين.

(٣) التسهيل، ابن جزي، (١٨٨/١)، – طبقات المفسرين، الداوودي، (١/ ٢٧٠).

قدِم إلى غرناطة سنة ٦٩٢ حيث تولى الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم، ثم انتقل إلى فاس سنة ٧٠٨ وبها قضى آخر أيّامه، كان محدّثاً، فقيهاً، مقرئاً، نحوياً، خطيبا، من مصنفاته: ملء العيبة، فيما جُمع بطول الغيبة، في الوجهتين الكريمتين إلى مكّة وطيبة، المعروف بالرحلة المشرقية، وترجمان التراجم، لم يكمله، وتلخيص القوانين في النحو، وإفادة النصيح في رواية الصحيح، وإيضاح المذهب فيمن يُطلق عليه اسم الصاحب، وإماطة الأذيّة الناشئة عن سباطة الشوذية[١].

٣_ قاسم بن عبدالله بن محمد بن الشاط، أبو القاسم، المتوفى سنة ٧٢٣ هـ، من مواليد سبتة، فقيه وأديب ولغويّ من الطراز الأوّل – ويبدو أنّ ابن جزي رحل إليه إلى سبتة لتلقّي العلم عنه، لأن ابن فرحون يشير إلى أنّ ابن النشّاط أمضى عمره في التدريس بها.

من مصنفاته: أنوار البروق في تعقُّب مسائل القواعد والفروق وغنية الرائض في علم الفرائض وتحرير الجواب في توفير الثواب[٢].

٤ـ محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي، المعروف بابن الكمَّاد أبو عبد الله، المتوفى سنة ٧١٢ هـ: كان مقرئاً ومحدثاً وفقيهاً وشاعراً. من مصنفاته: الممتع في تهذيب المقنع في القراءات، والمقنع من تصنيف أبي عمرو الدَّاني[٣].

٥_ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن بُرْطال أبو عبد الله المتوفى: ٧٠٩ : قال عنه لسان الدين بن الخطيب: شيخ القضاة وبقيّة المجتهدين وهو والد أبي جعفر بن بُرْطال ت: ٧٥٠، أحد قضاة غرناطة وإمام مسجدها الأعظم، والذي ترجم له

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (٦٠/٣).

(٢) التسهيل، ابن جزي، (٢٥٩/٤) .

(٣) الديباج، ابن فرحون، (٢٧٩/٢) .

صاحب الإحاطة ملمّحاً إلى قصر باعه في مجال العلم[1].
وسمع ابن جزي من مشايخ عدّة، منهم: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذِّن، وأبو زكريا البرشاني، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري.

أمَّا تلاميذه:

لقد كانت جلالة المكانة العلمية لابن جزي وغزارة علمه سبباً في اتساع عدد تلاميذه حيث تخرج عليه الكثير من العلماء والأدباء والقضاة والكتاب ومن هؤلاء[2]:

١- محمد بن عبدالله المعروف بلسان الدين بن الخطيب الغرناطي أبو عبدالله المتوفى سنة ٧٧٦هـ صاحب كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة.

٢. عبدالحق بن محمد بن عطية المتوفى سنة ٧٧٠هـ.

٣. محمد بن الخشاب أبو القاسم المتوفى سنة ٧٧٤هـ.

٤. عبدالمهيمن الحضرمي أبو محمد المتوفى سنة ٧٤٩هـ، صاحب الفهرسة.

٥- محمد بن القاسم الأنصاري المعروف بـ الشُّديِّد أبو عبدالله المتوفى سنة ٧٧٦هـ.

---

(١) الإحاطة، ابن الخطيب، (١٧٩/١)، – نفح الطيب، التلمساني، (٤٤٩/٣) .

(٢) الإحاطة، ابن الخطيب، (٥٣٩/٣)و(١٩٦/٣)، ابن جزي ومنهجه في التفسير، الزبيري، (٢١١/١).

المسألة السادسة: مؤلفاته ووفاته.

مؤلفاته:

ألف ابن جزي رحمه الله الكثير في فنون شتى منها ما هو مخطوط قد طبع، ومنها ما هو مفقود، ومن تلك الكتب نذكر البعض:

_ التسهيل لعلوم التنزيل، وهو كتاب تفسير للقرآن[١].

_ القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية[٢].

_ تقريب الوصول إلى علم الأصول[٣].

_ النور المبين في قواعد عقائد الدين[٤].

_ أصول القرّاء الستة غير نافع، في القراءات[٥].

– الأنوارالسَّنيَّة في الكلمات السُّنِّيَّة، كتاب مختصر في الأحاديث النبوية[٦].

_ وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم[٧].

---

(١) طبقات المفسرين، الداوودي، (٢/٨١).

(٢) الديباج، ابن فرحون، (٢/٢٧٥).

(٣) الديباج، ابن فرحون، (٢/٢٧٥).

(٤) الديباج، ابن فرحون، (٢/٢٧٥).

(٥) الديباج، ابن فرحون، (٢/٢٧٥).

(٦) الإحاطة، الخطيب، (٣/٢١).

(٧) الإحاطة، الخطيب، (٣/٢١).

_ الفوائد العامَّة في لحن العامَّة، في اللغة وغيرها[1].

وفي تنوع هذه المصنفات وكثرتها دلالة واضحة على غزارة علم ابن جزي الكلبي، وتمكنه من أدواته، رحمه الله رحمة واسعة.

وفاته:

توفي – رحمه الله – شهيداً؛ نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، اتفاق الباحثون على تحديد وفاته في يوم الاثنين تاسع جمادى الأولى من عام ٧٤١ هـ وهو يحرّض الناس على الجهاد في معركة طريف[2]_ وقد وقعت هذه المعركة بين جيش المسلمين وجيش النصارى بقيادة ألفونْس الحادي عشر ملك قشتالة.

وسببها أنّ السلطان المريني أبا الحسين علي بن عثمان بن يعقوب توجّه إلى الأندلس للجهاد ضدّ النصارى، فالتحق به جيش بني الأحمر في عدد يفوق الستّمائة ألف، ولكن الهزيمة حلت بالمسلمين، واستولى النصارى على الجزيرة الخضراء.

وقد استشهد في هذه المعركة عددٌ من أعيان الأندلس، منهم والد لسان الدين بن الخطيب: عبد الله بن سعيد.

لقد فُقد رحمه الله وهو يشحذ هِمم الناس، ويحرضهم ويثبت بصائرهم، وكان هذا هو آخر العهد به، لقد حفظ لنا صاحب نيل الابتهاج نصّاً تاريخياً هامّاً يتعلق باستشهاد ابن جزي نقله عن فهرسة الحضرمي، أحد تلاميذ ابن جزي، جاء فيه: قال الفقيه المحدث الوزيرأبو بكر بن ذي الوزارتين ابن الحكيم: (أنشدني ـ يقصد ابن جزي، يوم الوقيعة من آخر شعره قوله:

---

(1) الإحاطة، الخطيب، (٣/٢١).

(2) طريف أو طريفة: مدينة في جنوب إسبانيا (الأندلس) تقع على الساحل من بحر المحيط، قبال مضيق جبل طارق، سميت باسم أول قائد عربي وهو: طريف بن مالك، الذي غزا إسبانيا بأمر موسى بن نصير.– الإحاطة، الخطيب، (٣/٢١).

قصدي مؤمل في جهري وإسراري ... ومطلبي من إلهي الواحد الباري

شهادةٌ في سبيلِ اللهِ خالصةٌ ... تمحو ذنوبي وتُنجيني من النار

إن المعاصي رجسٌ لا يُطَهّرُها ... إلا الصَّوارمُ في أيْمانِ كُفَّارِ

ثم قال:(في هذا اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات، وهكذا صدق الله ابن جزي، فصدقه وانتقل إلى جوار ربه بموكب الشهداء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأكرمهم وآواهم، وفي هذه المعركة استشهد العديد من علماء الأندلس وأعيانهم، كما استشهد العديد من علماء المغرب وأعيانه)[1].

ولقد خلف ابن جزي وراءه في هذه الدنيا ثلاثة من الأولاد النجباء ممن تولى القضاء والكتابة وهم:

١. أحمد بن محمد بن جزي أبو بكر المتوفى سنة ٧٨٥ هـ.

٢. محمد بن محمد بن جزي أبو عبدالله المتوفى سنة ٧٥٧ هـ.

٣. عبدالله بن محمد بن جزي أبو محمد.

---

(1) ابن جزي ومنهجه في التفسير، الزبيري، (١/١٦٩-١٧٠).

المطلب الثاني: عصر المؤلف، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: الحالة السياسية.

المسألة الثانية: الحالة الاجتماعية.

المسألة الثالثة: الحالة العلمية.

المسألة الأولى: الحالة السياسية.

كان مولد ابن جزي رحمه الله سنة ٦٩٣هـ، يوافق عهد ثاني ملوك بني الأحمر بغرناطة وهو محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر، الملقب بالفقيه لاشتغاله بالفقه زمن صباه، وقد عاش ابن جزي ثماني وأربعين سنة حتى استشهد في عهد سابع ملوك بني الأحمر بغرناطة أبو الحجاج يوسف الأحمر، عاصر بذلك ستة من ملوك غرناطة، اتسمت تلك الفترة بالجهاد والفتوحات[١].

وقد شهدت تلك الفترة عداء بين مملكتي غرناطة بالأندلس وبنى مرين بالمغرب الأقصى، لم تنته إلا بتولي العرش الغرناطي السلطان أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر، الذي أحيا عهد الجهاد واستنجد ببنى مرين على النصارى أعداء الدين، واستطاع هذا الملك أن يقصم ظهر الجيوش النصرانية بقيادة خمسة وعشرين ملكاً وأميراً كبيراً، وبجيوش ضمت الأسبان والفرنسيين والإنجليز، فهزموا شر هزيمة[٢].

وأما آخر الملوك الغرناطيين الذين أدركهم ابن جزي فهو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر الذي دخلت غرناطة بعهده عصراً ذهبياً، حيث أنشأت المدارس والمصانع، وبنيت الحصون.

ووقعت في عهده المعركة المعروفة بـ (وقعة طريف) سنة ٧٤١ هـ، وفيها فقد ابن جزي شهيدا في سبيل الله.

---

(١) الإحاطة، الخطيب، (١/٥٥٤-٥٦٦).

(٢) الإحاطة، الخطيب، (١/٣٧٧).

المسألة الثانية: الحالة الاجتماعية.

منذ أن نشأت مملكة غرناطة سنة ٦٣٥ هـ على يد ابن الأحمر في أقصى جنوب جزيرة الأندلس وهي تنعم بحالة من الرخاء الاقتصادي بسبب فشو تجارتها وقوة صناعتها وجودة زراعتها حتى عمت المجتمع الغرناطي حالة من الترف لم يخفف من حدته سوى صيحات الجهاد وأنات الاستشهاد التي كانت تعلو بين الفينة والأخرى نتيجة للعدوان النصراني المتواصل على مابقي من أراض في حوزة المسلمين.

وكانت مملكة غرناطة جغرافيا أصغر من دول نصرانية كبيرة كقشتالة وأرجوان في الشمال والبرتغال في الغرب، فكانت بحالة متوجسة ومستعدة من جيرانها المحيطين بها.

وكان مجتمع غرناطة مكونا من العرب والبربر المدجنين، وهم المسلمون الذين سكنوا لفترة طويلة في مملكتي قشتالة وأراغون ـ وهناك الأفارقة السود الذين رافقوا الجيش الإسلامي بالفتوحات عبر المغرب إلى أندلس.

وكان عدد سكان غرناطة في ازدياد كبير بسبب المهاجرين إليها من مسلمي بلنسية ومرسية وجيان وإشبيلية وقرطبة وغيرها من أماكن الأندلس المحتلة.

وكان المسلمون في غرناطة على صلة وثيقة بأحكام الشرع، يحرصون على تطبيقها، بحماس وغَيْرة في نصرة الإسلام وأهله على أعدائهم، بسبب كثرة الحروب مع نصارى الأندلس جعلت بقلوب المسلمين الحمية جيلا بعد جيل، وأدركوا أن بقاءهم في تلك البلاد رهن ببقاء الإسلام والتزام أحكامه[1].

([1]) الإحاطة، الخطيب، (٢/١٤٠).

المسألة الثالثة: الحالة العلمية.

لقد كانت الأندلس منذ افتتاحها وإلى خروج المسلمين منها اضطراراً بعد ثمانية قرون مركزاً للعلم والحضارة باعتراف أعدائها قبل أصدقائها، وكان العالم وأهل العلم معظمين بغرناطة من الخاصة والعامة، وكان أهل العلم يتلقون العلوم في المساجد في حلقات أو في منازل المشايخ[1].

وقد جعل أهل غرناطة القرآن الكريم أساساً في التعلم، وأخذوا يدرسون بجانبه الشعر وقوانين العربية وتجويد الخط ؛ حتى صار حسن الخط ميزة يجب توفرها عند طلاب العلم والعلماء.

ولقد تميزت غرناطة في عهد بني نصر في امتلاك المكتبات الخاصة، وكانت الرحلة إلى المشرق هي غاية الأمل لكل طالب علم مما جعل تفوق الغرناطيين على المغاربة بسبب رحلة علمائهم إلى تلقيه من أربابه في المشرق[2].

([1]) نفح الطيب، المقري، (٢٠٥/١).

([2]) الإحاطة، الخطيب، (٢٧٩/٢).

المطلب الثالث: التعريف بتفسير ابن جزي، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالكتاب وقيمته العلمية.

المسألة الثانية: منهجه في التفسير.

المسألة الثالثة: مصادره في التفسير.

المسألة الأولى: التعريف بالكتاب وقيمته العلمية.

اسم الكتاب التسهيل لعلوم التنزيل بدون منازع فقد أثبته المؤلف رحمه الله في مقدمة كتابه، وكذلك جموع غفيرة من المترجمين له.

وأول من صرح بنسبته له هو: محمد بن عبدالملك القيسي المنتوري الغرناطي ت:٨٣٤ هـ في كتابه منهاج العلماء الأخيار وهو من تلاميذ أحمد وعبدالله ابني أبي القاسم بن جزي صاحب التفسير[١].

لقد كان لهذا الكتاب نصيب وافر من العناية والحفاوة وذلك لخصائصه ومميزاته، فأسلوبه عصري سهل على من يريده، وفيه من الإيجاز ما يفي بالحاجة، وهو يمتاز بالصدق والأمانة في النقل والرواية، وهو مزيج من الرواية والدراية، فالكل يجد فيه الغاية.

لذلك فقد اختص الله تعالى رجال العلم والتحقيق بالطباعة والتدقيق لنشر هذا الكتاب القيم، وقد طبع بحمد الله وكرمه هذا الكتاب طبعات كثيرة، فلله الحمد والمنة.

وتظهر قيمة هذا الكتاب من خلال الدوافع والمقصد الذي جعل ابن جزي يؤلف هذا الكتاب.

يقول ابن جزي – رحمه الله تعالي– عن الدافع الذي جعله يقوم بتفسير القرآن الكريم:(إن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدراً، وأجلها خطراً، وأعظمها أجراً، وأشرفها ذكراً، وأن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلمه وتعليمة وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه، فاطلعت على ما صنف العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف، فمنهم من آثر الاختصار، ومنهم من طوّل حتى كثّر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم من عوّل على النظر

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير، الزبيري، (٢٢٠/١).

والتدقيق والتحقيق، وكل أحد سلك طريقاً نحاه، وذهب مذهباً ارتضاه، وكلاً وعد الله الحسنى، فرغبت في سلوك طريقهم، والانخراط في مساق فريقهم، وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً[1].

وبذلك ندرك من خلال مقدمته أنه أقبل على كتابة التفسير لعدة أمور هي:

١_ العلم بالقرآن العظيم هو من أفضل العلوم.

٢_ الاشتغال بالقرآن الكريم علماً وتعليماً من أروع النعم.

٣ _ اطلاعه على كثير من التفاسير المصنفة في هذا العلم فوجدها مختلفة الأوصاف في كيفية تصنيفها، كلٌّ قد ذهب مذهباً في ذلك.

٤_ رغبته في أن يسلك مسلكهم في التصنيف على أن يجعله وجيزاً جامعاً نافعاً.

٥_ رغبته في شحن هذا التفسير بسائر ما يتعلق به من العلوم.

ثم قال رحمه الله عن مقاصده:... قصدت به أربع مقاصد: تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم، في كتاب صغير الحجم تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها ولقد أودعته من كل فنّ من فنون علم القرآن: اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط. ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

([1]) التسهيل، ابن جزي، (٦١/١).

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب لأنها من بنات صدري، وينابيع ذكرى، ومما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين، السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح، وذلك أن أقوال الناس على مراتب: فمنها الصحيح الذي يعوّل عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا، والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا، وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة، تعرف بها كل مرتبة وكل قول فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما أقول إنّ غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ثم ما أقدّم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدّم أو بالقول فيه: قيل كذا، قصدا للخروج من عهدته، وأما إذا صرحت باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين: إما للخروج عن عهدته، وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدى به، على أني لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلّا قليلا، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم، وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسي، أو مما أختاره من كلام غيري، وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره تنزيها للكتاب، وربما ذكرته تحذيرا منه، وهذا الذي من الترجيح والتصحيح مبنيّ على القواعد العلمية، أو ما تقتضيه اللغة العربية، وسنذكر بعد هذا بابا في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله، وسميته كتاب التسهيل: لعلوم التنزيل وقدّمت في أوّله مقدّمتين: إحداهما في أبواب نافعة، وقواعد كلية جامعة والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة. وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم: أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا، وسعيا مشكورا، ووسيلة توصلني إلى جنات النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي

العظيم[1].

ومن الجوانب القيمة العلمية لهذا التفسير ما ذكره الزبيري رحمه الله من أن تفسير ابن جزي هو التفسير الأندلسي الوحيد الذي وصل إلينا من تفاسير الحقبة المتأخرة في تاريخ الأندلس[2].

([1]) التسهيل، ابن جزي، (١/٦١-٦٢).

([2]) ابن جزي ومنهجه في التفسير، الزبيري، (٢/٨٨٠).

المسألة الثانية: منهجه[1] في التفسير.

قبل الشروع في بيان منهج الإمام ابن جزي في التفسير لا بد لي أن أتطرق لأنواع التفسير ومناهج المفسرين عموماً لأبين المنهج الذي اختاره والطريق الذي سلكه من بينها.

أنواع التفسير

ينقسم من حيث الرواية والدراية إلى نوعين:

التفسير المعتد به عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً هو ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: التفسير بالمأثور أو التفسير النقلي

ويذكر التفسير بالمأثور في مقابل التفسير بالرأي.

والمأثور اسم مفعول بمعنى المنقول[2].

والأثر الخبر المروي والسنة الباقية.

والمأثور: الحديث المروي، وما وَرَثَ الخلف عن السلف[3].

وأما التفسير بالمأثور:

([1]) المنهج: هو السبيل التي تؤدى إلى هذا الهدف المرسوم. – بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد عبدالرحمن الرومي، (ص٥٥)، مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ.

([2]) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي المقري، (ص٨-٩) دار الحديث، القاهرة، طبع ٢٠٠٨م.

([3]) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية،(ص٥-٦) القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.

وهو: ما أثر فيه قول من السنة أو أقوال الصحابة ... [1]

ويذهب بعض الباحثين في علوم القرآن وتفسيره إلى اعتبار التفسير بالمأثور يشمل أربعة أنواع من التفسير:

نقل مصطفى مسلم في كتابه مناهج المفسرين: التفسير في عصر الصحابة عن الدكتور محمد أبو شهبة[2] أن التفسير بالمأثور: (يشمل المنقولَ عن الله تعالى في القرآن الكريم، والمنقولَ عن رسول اللهﷺ، والمنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم، والمنقول عن التابعين رحمهم الله، وعلى هذه الأنواع الأربعة يدور التفسير بالمأثور....)[3].

وبما يقارب هذا ذكر محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون[4].

يقول صلاح الخالدي _ بعد ذكره لهذه التعاريف _: (ولا نوافق هؤلاء في اعتبار تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالمأثور، ونرى أن التفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين .... إلى أن قال: تفسير القرآن بالقرآن ليس تفسيراً بالمأثور،لأن المفسر في هذه الخطوة يفسر كلامَ الله بكلام الله، وليس بكلام البشر من صحابة وتابعين، أي هو لا يعتمد على البحث والنقل، ولا

([1]) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي، (ص١٢٧)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢هـ – مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن علي، (١٤/٢-١٥)، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠١م.

([2]) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبوشهبة، (ص٨٤)،مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

([3]) مناهج المفسرين القسم الأول: التفسير في عصر الصحابة، مصطفى مسلم، (ص٢٣)، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

([4]) التفسيروالمفسرون، محمد حسين الذهبي، (١٥٢/١)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠٠٠م.

يتحرى صحة ما ينقل، لأن القرآن محفوظ ثابت، لا يحتاج إلى تخريج وتصحيح، فالتخريج والتصحيح والتحري والحرص صفة ملازمة للأقوال المأثورة في التفسير، والقرآن لا يحتاج إلى كل هذا، فهو ليس من التفسير بالمأثورة، والله أعلم)[1].

وفي هذا النوع يعنى المفسر بجمع ماروي عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين[2] مكتفياً بذلك ومنهم من يقارن بين أقوال الصحابة والتابعين ويرجح بين

([1]) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبدالفتاح الخالدي، (ص١٤٧-١٤٨) و(ص٢٠٠)، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ٢٠١٢م.

([2]) انتقد مساعد الطيار في كتابه فصول في أصول التفسير،(ص٥٤-٥٥)، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة،١٩٩٩م، : مصطلح التفسير بالمأثورغير دقيق في إعطاء الوصف لورود الإشكالات على تفسير التابعي: أن تفسير القرآن بالقرآن لانقل فيه، بل هو داخل ضمن تفسيرمن فسر به، فإن كان المفسر هو الرسولﷺ ، فهو من التفسير النبوي، وإن كان المفسرهو الصحابي، فهو من تفسير الصحابي، وإن كان المفسرهو التابعي ،فهو من تفسير التابعي.ثم لاحظ أن تفسير الصحابي أوالتابعي القرآن بالقرآن هو من التفسير بالرأي،وذلك لأن طريق الوصول إلى تفسيرهذه الآية بهذه الآية هو الرأي والاجتهاد، ولايلزم أن كل من فسرآية بآية أن تفسيره هذا يقبل، بل قد يكون مرجوحاً وبناء عليه فحكمه حكم تفسير الصحابي والتابعي، ولوكان يلزم قبول قول كل من فسرآية بآية لما ردّ شيء من هذه الأقوال، مثل مارد الطبري تفسير مجاهد، ولوكان تفسيرالآية بالآية من التابعين ملزماً لما عدل عنه الطبري.

ثم قال: والذي يظهر لي أن مايمكن أن يطلق عليه تفسير بالمأثور، ويجب الأخذ به، ثلاث أنواع:

الأول: ماروي عن رسول الله ﷺمن تفسيره بالقرآن.

الثاني: ماروي عن الصحابة مما له حكم الرفع ؛كأسباب النزول والمغيبات.

والثالث: ماأجمع عليه الصحابة أو التابعون، وهذا يلحق بالمأثور، لوجوب الأخذ به؛ لأن الإجماع حجة. فأماتفسيرالصحابة فإن كان مجمعاً عليه، أو كان سبب نزول،أو إخباراً عن أمر غيبي فهو في حكم المرفوع، وإن كان غير ذلك فهو من باب الاجتهاد والرأي، سواء كان معتمده اللغة، أوغيرها من أدوات الاجتهاد في التفسير.

الأقوال مستدلاً بما رجحه.

وللتفسير بالمأثور مصادر كما سيأتي ذكرها في مصادر ابن جزي في التفسير.

وليست كل الأقوال المأثورة في التفسير صحيحة، سواء كانت أحاديثَ مرفوعة، أو أقوالاً للصحابة، أو التابعين، فقد دخل الأقوال المأثورة آفة الوضع والاختلاف، وقد وجد في كتب التفسير بالمأثور أقوال كثيرة موضوعة أو ضعيفة.

لذلك لا يؤخذ التفسير بالمأثور إلا بعد تخريج تلك الأقوال المأثورة، ومعرفة الصحيح الثابت منها، عند ذلك نعتمد ذلك الصحيح الثابت، ونرد مالم يثبت من الموضوع أو الضعيف.

ومن أشهر المؤلفات في هذا النوع من التفسير:

١_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

٢_ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي.

٣_ معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي.

٤_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي.

٥_ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي.

٦_ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

النوع الثاني: التفسير بالرأي السديد والاجتهاد الصحيح

التفسير بالرأي أو التفسير بالمعقول: هو تفسير القرآن بمعان تقتضيها العلوم

وتفسير التابعي يلحق بالمأثور إذا كان مما أجمع عليه التابعون، وماعداه فهو تفسير بالرأي. بتصرف، – الإسرائيليات، أبوشهبة، (ص٥٦-٥٧).

التي يستمد منها علم التفسير وهذه العلوم هي علم العربية نحواً وصرفاً وبلاغة وأخبار العرب وأصول الفقه[١].

وعرفه بعضهم: (التفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر) [٢].

فإن كان الاجتهاد موفقاً أي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه بعيداً عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود، وإلا فمذموم[٣].

وفي هذا النوع من التفسير يعمد المفسر إلى الآيات القرآنية فيفسرها برأيه بعد أن يكون من أهل اللغة والعلم الذين تأهلوا لذلك، كما تقدم في المصدر السادس.

ومن العلماء من قسم التفسير بالرأي إلى قسمين هما:

_ التفسير بالرأي المحمود، وهو التفسير المبني على علم ومعرفة.

_ التفسير بالرأي المذموم، وهو التفسير الذي يقوله الإنسان بلا علم.

فهذان صنفان كلاهما بالرأي، لكن الأول: محمود مأجور، والثاني: مذموم موزور[٤].

---

(١) التعريفات، الجرجاني، (ص١٢٦).

(٢) التفسير والمفسرون، الذهبي، (١٨٣/١)، ونقله عنه الخالدي بتعريف الدارسين(ص٤١٣ – ٤١٤).

(٣) مناهل العرفان، الزرقاني، (٤٨/٢).

(٤) الموافقات، إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، تحقيق مشهور حسن، (٤/ ٢٧٦–٢٨٥)، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

وقال بالتفسير بالرأي الصحابة والتابعون من بعدهم وعملوا به، ومنهم أبوبكر الصديق لماسئل عن الكلالة قال: (أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان)، وغيره[1].

وهذا الذي عمل به الصحابة هو الرأي المحمود، وهو المبني على علم أو غلبة الظن.

أما الرأي المذموم فهو الذي وقع عليه نهي السلف، وشنعوا على صاحبه، وهو ماكان على جهل وهوى.

والذين حكوا الخلاف في الرأي لم يبينوا نوع الرأي الذي وقع عليه النهي، ولو فعلوا لما احتاجوا إلى جعل قولين في هذه المسألة ثم ترجيح بينهما[2].

وكان أئمة الصحابة يتورعون من القول في التفسير، على ما آتاهم الله من المكانة في العلم، إلا ما بدا لهم حجته، وكان السبب لذلك؛ خشية القول على الله بغير علم، أو الوقوع في الرأي المذموم.

والآثار عنهم في هذا مشهورة، منها قول أبي بكر الصديق: أيُّ أرض تقلني، وأيُّ سماء تظلني، إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم[3].

---

(1) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبدالبر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري،(٢/٩١١)، ولم يسنده.

(2) وبعضهم انتهى إلى أن هذا الخلاف لفظي؛ كخالد عبدالرحمن العك في كتابه أصول التفسير وقواعده،(ص١٧١)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة،٢٠٠٧م، – محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون (١/١٨٨-١٩٤).

(3) للأثر طرق كثيرة بألفاظ متعددة وهي لا تخلو من كلام وانقطاع، أورده أبو عبيد في فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة و وفاء تقي الدين، (ص٣٧٣)، دار ابن كثير، بيروت، – الدارقطني في العلل (١/٢٦٦-٢٦٧)، – ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، (١٥٦١) (٢/٨٣٣-٨٣٤)، – البيهقي في شعب الإيمان،(٢٠٨٢)

والآثار عنهم كثيرة[1].

قال ابن جزي رحمه الله: (اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين:

فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه، وهم الأكثرون، ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطاً لما ورد من التشديد في ذلك)[2].

قال ابن تيمية بعد ذكره للآثار: (فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ؛ ولهذا رُوي عن هؤلاء وغيرهم أقوالٌ في التَّفسير ولا منافاةَ؛ لأنَّهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على

(٢٢٨/٥)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى،٢٠٠٣م، – ابن جريرالطبري في تفسيره المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر،(٧٨/١)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،الطبعة الثانية، واعتمدت تحقيق عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة،٢٠٠١م – ابن كثير في تفسيره المسمى تفسير القرآن العظيم، (١/ ١٣) و(٤٧٤/٧)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٢م، – القرطبي في تفسيره المسمى الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق عبدالله التركي،(٨٧/٢٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح، تعليق عبدالعزيز بن باز، وعبدالرحمن البراك،(١٣/ ٣٣٣)، دار طيبة، الرياض،الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م،: (لكن أحدهما يقوي الآخر).

(١) حكاها البيهقي في الشعب (٥٣٠/٣-٥٤١) و(٥٤٢/٣-٥٤٨). – الطبري في تفسيره (٨٤/١-٨٩)، – ابن تيمية الحراني في مجموع الفتاوى، تحقيق عامر الجزار وأنور الباز،(٣٧٤/١٣)، دار الوفاء، مصر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م، – الشاطبي في الموافقات (٢٨٠/٤-٢٨٣).

(٢) التسهيل، ابن جزي، (٨٥/١).

كل أحد)[1].

وروي في المنع من تفسير القرآن بمجرد الرأي حديثان:

الحديث الأول: عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ :(من قال بالقرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[2].

الحديث الثاني: عن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)[3].

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٧٤/١٣).

(2) رواه أحمد بن حنبل في مسنده، تحقيق شعيب الأرناؤوط، رقم(٢٠٦٩) (٤٩٦/٣)، ورقم (٢٤٢٩) (٢٥٠/٤) ورقم (٢٩٧٤) (١٢٢/٥) ورقم (٣٠٢٤) (١٥٥/٥)، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٥م، والترمذي في سننه مع شرح تحفة الأحوذي، للبماركفوري، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم (٢٩٥٠) و(٢٩٥١) (٢١٧٨/٢)، بيت الأفكار الدولية، الأردن، والنسائي في فضائل القرآن تحقيق فاروق حمادة، باب من قال في القرآن بغير علم، حديث رقم (١٠٩)و(١١٠)(ص١٣٤-١٣٦)، دار إحياء العلوم ، بيروت، ودار الثقافة، دار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الثانية،١٩٩٢م، وغيرهم من طريق عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وللاختلاف في الحديث، فمرة حدث به مرفوعاً، ومرة موقوفاً.

(3) أبو داود في سننه مع شرح عون المعبود، لابن أمير العظيم آبادي، كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بلا علم، رقم(٣٦٥٢) (١٦٥٩/٢)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٥م، والترمذي في سننه كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسرالقرآن برأيه، رقم (٢٩٥٢) (٢١٧٨/٢)، والنسائي في فضائل القرآن حديث رقم (١١١)(ص١٣٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٠/٣)، وغيرهم من طرق عن سهيل بن عبدالله بن أبي حزم القطعي، عن أبي عمران الجوني، عن جندب، به.

وهذا إسناد ضعيف لضعف سهيل بن أبي حزم القطعي وتفرده عن أبي عمران.

قال البيهقي رحمه الله: (وهذا إنْ صحَّ، فإنَّما أراد والله أعلم الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل، فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأما الرأي الذي يشده برهان فالحكم به في النوازل جائز، وكذلك تفسير القرآن به جائز)[1].

وكان الإمام أحمد ممن نهى عن الكتابة في معاني القرآن، ولعل الدافع له هو الوقوع في التأويل في كلام الله سبحانه، وتحميل النص القرآن معان غير مرادة فيه، كما فعل المعتزلة وغيرهم.

قال الإمام أحمد لأبي عبيد القاسم بن سلام[2]:(بلغني أنك تؤلف كتاباً في

وسهيل ضعفه غير واحد من أهل العلم، وردوا تصحيح الترمذي وتعقبه المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير،(١٩٠/٦)، دار المعرفة ، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٧٢م.

(1) شعب الإيمان، البيهقي(٤٢٣/٢)، ونقله عنه جلال الدين السيوطي في الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية،(٢٢٨٩/٦)، مجمع الملك فهد للمصحف، المدينة، ١٤٢٦هـ، وبما يقارب تأويل البيهقي جاء عن جماعة من العلماء:

الترمذي في سننه تحت حديث رقم (٢٩٥٢)، – الطبري في تفسيره (٧٨/١)،– ابن عطية في المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبدالله الأنصاري ومحمد العناني،(٢٢/١-٢٣)، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الثانية،٢٠٠٧م، – ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (٣٧٤/١٣-٣٧٥)،– القرطبي في تفسيره(٥٨/١-٦٠)،–ابن كثير في تفسيره(١٦/١) – محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي في البرهان في علوم القرآن،(١٦١/٢-١٦٤)، دار إحياء الكتب العربية، ودار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٥٧م، – السيوطي في الإتقان، (٢٢٩٠/٦-٢٢٩٣)و(٢٣٠١/٦-٢٣٠٢).

(2) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي اللغوي، من كبار العلماء بالحديث والفقه والتفسير والقراءات والأدب، من مؤلفاته كتاب غريب الحديث، وغريب المصنف، ومعاني القرآن، توفي سنة ٢٢٢هـ أو ٢٢٣هـ بمكة.

– طبقات المفسرين، الداوودي، (٣٢/٢)، – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، (٦٠/٤)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، – معجم

القراءات أقمت فيه الفراء وأبا عبيدة أئمة تحتج لهم في معاني القرآني ؛ فلا تفعل)[1].

ومن أهم المؤلفات في التفسير بالرأي:

١_ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري.

٢_ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لأبي عبدالله فخر الدين محمد الطبرستاني الرازي.

٣_ البحر المحيط لأبي عبدالله محمد بن يوسف ابن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان.

٤_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي.

وقد وُجدت تفاسير تجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود كتفسير الإمام ابن جزي وتفسير الإمام الشوكاني فجمعوا بين الرواية والدراية.

مناهج المفسرين

فمناهج المفسرين هي الخطط العلمية الموضوعية المحددة التي التزم بها المفسرون في تفاسيرهم للقرآن.

ينقسم التفسير باعتبار كيفية تناوله وعرضه إلى قسمين:

الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، (٥/ ٢١٩٨-٢٢٠٢)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٣م، – معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، (١/٤٣٢-٤٣٣)، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

(١) طبقات المفسرين، الداوودي في ترجمة: إسماعيل بن إسحاق الأزدي، (١/١٠٨).

التفسير التحليلي و التفسير الإجمالي.

القسم الأول: التفسير التحليلي:

وفي هذا النوع من التفسير يقوم المفسر ببيان ما يتعلق بكل آية من معان لغوية وإعرابية وما يرتبط بها من أسباب النزول واختلاف المفسرين في الآية، ويفصل عن المسائل الفقهية أو نحوية أو البلاغية ونحو ذلك على وجه يستوعب فيه كل ما يتعلق بالآية في الغالب.

فيقوم المفسر بتحليل كل آية تحليلاً موسعاً ومفصلاً ويتعرض لأكثر الموضوعات والمسائل، وهذا النوع أقدم أسلوب وهو الغالب في كتب التفسير، مثل: وكتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لابن عطية الأندلسي، و كتاب معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، وغيرهما.

القسم الثاني: التفسير الإجمالي:

وفي هذا النوع يعمد المفسر إلى بيان معنى الآية بعبارة واضحة مجملة موجزة ليسهل فهمها، ولا يتوسع في ذكر الموضوعات والتفاصيل.

ومن المؤلفات في هذا النوع من التفسير: كتاب تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، وكتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

وقد زاد الباحثون نوعين من أنواع التفسير؛ التفسير الموضوعي والتفسير المقارن[1].

([1]) ولعل سبب إحداث هذا القسم من أنواع التفاسير – بدراسة مفصلة ومطولة – هو زيادة هذين النوعين في التفاسير الجامعات وكثرة الرسائل الجامعية.

التفسير الموضوعي[1]:

وفي هذا النوع من التفسير يعمد المفسر أو الباحث إلى موضوع ما فيجمع ما يتعلق به من الآيات في القرآن الكريم ثم يبني موضوعه على تلك المادة ويقسمه عليها ويفسر الآيات في ذلك تفسيراً تحليلياً متوسطاً يبين فيه دلالة الآيات على الموضوع من غير تطويل ولا تعسف في الاستدلال.

وهذا النوع من التفسير جديد بمسماه ومنهجه، قديم بموضوعه حيث إن تناول موضوع من القرآن والاقتصار عليه ليس أمراً جديداً فقد ألف المتقدمون في مواضيع قرآنية مخصوصة كالأشباه والنظائر التي ألف فيها مقاتل بن سليمان، وابن الجوزي وابن العماد وغيرهم، وألف ابن القيم في أقسام القرآن إلا أن هذا النوع نضج وشاع على يد المتأخرين من العلماء والباحثين فأصبحت له منهجيته وضوابطه.

ولهذا النوع ألواناً ثلاثة:

١_ التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، مثل: لفظة (الأمة _ الحق _ الحكمة).

٢_ التفسير الموضوعي للموضوع القرآني،مثل:موضوع (الناسخ والمنسوخ _ الصبر في القرآن الكريم _ آيات التقوى في القرآن الكريم).

٣_ التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، مثل: (العقيدة في ضوء سورة الأنعام _ مفهوم الجهاد و أحكامه من خلال سورة الأنفال _الأحكام والآداب المستفادة من سورة الإسراء).

---

(1) تعددت تعاريف الباحثين المعاصرين له؛ فعرفه مصطفى مسلم بقوله: هوعلم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.

– مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، (ص١٦)، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.

التفسير المقارن:

وفي هذا النوع من التفسير يعني المفسر بجمع ماقيل في تفسير الآية من أقوال لأئمة التفسير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن تقدمه من أئمة التفسيرالمعتبرين،فيذكر الآية أو الجملة أو المفردة ويقول: في معناها قولان أو ثلاثة أو أربعة،وقد ينسب ذلك لمن قال به وقد لا ينسبه.

ومن المؤلفات في هذا النوع من التفسير: كتاب النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي.

وكتاب زاد المسير في علم التفسير جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، وغيرهما.

منهج ابن جزي في التفسير

يعدكتاب التسهيل لعلوم التنزيل من أشهر كتب التفسير بالمأثور، ومؤلفه العلامة الحافظ المفسر محمد بن جزي الكلبي المالكي، أحد علماء غرناطة الأعلام، كان فذاً في نباهته وإلمامه بالفقه والأصول وعلم الكلام والتفسير والحديث والقراءات، كما كان نابغة في اللغة والبلاغة والأدب، وكان إلى كل ذلك مؤرخاً وشاعراً وخطيباً وكاتباً بارعاً. وقد تجلت صفات هذا العالم وتبحره في شتى العلوم والفنون في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل.

قال ابن جزي في مقدمته:(وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع المدني لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا الأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداء بالمدينة شرفها الله؛ لأنها قراءة أهل المدينة وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة)[1].

([1]) التسهيل، ابن جزي، (٧٥/١).

أما منهجه فيه فكان يرتب تفسيره حسب سور القرآن ابتداءً بسورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس، ويعتبر تفسيره من التفسير الاجمالي؛ أي يجزئ الآية حسب جملها المتعددة، فيفسر أهم الجمل فيها، ولا يتعرض للواضح منها، كما أنه حينما يورد الآية في تفسيره لا يوردها تامة في كثير من الأحيان، بل يورد بعضها ثم يقول: الآية. وقد يترك تفسير الآية أو الآيتين، وليس الجملة والجملتين فقط بدون تفسير، وذلك إما لأنه فسر آية بمعناها أو تشبهها، أو يرى أنها من الواضح الذي لا يحتاج إلى تفسير.

والسمة البارزة في تفسيره هي الميل إلى الاختصار بقدر الإمكان مع التلخيص والجمع للأقوال، لذا يكتفي غالبا بالإشارة، كما يهتم بأسباب النزول، والقراءات والإعراب، ويكثر من ذكر السؤال والجواب.

ومن سمات تفسير ابن جزي الابتعاد عن ذكر القصص ويكتفي غالباً بالإشارة إليها، وقلل من شواهد اللغة ولم يسرف في ذكر خلاف النحويين.

اقتصر في القراءات على السبع بل لم يستوفها ولم يكلف نفسه بالقراءات الشاذة إلا إذا كانت تساعده في تفسير القرآن.

ولم يحشد الروايات الكثيرة ولم يستطرد في تفصيلات فروع الفقه عند آيات الأحكام وإن كان مجال الأحكام يعتبر مما أطنب فيه.

لم يسر في تفسير الآيات على وتيرة واحدة؛ بأن يبدأ بتفسير المفردات مثلاً ثم بأسباب النزول ثم بالمناسبات ثم بالقراءات كما يفعل بعض المفسرين، فنجده مرة يقدم سبب النزول ومرة يقدم المعنى العام ومرة يبدأ بذكر الإعراب ومرة بذكر الاشتقاق ومرة بذكر الحديث النبوي فهو رحمه الله ينوع فيما يبدأ به بحسب أهميته عنده وبحسب الوضوح والغموض الذي يظن في الآية[1].

فلا نستطيع أن نحكم على طريقته بأنها تسير على نمط واحد فهو مرة

([1]) سيأتي – إن شاء الله – تفصيل كل ما تقدم في الأمثلة والدراسة.

يختصر ومرة يطنب ومرة بذكر المعنى العام ومرة بذكر السبب النزول ومرة يبدأ بذكر الخلاف الفقهي في الآية وهكذا.

فيعد تفسير الإمام ابن جزي تحليلياً مختصراً.

وسيتبين ذلك جلياً وواضحاً عند المقارنة بين تفسيره وتفسير الشوكاني.

المسألة الثالثة: مصادره[1] في التفسير.

لم يسر ابن جزي في التفسير على وتيرة واحدة، فتارة ينحى جهة التفسير بالمأثور، وأخرى جهة التفسير بما تحمله الكلمة من معنى في اللغة العربية، وسأتحدث عن هذه المسألة عند مصادره في التفسير عندما نحى جهة التفسير بالمأثور.

وأهم المصادر التي بنى عليها علماء التفسير تفاسيرهم، ومن هؤلاء الإمام ابن جزي في تفسيره، هي:

تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالمأثور من السنة النبوية، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

والملاحظ على تفسيره الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود حسب قواعد اللغة والنحو وسائر العلوم الإسلامية فكان رحمه الله يفسر بالمأثور ثم يفسر بالرأي المحمود.

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

هو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد في القرآن نفسه، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، وهو أول المراتب وأبلغ تفسيرها وأشرف أنواعها وأجلها؛وذلك أن كل قائل أعلم بقوله من غيره، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله سبحانه،ولإجماع العلماء

---

(1) يستعمل لفظ (مصدر) لمعنيين: الأول لُغوي ، والثاني اصطلاحي.

والذي يعنينا هنا في العنوان هو المعنى اللغوي: هو الذي يدل على معنى (الصدور) أي عما يصدر عنه التفسير، وهو ماجاء في القرآن من الآيات المفسرة المبينة للآيات المجملة أو العامة أو المطلقة أوالموجزة، وما جاء في السنة النبوية عن النبي ﷺ، وما ورد عن الصحابة والتابعين، وعن لسان العرب. – التعريفات، الجرجاني، (ص١٢٧).

أما المعنى الثاني للفظ (مصدر) وهو المعنى الاصطلاحي: فإنه يطلق على المصنفات والمؤلفات المتخصصة،(أي المراجع).

– أصول التفسير وقواعده، خالد العك،(ص١١٤-١١٥).

على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير القرآن بالقرآن[١]، ولا يلزم من ذلك أن كل من قال:إن هذه الآية تفسير لهذه الآية صحة ذلك وقبوله لأن هذا تفسير مبني على اجتهاد المفسر ورأيه، وقد لا يكون صحيحاً.

قال ابن تيمية:(فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر)[٢].

وهذه المرحلة لا ينبغي لأحد أن يُعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره[٣].

فعلى هذا من أراد أن يفسر القرآن أن ينظر في آيات القرآن الأخرى ويجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، فإن ما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر، وما أشكل في موضع قد يوضح في موضع آخر، وما ورد في بعض الآيات على اطلاقه فإنه قد يقيد في آيات أخرى، وما ورد عاماً قد يدخله التخصيص في آيات أخرى، وما جاء موجزاً في موضع قد يفصل في موضع آخر، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن.

وبالاستقراء لتفسير ابن جزي تجد أنه يعتمد على هذا النوع من التفسير، وهو يعطيه من الأهمية كما يعطي غيره من أدوات التفسير، في حين أن هذا النوع مما يجب التركيز عليه بصفة خاصة، لأنه أفضل ما يفسر به كتاب الله تعالى.

قال ابن جزي رحمه الله _ عند ذكر لوجوه الترجيح عنده _: (الأول: تفسير بعض القرآن ببعض ؛ فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه

---

(١) ذكر الإجماع الشنقيطي في مقدمة كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن إشراف بكر بن عبدالله أبوزيد، (٨/١) طبعة دار الفوائد مطبوعات المجمع بجدة.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٦٣/١٣-٣٦٤)، - تفسير ابن كثير(١٢/١)، ذكر بمثله.

(٣) التفسير والمفسرون، الذهبي، (٣١/١).

عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال) [1].

فمن الأمثلة في ذلك:

عند تفسيره لمعنى الولاية في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يونس: ٦٢، فسرها ابن جزي بالآية التي بعدها،حيث قال: ﴿ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ اختلف الناس في معنى الولي اختلافاً كثيراً، والحق فيه ما فسره الله بعد هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يونس: ٦٣، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي[2].

عند تفسيره لمكان السلام في قوله تعالى:

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ الأحزاب: ٤٤.

رجح ابن جزي مكان التسليم أنه في الجنة واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ يونس: ٩-١٠، ثم قال: ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول الملائكة لهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴿٧٣﴾﴾ الزمر: ٧٣[3].

عند تفسيره لكيفية عبادة المشركين للجن في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴿٤١﴾﴾ سبأ: ٤١، رجح أن الشياطين زينت للمشركين عبادة الملائكة فعبدوا الجن بطاعتهم

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (٨٣/١).

(2) التسهيل، ابن جزي، (٧٢٢/٢).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٥/٣).

لهم، ثم قال:ويحتمل أن يكون قوم عبدوا الجن لقوله:﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ ﴿١٠٠﴾﴾ الأنعام: ١٠٠[1].

عند تفسيره للقائل في قوله تعالى:﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ الزمر: ٧٥، قال: أهل الجنة: لقوله:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يونس: ٩-١٠[2].

عند تفسيره لقوله تعالى:﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ ﴿٥٢﴾﴾ غافر: ٥٢، فسر لا ينفع معذرتهم بقوله:﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ المرسلات: ٣٦، فنفى الاعتذار والانتفاع به[3].

ولعل بعد هذا الاستعراض للأمثلة قد ظهر لنا كيف كان ابن جزي يعتمد في تفسير القرآن بالقرآن، وهو من التفسير المأثور الذي يحمد عليه صاحبه.

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة

ذلك أن السنة النبوية مبينة للقرآن، تقيد مطلقه، وتخصص عامه، وذلك يكون بالنظر في السنن الثابتة المنقولة عن رسول الله ﷺ في معنى الآية، فالنبي ﷺ هو المبين للقرآن بتكليف الله كما قال سبحانه وتعالى:﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ النحل: ٤٤، وبيانه ﷺ هو وحي معصوم لا يساويه بيان غيره من البشر مهما بلغ علمه قال تعالى:﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ النجم:٢- ٤. جاء من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (١١٩٩/٣).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١٢٩٩/٣).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١٣٠٩/٣).

يقول:(سمعت رسول الله ﷺ يقول:﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال:٦٠، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)[١]. وجاء عن صهيب كذلك، وفيه أنه ﷺ تلا قوله تعالى:﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يونس: ٢٦، وفيه: أن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عزوجل[٢].

فالسنة تفسر مجمل القرآن وتخصص عامه وتقيد مطلقه وتبين ناسخه ومنسوخه،ولذا فهي بمنزلة القرآن في الاستدلال، وهي أصل لفهم القرآن لقوله تعالى:﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ وهذا يعني أنه لايمكن الاستغناء عن البيان النبوي لأنه لا أحد من خلق الله أعلم بمراد الله من رسول الله ﷺ[٣]، وقال ﷺ :(ألا إني أوتيت القرآن ومثلَه معه)[٤]،

---

(١) مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب فضل الرمي رقم (٤٩٢٣) (١٣/٦٥-٦٦).

(٢) مسلم في صحيحه مع شرح النووي، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة رقم (٤٤٨)(٣/١٩-٢٠)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٤م، بلفظ: إذا دخل أهل الجنة الجنة،قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون:ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال:فيكشف الحجاب فماأعطوا شيئاً أحب إليهم من النظرإلى ربهم عزوجل، وزاد: ثم تلا هذه الآية(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) سورة يونس ٢٦، وجاء عند الطبري صريحاً عن أبي موسى وأبي بن كعب وكعب بن عجرة وغيرهم،(١٥/٦٣- ٧١)،

- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺوالصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، حديث رقم(١٠٣٤١)(٦/١٩٤٥)، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

(٣) تفسيرالطبري(١/٨٧-٨٨)و(١/٩٢)،- الموافقات،الشاطبي،(٤/٣٤٥) و(٤/٢٩٦) و(٤/٣١٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده رقم (١٧١٧٤) (٢٨/ ٤١٠- ٤١١) وأبو داود في سننه، رقم (٤٦٠٤) (٢/٢١٣٤)، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، واللفظ له، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب

يعني السنة[1].

قال الإمام الشافعي[2]:(وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان: أحدهما نص كتاب فاتبعه رسول الله ﷺ كما انزل الله والآخر جملة بَيَّن رسول الله ﷺ فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها عاماً أو خاصاً وكيف أراد أن يأتي به العباد وكلاهما اتبع فيه كتاب الله)[3].

وقال الإمام أحمد[4]:(السنة تفسر الكتاب وتبينه)[1].

مانهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ، (٢٦٦٤) (٢٠٢٨/٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجه في مقدمة سننه، مكتبة المعارف، الرياض، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ حديث رقم (١٢) (ص١٥)، عن المقدام بن معدي كرب الكندي.

(1) معالم السنن، الخطابي،(١١/٥) دار ابن حزم ، بيروت،- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٦٣/١٣-٣٦٤)، - تفسير القرطبي،(١/ ٦٥-٦٨)، - تفسير ابن كثير،(٥/١)، - الإتقان، السيوطي، (٦/ ٢٢٧٤).

(2) هو: أبو عبدالله، محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع المطلبي القريشي، عالم العصر، وناصر الحديث، وفقيه الملة، وأحد الأئمة الأربعة المتبوعين، وينسب إليه المذهب الشافعي، ولد سنة ١٥٠، ومن مصنفاته " الرسالة "، (ت ٢٠٤ هـ).

_ " الفهرست" لابن النديم (٢٦٣_٢٦٤)، و " طبقات المفسرين " للداودي (٩٨/٢) و " وفيات الأعيان " لابن خلكان (١٦٣/٤_١٦٩)، و"معجم الأدباء " لياقوت، (٦/ ٢٣٩٣_ ٢٤١٨)، و " معجم المؤلفين " كحالة (٣/ ١١٦_١١٧)، و" معجم المفسرين " لنويهض (٤٨٨/٢_٤٨٩).

(3) الرسالة، الشافعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاك،(ص٩١)،دارالكتب العلمية، بيروت.

(4) هو: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أحد الأئمة الأربعة، وإليه نسبة المذهب الحنبلي، من كتبه المسند و تفسير القرآن و الناسخ والمنسوخ و المقدم والمؤخر في القرآن وغيرهم، توفي ٢٤٠هـ.

- الفهرست، ابن النديم، (ص٢٢٩)، - تهذيب التهذيب، أحمد بن علي ابن حجر، (٧٢/١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م، - الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (٣٦٣/٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة

وقال الطبري:(أنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ، ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ،وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره -واجبه ونَدْبِه وإرْشاده-، وصنوفِ نَهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعضَ خَلْقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه، التي لم يُدرَك علمُها إلا ببيان رسول الله ﷺ لأمَّته، وهذا وجهٌ لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رسول الله ﷺ له تأويلَه بنصٍّ منه عليه، أو بدلالة قد نصَبها، دالَّةٍ أمَّتَه على تأويله)[٢].

قال ابن تيمية:(... فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن ومبينة له، وموضحة له)[٣].

فهذا بعض ما قاله العلماء في تفسير القرآن بالسنة ومنه يعرف منزلة هذا المصدر من مصادر التفسير، بل إنهم لا يقبلون سواه إذا صح عندهم قال ابن تيمية:(ومما ينبغي أَنْ يعلم أَنَّ القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة فإنه قد عرف تفسيره)[٤].

وبالاستقراء في تفسير ابن جزي ندرك أنه قد اعتمد في تفسيره على هذا الأصل من أصول التفسير مبيناً معنى آية، أو مرجحاً قولاً على آخر إلى غير ذلك.

قال ابن جزي رحمه الله : (وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين: الأوّل: أنّ كثيرا من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت

الأولى، ٢٠٠٠م، - وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٦٣/١)، - طبقات المفسرين، الداوودي، (٧٠/١)، - معجم المفسرين، نويهض، (٥٧).

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر،(٢/ ١١٩٤)، - تفسير القرطبي، (١/ ٣٩)، - الموافقات، الشاطبي، (٣٤٥/٤).

(٢) تفسير الطبري (٧٤/١).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٦٣/١٣-٣٦٤).

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٧/١٣).

بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم من الغزوات والنوازل والسؤالات، ولا بدّ من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت فإنّ الناسخ يبنى على معرفة تاريخ النزول لأنّ المتأخر ناسخ للمتقدم.

الثاني: أنه ورد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته لأنّ قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس)[1].

و قال ابن جزي رحمه الله _عند ذكره لوجوه الترجيح _: (الثاني: حديث النبي ﷺ ؛ فإذا ورد عنه عليه الصلاة والسلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح)[2].

فمن الأمثلة في ذلك:

عند تفسيره للمراد بإذاية الله تعالى في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۝٥٧﴾ الأحزاب: ٥٧، فسرها بالحديث القدسي يقول الله تعالى: (يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبة وولدا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني)[3].[4]

عند تفسيره الإيذاء الذي آذى به بنو إسرائيل موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ ۝٦٩﴾ الأحزاب: ٦٩، فسره بالحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى ﷺ يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر[5]

([1]) التسهيل، ابن جزي، (٧٧/١).

([2]) التسهيل، ابن جزي، (٨٣/١).

([3]) البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب سورة الإخلاص، رقم (٤٩٧٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

([4]) التسهيل، ابن جزي، (١١٨٤/٣).

([5]) آدر: نفخة في الخصية، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٤٥/١).

فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج موسى في إثره يقول: ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضربا بالحجر[1].[2]

عند تفسيره لأصل تسمية قبيلة سبأ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ سبأ:١٥، فسرها بقبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه، واستدل بحديث عن فروة بن مسيك المرادي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم فأذن لي في قتالهم وأمرني فلما خرجت من عنده سأل عني ما فعل الغطيفي فأخبر أني قد سرت قال فأرسل في أثري فردني فأتيته وهو في نفر من أصحابه فقال ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك قال وأنزل في سبإ ما أنزل فقال رجل يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار فقال رجل يا رسول الله وما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة[3].[4]

---

(1) البخاري في صحيحه كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً وحده ...، رقم(٢٧٨) وكتاب التفسير، باب لا تكونوا كالذين ءاذوا موسى، رقم (٤٧٩٩)، ومسلم في صحيحه كتاب الحيض، باب جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة، رقم(٣٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) التسهيل، ابن جزي، (١١٨٦/٣).

(3) رواه أبو داود في سننه كتاب الحروف والقراءات، باب(٣٩٨٨)، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ رقم(٣٢٢٢).

(4) التسهيل، ابن جزي، (١١٩٣/٣).

عند تفسيره للمدة التي يذكر فيها الإنسان في قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴿٣٧﴾﴾ فاطر:٣٧، ذكر أن مدة التذكير ستون سنة لحديث:(من عمره الله ستين فقد أعذر إليه في العمر)[١].[٢]

عند تفسيره لمعنى الآثار بأنها الخطا للمساجد في قوله تعالى:﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ يس: ١٢، استدل بحديث جابر بن عبدالله قال: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد قال: والقاع خالية، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم[٣].[٤]

عند تفسيره لمستقر الشمس في قوله تعالى:﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴿٣٨﴾﴾ يس: ٣٨، قال مستقر الشمس تحت العرش لحديث أبى ذر– رضى الله عنه– قال كنت مع النبى– ﷺ – فى المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر أتدرى أين تغرب

---

(١) جاء عن أبي هريرة بلفظ: (أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة) البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، رقم(٦٤١٩).

(٢) التسهيل، ابن جزي، (١٢١٣/٣).

(٣) مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم: (٦٦٥).

وجاء حديث عن أبي سعيد الخدري: شكت بنو سلمة بعد منازلهم إلى النبي ﷺ فنزلت: (إنا نحن نحي الموتى وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ) فقال عليكم منازلكم تكتب آثاركم، رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة يس(٣٢٢٦) والحديث في إسناده أبو سفيان السعدي،وهو ضعيف، وتفرد إسحاق الأزرق، ومما يؤيد ضعفه أن السياق مخالف لحديث جابر في مسلم وليس فيه سبب النزول، واستغرب حديث أبي سعيد ابن عطية وابن كثير وابن عاشور، قالوا بضعفه وأن السورة مكية بكاملها.

ولعل سبب الخطأ كما قال ابن عطية: ووافقها– أي الآية–قول النبي ﷺ في المعنى– دياركم تكتب آثاركم–، فمن هنا قال من قال إنها نزلت في بني سلمة.

(٤) التسهيل، ابن جزي، (١٢١٨/٣).

الشمس، قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ يس: ٣٨[1].

عند تفسيره للمقصود (مَّن قَصَصْنَا) في قوله تعالى:﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ ٧٨﴾ غافر:٧٨، قال: روي عن النبي ﷺ أن الله بعث ثمانية آلاف رسول[2]، وفي حديث آخر أربعة آلاف[3].[4]

مما سبق من أمثلة لتفسير ابن جزي القرآن بالسنة ندرك أنه قد اهتم بهذا المصدر من مصادر التفسير بالمأثور.

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

مما لا يخفى على إنسان أن للصحبة منزلة عظيمة في الإسلام، ولها شرف ومكانة على غيرها،إذ يكفي فيها أنها تعني لقيا رسول الله ﷺ،ولذا كان للصحبة هذه المكانة الخاصة في ميزان المسلمين بعدهم، بل صارت أقوالهم حجة عند بعض العلماء لا يعدل عن أقوالهم، ولا يرى قولاً غير قولهم[5].

ويكون تفسير الصحابة بالنظر في المنقول الثابت عنهم عند فقده في القرآن

---

(1) البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب والشمس تجري لمستقر لها،(٤٨٠٢) ومسلم فيصحيحه كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم(١٥٩)، وجاء: أتدرون أين تذهب هذه الشمس ...الحديث.

(2) رواه أبو يعلى في مسنده رقم(٤٠٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٠/٨): فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف جداً. وضعف إسناده ابن كثير في تفسيره (٢٧٦/٣).

(3) رواه ابن حبان في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، رقم(٣٦١) وابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٣) وقال بعده: جعله ابن الجوزي في الموضوعات، فالأحاديث لا تصح فلذا لا يعلم عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلا الله.

(4) التسهيل، ابن جزي، (١٣١٣/٣).

(5) البرهان، الزركشي، (٢٩٢/٢)،- الإتقان، السيوطي، (٢٢٨٥/٦-٢٢٨٦).

والسنة، وذلك لأنهم قد أوتوا من الدراية بالقرآن مالم يؤت أحد بعدهم، ولا عجب، فهم العرب الخلَّص وبلسانهم نزل القرآن وقد شهدوا الوحى والتنزيل، وصحبوا رسول الله ﷺ فرباهم بالقرآن وكان يصبحهم ويمسيهم يتلوه عليهم ويبينه لهم بالقول والعمل وهذه خصائص تجعلهم أعلم الناس بكتاب الله بعد رسول الله ﷺ[1].

قال رسول الله -ﷺ- لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: قال « كيف تقضى إذا عرض لك قضاءٌ »، قال أَقضى بكتاب اللَّه، قال« فإنْ لم تجد في كتاب اللَّه »، قال فبسُنَّة رسول اللَّه -ﷺ-،قال« فإنْ لم تجد في سُنَّة رسول اللَّه - ﷺ - ولا في كتاب اللَّه »،قال أجتهد رأيي ولا آلُو، فضرب رسول اللَّه -ﷺ- صدره وقال « الحمد للَّه الذي وفَّقَ رسولَ رسول اللَّه لما يرضي رسول اللَّه »[2].

ومن الذين اشتهروا في التفسير من الصحب الكرام: الأربعة الخلفاء، وعبدالله

---

(1) إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، خليل العلائي الشافعي، تحقيق محمد سليمان الأشقر، (ص٦٤)، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت.

(2) أخرجه أحمد في مسنده رقم(٢٢٠٠٧)(٣٣٣/٣٦)،ورقم(٢٢٠٦١)(٣٨٢/٣٦)، ورقم(٢٢١٠٠)(٤١٦/٣٦-٤١٧)، وأبي داود في سننه كتاب القضاء، باب اجتهاد الرأي في القضاء، برقم(٣٥٩٢)ورقم(٣٥٩٣)(١٦٢٨/٢-١٦٢٩)، والترمذي في سننه كتاب الأحكام، باب ماجاء في القاضي كيف يقضي،برقم(١٣٢٧)و(١٣٢٨)(١٢٨٤/١)،عن أبي عون الثقفي، عن الحارث بن عمرو، عن رجال من أصحاب معاذ أو ناس من أهل حمص، عن معاذ به.

فهذا الحديث مما اختلف العلماء في صحته وضعفه ومنهم من حسنه.

صححه الخطيب وابن القيم وابن العربي والجويني وحسنه ابن كثير، وضعفه البخاري والدارقطني والعقيلي وابن الجوزي وغيرهم، وابن الملقن البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير،(٥٣٤/٩-٥٣٩)، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، قال: ضعيف بالإجماع.

فمدار الحديث على الحارث بن عمرو وهو مجهول، وتفرد بالحديث عن أصحاب معاذ.

فالحاصل أن للحديث ثلاث علل ذكرها من ضعفه - وبعضهم زاد علة رابعة وهي نكارة بالمتن - :١- علة الإرسال.٢- جهالة أصحاب معاذ .٣- جهالة الحارث بن عمرو.

بن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير وغيرهم.

أما الخلفاء الراشدون فأكثر ما روي عنه علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة قليلة جداً والسبب في ذلك تقدم وفاتهم[١]، أما المكثر من الصحابة في التفسير ابن عباس[٢]، وذلك لأنه ترجمان القرآن وتأخر به الزمان حتى اشتدت حاجة الناس إلى الأخذ عنه بعد اتساع الإسلام، واستبحار العمران،ولانقطاعه وتفرغه للنشر والدعوة والتعليم دون أن تشغله خلافة أو تصرفه سياسة وتدبير لشؤون الرعية[٣].

يقول ابن كثير في مقدمة تفسيره: (إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم؛ كالأئمة الأربعةِ الخلفاءِ الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنه)[٤].

قال ابن جزي رحمه الله _عند ذكره لوجوه الترجيح _: (الرابع: أن يكون قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبدالله بن عباس، لقول النبيﷺ : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[٥].

---

(١) الإتقان،السيوطي، (٦ /٢٣٢٥-٢٣٣٨)، – مناهل العرفان، الزرقاني،(١٦/٢)،– الإسرائيليات، أبي شهبة، (ص٥٧)، – التفسير والمفسرون، الذهبي، (٤٩/١– وما بعدها).

(٢) كيف لا وقد دعا له ﷺ.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢٣/١-٢٤)، – الإتقان، السيوطي المصدر السابق، – التفسير والمفسرون، (٤٩/١– وما بعدها).

(٤) تفسير ابن كثير(٦/١).

(٥) رواه أحمد في مسنده،رقم(٢٣٩٧)(٢٢٥/٤) والبخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب رقم(٧٥) (٢٩٨/١)، بلفظ: اللهم علمه الكتاب. وجاء عند البخاري، في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم (١٤٣)(٤٢٣/١)، ومسلم في صحيحه كتاب

فمن الأمثلة في ذلك:

عند تفسيره المراد بعين القطر في قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾ سبأ: ١٢، قال: قال ابن عباس: كانت تسيل له باليمن عين من نحاس، يصنع منها ما أحب، والقطر: النحاس[1].

عند تفسيره المراد بالأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ فاطر: ٣٢، وقال: قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ: فالظالم لنفسه العاصي والسابق التقي والمقتصد بينهما وقال الحسن: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيّئاته[2].

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يس: ٨٠، قال: هذا دليل آخر على إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعيين قالوا: طبع الموت يضاد طبع الحياة فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم الدليل من الشجر الأخضر الممتلئ ماء، مع مضادة طبع الماء للنار، ويعني بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار، فإنه يقطع من كل واحد منهما

فضائل الصحابة، باب فضائل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما رقم(٦٣١٨) (٢٥٥/١٦) بلفظ: اللهم فقهه في الدين، لكن مسلم دون لفظة: في الدين. وجاء أيضاً عند البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما،رقم (٣٧٥٦)(٤٦٦/٨) بلفظ:اللهم علمه الحكمة. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:(وهذه اللفظة اشتهرت على الألسنة اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل حتى نسبها بعضهم للصحيحين ولم يصب، والحديث عند أحمد بهذا اللفظ ..) فتح الباري (٤٦٦/٨-٤٦٧).

(١) التسهيل، ابن جزي، (١١٩١/٣).

(٢) التسهيل، ابن جزي، (١٢١٢/٣).

غصنا أخضر يقطر منه الماء، فيسحق المرخ على العفار فتنقدح النار بينهما: قال ابن عباس: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب، ولكنه في المرخ والعفار أكثر[1].

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥﴾ الصافات: ٤٥، قال: الذين يطوفون عليهم الولدان، حسبما ورد في الآية الأخرى، والكأس الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس، وقيل: الكأس إناء واسع الفم، ليس له مقبض، سواء كان فيه خمر أم لا، والمعين: الجاري الكثير[2].

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ ص:٣٩، قال: الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله له، والمعنى أن الله قال له: أعط من شئت وامنع من شئت، وقيل: المعنى امنن على من شئت من الجنّ بالإطلاق من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود، والأوّل أحسن وهو قول ابن عباس[3].

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ غافر:٦٥، قال: ... وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين: الحمدلله رب العالمين، ولذلك قال ابن عباس: من قال لا إله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين[4]، ويحتمل أن يكون الحمد لله استئنافاً[5].

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ۝٣٠﴾ فصلت: ٣٠، وقال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، استقاموا على قولهم: ربنا الله، فصح إيمانهم ودام توحيدهم وقال عمر بن الخطاب: المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصي، وقول عمر

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (١٢٣٠/٣).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١٢٣٧/٣).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١٢٧٠/٣).

(4) رواه الطبري بلفظ: من قال لا إله إلا الله، فليقل على إثرها: الحمدلله رب العالمين. – فتح القدير، الشوكاني، (٥٩٤/٤).

(5) التسهيل، ابن جزي، (١٣١١/٣).

أكمل وأحوط، وقول أبي بكر أرجح لما روى أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: قد قالها قوم كفروا فمن مات عليها فهو ممن استقام[1].[2]

وبهذا العرض لهذه الأمثلة من تفسير القرآن بأقوال الصحابة ندرك بأن ابن جزي قد اهتم بهذا المصدر من مصادر التفسير بالمأثور.

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين

وهم الجيل الأول بعد جيل الصحابة تربوا على أيدي الصحابة الكرام، وعنهم أخذوا القرآن وسنة النبي- ﷺ.

والمراد بالتابعين من أتى بعد الصحابة من أهل العلم، قبل انتشار التدوين، فينظر في كلامهم في التفسير عند فقد الأثر عن الصحابة، وذلك على سبيل الاستحباب، فقد كان عهدهم قريباً من عصر النبوة، وحملوا العلم عن أصحاب النبي ﷺ وتتلمذوا عليهم، وتأدبوا بأدبهم مع ما أوتوا وعرفوا به من الدين، والصدق، والأمانة، وصحة الاعتقاد، وسلامة المنهج، والبعد عن التكلف.

بعض العلماء يجعل أقوال التابعين حجة ملزمة وبعضهم لم يعتبرها كذلك إلا أنه يأخذ بها ويميزها عن أقوال من جاء بعدهم[3].

ومن الذين اشتهروا في التفسير من التابعين: أصحاب ابن عباس كمجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان اليماني، وأبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، فكانوا أعلم الناس بالتفسير لأنهم

([1]) رواه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة حم السجدة، رقم (٣٢٥٠)، وفي سنده سهيل بن أبي حزم القطعي، وهو ضعيف.

([2]) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٣٢٠-١٣٢١).

([3]) البرهان، الزركشي، (٢/٢٩٤)، - الإتقان، السيوطي، (٦/٢٢٨٦-٢٢٨٧)، - إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، (ص٨٩)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

صحبوا ابن عباس وتتلمذوا عليه[1].

ومن أوثق من روى عن ابن عباس مجاهد، واعتمد على تفسيره الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهم[2].

وقال سفيان الثوري:(إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به)[3].

وكل هؤلاء من مدرسة ابن عباس في مكة.

وكذلك من أشهرهم تلاميذ أبي بن كعب في المدينة: مثل زيد بن أسلم، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي[4].

وكذلك أيضاً من أشهرهم تلاميذ ابن مسعود في العراق: مثل مسروق بن الأجدع، وقتادة بن دعامة السدوسي، والحسن البصري، وعطاء بن أبي مسلم الخرساني، ومرة الهمذاني، وعلقمة بن قيس النخعي، وعامر الشعبي، وإبراهيم النخعي، وأغلب هؤلاء أخذوا عن ابن مسعود[5].

وبالاستقراء لتفسير ابن جزي تجد أنه لا ينقل عنهم إلا قليلاً وكأنه مع الذين

---

(1) الإتقان، السيوطي، (٢٣٣٩/٦)، – التفسير والمفسرون، الذهبي، (٧٦/١-٨٦) .

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية،(٣٣٢/١٣)،– دقائق التفسير، ابن تيمية،١٤٠٤هـ(١٤٤/٣) مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية،– الإتقان نقلاً عنه(٢٣٤٠/٦).

(3) تفسير الطبري(٩١/١)، – مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٣٢/١٣و٣٦٩)، – تفسير ابن كثير(١٠/١)، – الإتقان، السيوطي، (٦/ ٢٣٤٠).

والأئمة كالشافعي وأحمد والبخاري ونحوهم يعتمدون على تفسيره والبخاري في صحيحة أكثر ما ينقله من التفسير ينقله عنه.

– دقائق التفسير، ابن تيمية،(١٤٤/٣)،وبمثله في مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٣٢/١٣)، – الإتقان، السيوطي، (٦ /٢٣٤٠).

(4) التفسير والمفسرون، الذهبي، (١/ ٨٦-٨٨).

(5) التفسير والمفسرون، الذهبي، (٨٨/١– ٩٥).

قالوا إنه لا يؤخذ بتفسير التابعي على أنه حجة، وذلك لأنهم ليس لهم سماع من رسول الله ﷺ فلا يمكن الحمل عليه كما قيل في تفسير الصحابي: إنما هو محمول على سماعه من النبي ﷺ ولأنهم لم يشاهدوا القرآن والأحوال التي نزل عليها القرآن، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد من النص القرآني، ومع ذلك فعدالة التابعين غير منصوص عليها كما نُصَّ على عدالة الصحابة.

ولعل ابن جزي قد انطلق من ذلك فلم يكثر من الرواية عن التابعين كما فعل في نقله عن الصحابة، لكنه ذكرهم في طبقات المفسرين، وقال الطبعة الثانية: التابعون وأحسنهم كلاماً ...

فمن الأمثلة في ذلك:

عند تفسيره لمعنى الدين الخالص في قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ﴾ الزمر: ٣، قال: قيل: معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص، ويحتمل أن يكون معناه: إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام، الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره، ومعنى الخالص: الصافي من شوائب الشرك، وقال قتادة: الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله، وقال الحسن: هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه[1].

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ غافر: ٧٢، قال: هذا من قولك: سجرت التنور إذا ملأته بالنار، فالمعنى أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره: توقد بهم النار[2].

وابن جزي يذكر أقوالاً كثيرة ولكنه لا ينسبها لأصحابها، ويقول عندها قيل: كذا، وقيل: كذا، وقد ذكر في مقدمته بأنه سيفعل ذلك قصداً للخروج من عهدته، ولعل كثيراً من هذه الأقوال هي من أقوال التابعين، لكنه لم ينسبها لهم لاعتقاده أنها تحتمل

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (١٢٧٩/٣).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١٣١٢/٣).

الصواب والخطأ، فأوردها دون ذكر صاحبها، والله أعلم[1].

وبهذا ندرك مدى اعتماد ابن جزي رحمه الله على التفسير بالمأثور في كتابه التفسير.

خامساً: تفسير القرآن باللغة العربية

لأن القرآن نزل باللغة العربية، واعتمد أساليبها في الخطاب[2]، واستدل الصحابة باللغة[3]؛ حيث فسروا الظلم بما يعرفون من لغتهم، ولم ينكر عليهم النبي ﷺ هذا الصنيع، بل فسر لهم المراد من الآية.

بل حكى صاحب (كتاب المباني) إجماع الصحابة على جواز تفسير القرآن باللغة[4].

ونقل عن السلف تأكيد مثل هذا فقال مجاهد:(لايحل لأحد يؤمن بالله واليوم

---

(1) ابن جزي ومنهجه في التفسير، الزبيري، (١/٤٥٢.٤٥٣).

(2) الإتقان، السيوطي، (٦/٢٢٨٧-٢٢٨٨).

(3) ومن الخطأ الذي يقع به بعض الباحثين أنهم يجعلون أبوعبيدة معمربن المثنى ،والفراء،والزجاج، من أئمة التفسير اللغوي، ولا ينظرون إلى تفاسير الصحابة والتابعين اللغوية، ويجعلونها من التفسير بالمأثور، وسبب الخطأ هواعتماد مصطلح المأثور، فالصحابة والتابعون لهم الإمامة بالتفسير اللغوي.

فالصحابة عرب خلص وبلغتهم نزل القرآن والتابعون أخذوا عنهم العلم، وهم في عصر الاحتجاج فكيف لايكون أئمة اللغة، وهذا لايعني هضم هؤلاء حقهم ولكن المقصود أن رتبتهم دون رتبة الصحابة والتابعين .- فصول في أصول التفسير، الطيار(٤٥-٤٦) بتصرف.

(4) مقدمتان في علوم القرآن، وهما مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية، نشرهما من المخطوطات المحفوظة، دارالكتب ببرلين، ودار الكتب المصرية، ووقف على تصحيحهما وطبعهما، المستشرق الدكتور: أرثرجفرى، (ص٢٠١)، مكتبة الخانجي، مصر١٣٧٥هـ، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٤م.

الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)[1].

وشدد الإمام مالك[2] على من فسر القرآن وهوغير عالم بلغة العرب؛ حيث قال:(لا أوتى برجل يفسر كلام الله وهو لايعرف لغة العرب إلا جعلته نكالاً)[3].

ونفسر ماكان محتملاً لأكثرمن معنى في اللغة العربية أن يحمل على المعاني كلها بشرط أن لا يكون هناك تعارض ولاتناقض في السياق، ويكون غالباً في الألفاظ المشتركة، وقد يترجح إحداها.

وإن كان اللفظ لايحتمل إلا أحد المعاني من معاني اللفظ؛ لايجوز التفسير به إلا أن تكون اللفظة المفسرة صحيحة في اللغة العربية ويكون التفسير على الأغلب المعروف من لغة العرب دون الشاذ أو القليل[4].

ويكون التفسير كذلك بمراعاة السياق للفظة، وأن يقدم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي إذا تعارضا، إلا إذا دل الدليل على إرادة المعنى اللغوي، لأن القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة، وأن يعرف ملابسات النزول إذا احتاجها المفسر عند تفسير لفظة ما؛ لكي يعرف المراد بها في الآية[5].

---

(1) البرهان، الزركشي، (1/ 396)، – الإتقان، السيوطي، (6/ 2293).

(2)هو: أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الحميري ثم الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وشيخ الإسلام وحجة الأمة، وأحد الأئمة الأربعة وإليه ينسب المذهب المالكي، كان محدثاً وفقيهاً، من مؤلفاته: رسالة في القدر، ورسالة في الأقضية وغيرها توفي سنة ١٧٩هـ.

– تهذيب التهذيب، ابن حجر، (٥/١٠)، – وفيات الأعيان، ابن خلكان، (١٣٥/٤)، – طبقات المفسرين، الداوودي، (٢٩٣/٢)،– الأعلام، الزركلي، (١٢٨/٦)، – معجم المفسرين، نويهض، (٤٦٠).

(3) البيهقي في شعب الإيمان، فصل في ترك التفسير بالظن، برقم (٢٢٨٧)(٤٢٥/٢– ٤٢٦) و(٥٤٣/٣)، – البرهان، الزركشي، (٣٠٢/٢)، – الإتقان، السيوطي،(٢٢٨٨/٦).

(4) الإتقان، السيوطي، (6/ ٢٢٩٠ و٢٣٠١ و ٢٣٠٥).

(5) تفسير الطبري (٩٢/١–٩٣).

يقول الشاطبي[1]: (من أراد تفهم القرآن، فمن جهة لسان العرب يُفهم، ولاسبيل إلى تطلّب فهمه من غير هذه الجهة)[2].

قال ابن جزي _ عند ذكره لوجوه الترجيح _: (الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب ...)[3].

فمن الأمثلة في ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ الصافات:٤٩، قال: قيل شبههن في اللون ببيض النعام، فإنه بياض خالطه صفرة حسنة، وكذلك قال امرؤ القيس[4]:

كبكر مقناة البياض بصفرة، وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشرة الأولى، وقيل: أراد الجوهر المصون[5].

---

(1) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، الشهير بالشاطبي، حافظ ثقة، محدث، مفسر، أصولي، من أئمة فقهاء المالكية، من أهل الغرناطة، من مصنفاته: الاعتصام ولم يتمه، والموافقات، والإفادات والإنشادات، توفي ٧٩٠هـ.
– الأعلام، الزركلي، (٧١/١)، – معجم المؤلفين، كحالة، (١١٨/١)،– معجم المفسرين، نويهض، (١/ ٢٣).

(2) الموافقات، الشاطبي، (٢/ ١٠٢).

(3) التسهيل، ابن جزي، (٨٣/١).

(4) هو: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عديّ، وكان أبوه ملك أسد وغطفان،ليس يعرف تاريخ ولادة امرؤ القيس ولا تاريخ وفاته، ويصعب الوصول إلى تحديد تواريخ دقيقة،وتذهب بعض الدراسات الحديثة إلى أن امرؤ القيس توفي بين عام ٥٣٠م. وعام ٥٤٠م. وأخرى إلى أنّ وفاته كانت حوالي عام ٥٥٠م. وغيرها تحدّد عام ٥٦٥م، إلاّ أن هناك بعض الأحداث الثابتة تاريخياً ويمكن أن تساعد على تحديد الفترة التي عاش فيها.

(5) التسهيل، ابن جزي، (١٢٣٨/٣).

ترجيح ابن جزي بقول الشعر استدلالاً على المعروف من كلام العرب، وترجيحه هو قول الجمهور.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ الصافات:١٢٥، قال: البعل في اللغة: الرب بلغة أهل اليمن، وقيل: بعل اسم صنم يقال له بعلبك[١].

وهذا من باب الاستدلال بقول العرب.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ الصافات:١٧٧، قال: الساحة: الفناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محظور وسوء، فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ الصباح مستعمل في ورود الغارات والرزايا، ومقصد الآية التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا، فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذرهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه، حتى جاءهم الجيش وأهلكهم[٢].

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ ص: ٢٣، قال: هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين، والنعجة في اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهي هنا عبارة عن المرأة[٣].

وبعد مرور المفسّر بالمصادر السابقة، وعدم وجوده بغيته فيها يأتي إلى المصدر السادس، ألا وهو إعمال عقله، للوصول إلى مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، بعد توافر شروط التفسير فيه، ومراعاة الضوابط المطلوبة لسلامة تفسيره[٤]،

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (١٢٤٧/٣).

(٢) التسهيل، ابن جزي، (١٢٥٣/٣).

(٣) التسهيل، ابن جزي، (١٢٦٢/٣)، وسيأتي التفصيل في آيات القصص.

(٤) القرطبي في مقدمة تفسيره (٣٤/١).

واتباعه خطوات المنهج الأمثل في التفسير[1].

تقدم بيان تفسير القرآن باللغة العربية من خلال استعمالها عند المفسرين والاستشهاد بأشعارها، والتفسير باللغة تفسير بالاجتهاد والاستنباط _ وبما يسمى (التفسير بالرأي) فكلها مصطلحات تدل على مدلول واحد عند علماء علوم القرآن _ لا من جهة أن اللغة تثبت بالرأي، وإنما من جهة تحديد كون ذلك المعنى هو المراد بالآية أو اللفظ المعين من القرآن.

واستعمال اللغة العربية مجرداً في تفسير القرآن من أخطر مايستعمله المفسر لأن اللغة العربية واسعة الاحتمالات للفظ، وتتنوع أساليبها في تركيب الكلام، فيصعب تنزيلها على ألفاظ القرآن وتراكيبه دون أصل يرتكز عليه المفسر[2].

ثم إن الاقتصار على مجرد اللغة لا يعني المراد الشرعي بالألفاظ كما تقدم.

أما الاجتهاد من قبل أهل العلم في تفسير مالم يرد فيه النص فواجب، كما تقدم، والاجتهاد إظهار للرأي في ايضاح معنى آية، لكن شتان بين مجتهد بذل غاية

([1]) أن يكون من أصحاب الأهلية العلمية في الاجتهاد والاستنباط، وقد حكى السيوطي في الإتقان عن بعض العلماء اشتراط خمسة عشر علماً لتلك الأهلية، (٦/٢٢٩٣-٢٢٩٨) .

بل أول من بين هذه الشروط هو: شمس الدين الراغب الأصفهاني كما في كتاب مقدمة جامع التفاسير (ص٩٤- ٩٦).

وإذا كان في اشتراط إتقان هذه العلوم مبالغة، فإن كثيراً من الناس قد تساهل في تحصيل مايؤهله منها للنظر في كتاب الله سبحانه فولج إلى التفسير من غير أن يكون من أهله، وذلك ممنوع إجماعاً.

يقول الإمام النووي: يحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة والإجماع منعقد عليه ...إلخ التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق بشير محمد عيون،(ص١٦٦-١٦٧) مكتبة المؤيد ودار البيان،الطائف، ودمشق، الطبعة الأولى،١٩٩١م.

([2]) الموافقات، الشاطبي، (٢/٦٥-٦٦)،- التفسير القيم، ابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي،(ص٢٦٨) دار الكتب العلمية، بيروت.

وسعه وهو أهل لذلك ؛ قد ملك الآلة، وأتى الأمر من بابه، وبين متكلف قد صرفته الأهواء كيف شاءت، فاستن بسنة من سبق من أهل الضلالة في التحريف والتبديل.

فلذا كان الإمام ابن جزي والإمام الشوكاني في تفسيرهما ممن جمع بين الطريقتين و هذا يدل على سعة علمهما وتخصصهما، رحمهما الله تعالى.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام الشوكاني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الشوكاني.

المطلب الثاني: عصر المؤلف.

المطلب الثالث: التعريف بتفسير الشوكاني.

المطلب الأول: التعريف بالإمام الشوكاني، وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: اسمه ونسبه ومولده.

المسألة الثانية: نشأته وطلبه للعلم.

المسألة الثالثة: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المسألة الرابعة: مكانته العلمية.

المسألة الخامسة: شيوخه وتلاميذه.

المسألة السادسة: مؤلفاته ووفاته.

المسألة الأولى: اسمه ونسبه ومولده.

اسمه ونسبه:

هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن إبراهيم بن محمد العفيف بن محمد بن رزق الشوكاني، ثم الصنعاني.

كنيته ولقبه: أبو علي[1].

الشوكاني : فهو نسبة إلى هجرة شوكان، وهي قرية من قرى السحامية، إحدى قبائل خولان، بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم[2].

الصنعاني : فنسبة إلى مدينة صنعاء عاصمة اليمن، التي استوطنها والده ونشأ فيها بعد ولادته في الهجرة[3].

مولده:

ولد نهار يوم الاثنين، الثامن والعشرين من ذي القعدة ، سنة ثلاثة وسبعين بعد مائة وألف ١١٧٣ هـ في هجرة شوكان، وهي قرية صغيرة جنوب (شوكان)، تبعد عن صنعاء شرقاً نحو عشرين كيلو متر تقريباً، وهي إحدى قرى (السحامية) من بلاد خولان العالية الطيال[4].

---

(1) ترجم الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى لنفسه في كتابه، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق محمد حسن حلاق، (٢/ ٢١٤)، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

(2) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٤٨٠) – معجم البلدان والقبائل اليمنية، إبراهيم أحمد المقحفي، (٨٨٣/١) دار الكلمة– صنعاء، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٢م.

(3) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٢١٥).

(4) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٧٦٨).

المسألة الثانية: نشأته وطلبه للعلم.

نشأ الشوكاني بصنعاء في بيئة ميسورة الحال، حيث كان أبوه من العلماء الكبار وكان يشغل منصب قاضي صنعاء[١] مما كان له أكبر الأثر في تكوين شخصية الشوكاني العلمية، فقد كفاه مؤونة طلب الرزق مما جعله يتفرغ لطلب العلم، فقال عن هذا: (ولقد بلغ والدي معي إلى حد من البر والشفقة والإعانة على طلب العلم والقيام بما أحتاج إليه مبلغاً عظيماً، بحيث لم يكن لي شغلة بغير الطلب، فجزاه الله خيراً، وكافأه الحسنى)[٢].

وقد ابتدأ الشوكاني بقراءة القرآن على جماعة من مشايخ صنعاء، وفي أثناء ذلك كان قد حفظ عدة مختصرات في الفقه والنحو والعروض وآداب البحث وعلوم اللغة، وطالع عدة كتب من كتب التاريخ والأدب.

ثم شرع في طلب العلم، فدرس على والده، وعلى البارزين من العلماء في عصره في مختلف العلوم: الدينية واللسانية والعقلية والرياضية والفلكية.

وكان طلبه للعلم في صنعاء نفسها، ولم يرحل عنها على عادة طلاب العلم لعدم إذن أبويه له في الرحلة، فكان عند إذنهما[٣].

وقد قرأ الشوكاني على عدة مشايخ مما ساعد على تنوع ثقافته واتساع معرفته، وقد ذكر في كتابه " أدب الطلب ومنتهى الأرب " شيئاً عن طلبه للعلم وشغفه به.

وظل يأخذ عن شيوخه حتى استوفى كل ما عندهم من كتب، بل زاد في قراءته الخاصة على ما ليس عندهم.

---

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ١٠٦).

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٣٣١).

(٣) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ١٠٨).

وكان الشوكاني في أثناء طلبه يقوم بالتدريس لرفقاء التعليم، فكان يلقي ما يأخذه عن مشايخه إلى تلاميذه الذين اجتمعوا عليه، ولذلك كانت دروسه تبلغ في اليوم والليلة ثلاثة عشر درساً، منها ما يأخذه عن مشايخه، ومنها ما يلقيه على تلاميذه[١].

وفي الجملة فقد درس دراسة واسعة، واطلع على مختلف العلوم والفنون، وهذا ساعده على الاجتهاد، وعلى هجر التعصب المذهبي، والتحرر من ربقة التقليد[٢].

وكادت الفتيا تدور عليه من أعوام الناس، وخواصتهم، واستمر يفتى من نحو العشرين من عمره فما بعد ذلك، وكان لا يأخذ على الفتيا شيئا تنزها، فإذا عوتب في ذلك قال أنا أخذت العلم بلا ثمن، فأريد إنفاقه كذلك[٣] فرحمه الله تعالى رحمة الأبرار فقد أفنى عمره في خدمة العلم طلبا له؛ بحرصه على مزاحمة العلماء، والأخذ عنهم إلى جانب التدريس، والإفتاء.

---

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ١٠٩).

(٢) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، عبدالله نومسوك، (٨٧/١).

(٣) البدر الطالع، الشوكاني، (٧٧١/٢ـ٧٧٢)، – معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس،(١١٦٠/٢)، مطبعة سركيس– مصر، ١٩٢٨م.

المسألة الثالثة: عقيدته ومذهبه الفقهي.

أولاً:عقيدته:

لقد نهج الشوكاني منهج أهل السلف الصالح في العقيدة، و وافقهم في جميع أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر وفي خلق أفعال العباد[1]، وحكم مرتكب الكبيرة، ولم يخالفهم إلا في مسائل قليلة، وكان رأيه في بعضها يخالف ما بينه من كتاب لآخر، كما في بعض الصفات، فسار على منهج السلف في الصفات جملة لا تفصيلاً، وقرره وأثنى عليه، وذم علم الكلام وأهله.

قال رحمه الله تعالى:(لا ينبغي لعالم أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة، وإبراز الصفات كما جاءت، ورد علم المتشابه إلى الله سبحانه، وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدوَّنة في هذا العلم – أي علم الكلام– المبنية على شفا جرف هار من أدلة العقل بما يطابق الهوى، لا سيما إذا كانت مخالفة لأدلة الشرع الثابتة في القرآن والسنة، فإنها حينئذ حديث خرافة ولعبة لاعب، فلا سبيل للعباد يتوصلون به إلى معرفة ما يتعلق بالرب سبحانه، وبالوعد والوعيد، والجنة والنار، والمبدأ والمعاد، إلا ما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وليس للعقول وصول إلى تلك الأمور...)[2].

وقال رحمه الله:(الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون

([1]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، (٥/ ٢٧٥-٢٧٨)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.

([2]) أدب الطلب ومنتهى الأرب، الشوكاني، تحقيق محمد بن عثمان الخشت،(ص١٤٦)، مكتبة الساعي، الرياض.

ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد كانوا رحمهم الله وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يتأولون وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل)[1].

وقال أيضاً:(إن مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القال والقيل وقالوا قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين)[2].

وقال رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١: ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين فى الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى قوله (وهو السميع البصير) فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفي للمماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب، فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة

([1]) التحف في مذاهب السلف، الشوكاني، تحقيق سيد عاصم،(ص١٩)، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى،١٩٨٩م.

([2]) التحف، الشوكاني (ص٢٠).

النيرة والبرهان القوى فإنك تحطم بها كثيراً من البدع وتهشم بها رؤوساً من الضلالة، وترغم بها آناف طوائف من المتكلفين[1].

فالصفات التي وافق فيها مذهب السلف:

١_ صفة الاستواء.

٢_ صفة الرؤية.

٣_ صفة المعية.

٤_ صفة الساق.

٥- صفة القدرة والمشيئة.

٦-صفة الحياة[2].

وهناك بعض الصفات التي سار على منهج أهل التأويل:

١_ صفة الوجه.

٢_ صفة العين.

٣_ صفة اليد.

٤_ صفة العلو.

٥_ صفة المجيء.

٦- صفة الاتيان.

٧_ صفة المحبة.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/ ٥٢٨).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٢/ ٢١١) و(٥/ ٣٣٨) و(٢/ ٣٦٢) و(١٦٦/٥) و(٥/ ٢٧٥-٢٧٨) و(٤٢٥/٤) و(٤٥٨/٤) و(٥٩٥/٤).

٨_ صفة الغضب[١].

وهذا التأويل مناقض لمنهجه في رسالته التحف في إثبات الصفات على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو مذهب السلف.

وأورد الشوكاني رحمه الله تعالى أحاديث ضعيفة ومنكرة في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كتبه، وألّف في آخر عمره كتابه: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، حيث بيّن فيه نكارة كثيرٍ من تلك الأحاديث.

وهذا يدل على أنه لم يتبيّن له ما في تلك الأحاديث من النكارة، ولمّا نضج علمه توصّل إلى هذه النتيجة في الحكم عليها، وهو أمرٌ يدلُّ على تطوّر في علمه بعلوم الحديث، شأنه كشأن غيره من العلماء المجتهدين.

وقد ذبَّ رحمه الله عن أعراض الصحابة -رضي الله عنهم- فألف رسالة سماهاإرشاد الغبي إِلَى مَذْهَب أهل الْبَيْت في صحب النبي ﷺ فلقي الأذى بسبب ذلك، قال الإمام الشوكاني: نقلت إجماعهم من ثلاث عشرة طريقة على عدم ذكر الصحابة بسب، أو ما يقاربه وقعت هذه الرسالة بأيدي جماعة من الرافضة[٢] الذين بصنعاء المخالفين

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٤/ ١٨٩) و(٢/ ٤٩٧) و(٣/٣٦٥) و(٣/٤٨١) و(٥/١٠٢) و(٥/١٢٣) و(٤/٥٢٠) و(٤/٥٢٠) و(٤/٥٣٠) و(٤/٥٦٥) و(٢/ ١٠٤) و(٢/١٢٤) و(٣/٦٧) و (٥/٢٨٨) و (٥/ ٤٤٠) و(١/ ٢١٠-٢١١) و(٢/١٨١) و(١/ ٣٣٣) و(٣/ ٣٨٠).

(٢) الرافضة: اسم فاعل من رفض الشيء إذا استبعده، وسموا بذلك لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين حين سألوه: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما، وقال: هما وزيرا جدي.فرفضوه وتركوه، وكانوا في السابق معه، لكن لما قال الحق المخالف لأهوائهم؛ نفروا منه والعياذ بالله، فسموا رافضة. وأصل مذهبهم من عبد الله بن سبأ، وهو يهودي تلبس بالإسلام، فأظهر التشيع لآل البيت والغلو فيهم ليشغل الناس عن دين الإسلام ويفسده.

- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، (١/٤١٢)،دار ابن الجوزي- السعودية، الطبعة الثانية.

لمذاهب أهل البيت، فجالوا، وصالوا، وتعصبوا، وتحزبوا، وأجابوا بأجوبة ليس فيها إلا محض السباب، والمشاتمة، ... لم أذكر فيها إلا مجرد الذب عن أعراض الصحابة الذين هم خير القرون مقتصرا على نصوص الأئمة من أهل البيت؛ ليكون ذلك أوقع في نفوس من يكذب عليهم، وينسب إلى مذاهبهم ماهم منه برآء[1].

كما دوّن الرسائل في الدعوة إلى تطهير عقيدة التوحيد من الشرك، وتخليص ما دخل على حياة الناس، وتدينهم من البدع، والخرافات، ويظهر ذلك جلياً في رسالته شرح الصدور بتحريم رفع القبور، حيث قال: وسنوضح ما صح عن رسول الله -ﷺ- في غير حديث من النهى عن رفع القبور، والبناء عليها، ووجوب تسويتها، وهدم ما ارتفع منها[2].

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (١/٢٧٣- ٢٧٤).

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور، الشوكاني، (ص١١)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م.

ثانياً: مذهبه الفقهي:

وقد تفقّه الشوكاني رحمه الله في أول حياته على مذهب الزيدية[١]، وبرع فيه، وقد ساعدته الثقافة الواسعة، وذكاؤه الخارق، إلى جانب إتقانه للحديث وعلومه، والقرآن وعلومه، والفقه، وأصوله، على الاتجاه نحو الاجتهاد، وخلع ربقة التقليد، وهو دون الثلاثين، فصار علماً من أعلام المجتهدين، وأكبر داعية إلى ترك التقليد، وأخذ الأحكام اجتهاداً من الكتاب والسنة ، وأصبح لا يتقيّد بفرقة من الفرق أو مذهبٍ من المذاهب، فكان رحمه الله شخصية قوية شجاعة حتى أنه ألف كتابه الشهير: (السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار)، وكتاب الأزهار هذا كما قال الإمام الشوكاني: إنه عمدة زيدية اليمن في جميع جهاته[٢]، فلم يقيد نفسه بمذهب الزيدية، بل صحح ما أداه إليه اجتهاده بالأدلة، وزيّف ما لم يقم عليه الدليل، فثار عليه الزيديين المتعصبين لمذهبهم في الأصول والفروع، فكان يقارعهم بالدليل من الكتاب والسنة، وكلما زادوا ثورةً عليه زاد تمسكه بمسلكه، حتى ألف رسالة سماها:القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ذهب فيه إلى ذم التقليد وتحريمه[٣]، وهكذا اختار الإمام الشوكاني لنفسه مذهباً لا يتقيد فيه برأي معين من آراء العلماءالسابقين، بل على حسب ما يؤديه إليه اجتهاده، وهذا ما

---

(١) المذهب الزيدي يرجع نسبته إلى زيد بن علي زين العابدين توفي سنة ١٢٢هـ؛ الذي صاغ نظرية شيعية في السياسة،والحكم، وقد جاهد من أجلها، وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة، ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

– الموسوعة الميسرة في الأديان، والمذاهب والأحزاب المعاصرة للندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٧٦/١).

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (١٥٦/١).

(٣) مقدمة تحقيق الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد– صنعاء، بدون طبعة،(١/ ٢٥)، – أدب الطلب، الشوكاني، (ص٣٤).

يلحظه القارئ لكتابه:(نيل الأوطار) حيث ينقل آراء ومذاهب علماء الأمصار، وآراء الصحابة، والتابعين، وحجة كل واحد منهم، ثم يختار منها ما يراه راجحاً مختاراً.

قال رحمه الله:(لا نطلب من كل فرد من أفراد العباد أن يبلغ رتبة الاجتهاد بل المطلوب هو أمر دون التقليد، وذلك بأن يكون القائمون بهذه المعايش، والقاصرون إدراكا، وفهما، كما كان عليه أمثالهم في أيام الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وهم خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وقد علم كل عالم أنهم لم يكونوا مقلدين، ولا منتسبين إلى فرد من أفراد العلماء بل كان الجاهل يسأل العالم عن الحكم الشرعي الثابت في كتاب الله، أو سنة رسوله، فيفتيه به، ويرويه له لفظا، أو معنى، فيعمل بذلك من باب العمل بالرواية لا بالرأي، وهذا أسهل من التقليد، فإن تفهم دقائق علم الرأي أصعب من تفهم الرواية بمراحل كثيرة)[1].

وقد تعرّض في سبيل هذه الدعوة لأذى كثير من المتعصّبين والمقلّدين في عصره، واتّهموه بالدعوة إلى هدم مذهب أهل البيت، وهو بريء من هذه التهمة، وهذا شأنهم مع كل عالمٍ مجتهدٍ آخذٍ بالدليل.

---

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، الشوكاني، تحقيق محمد سعيد البدوي،(ص٣٤) دار الكتاب المصري–القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩١م.

المسألة الرابعة: مكانته العلمية.

الإمام الشوكاني من أئمة المسلمين فقد برع وتفوق في مختلف العلوم، كالتفسير، والحديث، والفقه، والنحو، واللغة، والأدب، والتاريخ، فجمع – رحمه الله– بين هذه العلوم، وتبحر فيها، ولذكائه ودهائه، وسعة علمه واجتهاده، وتحرره من التقليد، وتمسكه الفعلي بالكتاب، والسنة، وتقديمهما على ما سواهما صار علامة زمانه، وقاضي قضاة اليمن؛ ولمكانته العلمية الرفيعة اتفق على إمامته المؤالف والمخالف، وأثنى عليه العلماء.

قال العلامة حماد الأنصاري[1]: (ما خدم علم الحديث في القرن الحادي عشر، والثاني عشر إلا أهل اليمن، وعلى رأسهم الشوكاني المحدث الكبير الذي خدم الحديث خدمة لا مثيل لها في ذلك الزمن، وقال: إن الشوكاني صاحب علم، وسياسة استطاع أن يسلك بالزيدية طريق السنة[2]، وقال عنه الشيخ علي بن إسماعيل المتوكل[3]: القاضي الفاضل الناسك والسالك بلا نكير أحسن المسالك العالم الرباني

(١) هو: أبو عبد اللطيف حماد بن محمد بن محمد الأنصاري الخزرجي، من ولد سعيد بن سعد عبادة الأنصاري الخزرجي –رحمه الله– الشيخ العلامة محدث الديار الحجازية منار العلم، والهدى، ونبراس الصلاح، والتقى، ولد سنة ١٣٤٤هـ ببلدة تسمى (تاد مكة) بأفريقيا الغربية؛ فنشأ بها، وطلب العلم بفنونه على مشايخها، ومن مؤلفاته: بلغة القاصي والداني في تراجم شيوخ الطبراني، فتح الوهاب فيمن اشتهر من المحدثين بالألقاب، إتحاف ذوي الرسوخ بمن عرف بالتدليس من الشيوخ، يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر، وغيرها، توفي بالمدينة المنورة سنة ١٤١٨هـ.
– المجموع في ترجمة العلامة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، عبد الأول بن حماد الأنصاري، الطبعة الأولى، (١/ ١١٥– ١٢٧).

(٢) المجموع في ترجمة العلامة حمادالأنصاري، عبد الأول الأنصاري (٢/ ٧٥٤– ٧٥٥).

(٣) السيد على بن إسماعيل بن علي بن القاسم بن احمد بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد ولد سنة ١١٥١ إحدى وخمسين ومائة وألف بشهارة ونشأ بها وقرأ فى العلوم الأدبية والفقه ومن جملة مشايخه شيخنا السيد العلامة على بن إبراهيم المتقدم ذكره والشيخ العلامة ناصر

البدر محمد بن على الشوكاني حفظه الله وأحله في رضاه أعلا المباني(١).

قال عنه محمد صديق(٢): شيخنا الإمام العلامة الرباني، والسهيل الطالع من القطر اليماني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة بحر العلوم، وشمس الفهوم سند المجتهدين الحفاظ فارس المعاني، والألفاظ، فريد العصر نادر الدهر شيخ الإسلام قدوة الأنام علامة الزمان ترجمان الحديث، والقرآن علم الزهاد، أوحد العباد قامع المبتدعين، آخر المجتهدين، رأس الموحدين تاج المتبعين صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها، قاضي الجماعة، شيخ الرواية، والسماعة عالي الإسناد السابق في ميدان الاجتهاد على الأكابر الأمجاد، المطلع على حقائق الشريعة، ومواردها، العارف بغوامضها، ومقاصدها... أحرز جميع المعارف، واتفق على تحقيقه المخالف، والموالف، وصار مشارا إليه في علوم الاجتهاد بالبنان والمجلي في معرفة غوامض الشريعة عند الرهان[٣].

وقد كان الإمام الشوكاني علم من أعلام القرن الثاني عشر، نهل من مناهل العلم، وأوتي من الفهم، والمعرفة، والحكمة، ما لم يؤت غيره، فصار علامة عصره بلا

بن الحسين المحبشي،- البدر الطالع، الشوكاني، (٤٧٢/١).

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (٤٧٤/١).

(٢) هو: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري القنوجي، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد سنة ١٢٤٨هـ، وتوفي ١٣٠٧ هـ، ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي، له نيف وستون مصنفا بالعربية، والفارسية والهندية، منها بالعربية: حسن الأسوة في ما ثبت عن الله، ورسوله في النسوة، و أبجد العلوم، و فتح البيان في مقاصد القرآن، و الروضة الندية في شرح الدرر للشوكاني.

- الأعلام، للزركلي، (١٦٧/٦- ١٦٨)، - معجم المطبوعات، يوسف اليان سركيس، (١٢٠١/٢).

(٣) أبجد العلوم، محمد صديق خان القنوجي،(صـ٦٨٤)، دار ابن حزم، طبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

منازع، فهو من مفاخر الإسلام، قال عنه الوجيه الأهدل[1]: (إمام عصرنا في سائر العلوم، وخطيب دهرنا في إيضاح دقائق حقائق المنطوق والمفهوم، الحافظ المسند الحجة، الهادي في إيضاح السنن النبوية إلى المحجة، عز الإسلام محمد بن عليّ الشوكاني بلغه الله في الدارين أقصى الأماني... وقد منح الله هذا الإمام ثلاثة أمور لا أعلم إنها في هذا الزمن الأخير جمعت لغيره:

الأول: سعة التبحر في العلوم على اختلاف أجناسها، وأنواعها.

الثاني: كثرة التلاميذ المحققين، والنبلاء المدققين أولي الإفهام الخارقة، والفضائل الفائقة.

الثالث: سعة التأليفات المحررة، والرسائل، والجوابات المحبرَّة التي سامى بها في كثرتها الجهابذة الفحول، وبلغ من تنقيحها، وتحقيقها كل غاية، وسؤل، ثم أشار إلى من أفرد ترجمته بالتأليف، فقال: وبالجملة: فمحل القول في هذا الإمام ذو سعة، فإن وجدت لسانا قائلا فقل:

زد في العلا رفعةً ... وليصنع الحاسد ما يصنع

فالدهر نَحوَيٌّ كما ينبغي ... يدري الذي يخفض أو يرفع

والله المسؤول أن يزيده مما أولاه[2].

وقال عنه الكتاني[1]: كان الشوكاني شامة في وجه القرن المنصرم، وغرة في

---

(١) عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى الأهدل، مؤرخ، من علماء الشافعية في اليمن من أهل زبيد، ولد سنة ١١٧٩ هـ وتوفي فيها سنة ١٢٥٠ هـ. له كتب منها: (النّفس اليماني والروح الريحاني في إجازة القضاة بني الشوكاني) في التراجم، و (فرائد الفوائد) مجلدان، و (الروض الوريف في استخدام الشريف)،

- الأعلام، للزركلي، (٣٠٧/٣).

(٢) النفس اليماني والروح الروحاني في إجازة القضاة بني الشوكاني، عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، تحقيق عبد الله الحبشي، (ص١٩٣)، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

جبين الدهر، انتهج من مناهج العلم ما عمي على كثير ممن قبله، وأوتي فيه من طلاقة القلم، والزعامة ما لم ينطلق به قلم غيره، فهو من مفاخر اليمن بل العرب[٢].

وقال عنه صاحب التفسير والمفسرون: (العلامة محمد بن علي الشوكانى... أخذ في طلب العلم، والسماع من العلماء الأعلام، وجَدَّ في طلب العلم، واشتغل كثيراً بمطالعة كتب التاريخ، ومجاميع الأدب، وسار على هذه الطريقة ما بين مطالعة، وحفظ، وما بين سماع وتلق، إلى أن صار إماماً يُعَوَّل عليه، ورأساً يُرحل إليه، فريداً في عصره، ونادرة لدهره، وقدوة لغيره، بحراً في العلم لا يُجارَى، ومفسِّراً للقرآن لا يُبارَى، ومُحَدِّثاً لا يشق له غبار، ومجتهداً لا يثبت أحد معه في مضمار[٣]، وقال عنه الزركلي[٤]: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء[٥]، وقال عنه صاحب معجم المؤلفين:مفسِّر، محدِّث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم[٦].

---

(١) محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني عالم بالحديث ورجاله، مغربي، ولد بفاس سنة ١٢٦٤ هـ، وتعلم بها، وكان على غير ولاء للأسرة العلوية المالكة في المغرب له تآليف، منها: فهرس الفهارس، واختصار الشمائل، و البيان المعرب عن معاني بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب، توفي سنة ١٣٠٤ هـ. – الأعلام للزركلي، (٦/ ١٨٧).

(٢) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (١٠٨٦/٢).

(٣) محمد حسين الذهبي (٢١١/٢).

(٤) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزِّرِكلي أحد العلماء المعاصرين المولود سنة١٣١٠هـ – ١٨٩٣م، ترجم في كتابه لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين وذكر مصادر كل ترجمة، وبين المخطوط منها والمطبوع.

– لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، (ص٢٨٦) مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة،٢٠٠١م.

(٥) الأعلام، الزركلي، (٦/ ٢٩٨).

(٦) معجم المؤلفين، كحالة، (١١/ ٥٣).

فبهذا يتبين لنا أنه قد بلغ مبلغاً عظيماً من العلم، وتبحر في مختلف الفنون، وأنه صاحب علم وسياسة، وحكمة، وفطنة، وشجاعة، وتقوى، وزهد، حتى امتدحه الناس شعراً ونثراً، وكاتبه الملوك، والعلماء من مختلف الأقاليم، وصارت مؤلفاته منتجع العلماء وسار بها الركبان في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته.

المسألة الخامسة: شيوخه وتلاميذه.

أولاً: شيوخه:

كان الشوكاني مجتهداً في البحث عن العلم والمعرفة، وقرأ على شيوخه أمهات الكتب في شتى العلوم في التفسير وعلومه، والعقيدة، والفقه وأصوله، واللغة وآدابها، والحديث وعلومه، والمنطق، وأدب البحث والمناظرة، وغير ذلك من العلوم التي برع فيها، وتلقى علومه على العديد من المشايخ، وسوف نكتفي هنا بذكر بعض مشايخه المشهورين، وهم كالآتي[1]:

١. والده: القاضي العلامة علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن الشوكاني المتوفى سنة ١٢١١هـ.

فقد تولى ولده بالعناية والرعاية منذ الطفولة، فحفظه القرآن وجوده له، كما حفظه عدداً من المتون ومبادىء العلوم المختلفة، وقرأ عليه في شرح الأزهار وشرح الناظري لمختصر العصيفري[2].

٢. أحمد بن عامر الحدائي (١١٢٧- ١١٩٧هـ)، قرأ عليه: الأزهار وشرحه مرتين، و الفرائض مرتين[3].

٣. إسماعيل بن الحسن المهدي بن أحمد ابن الإمام القاسم بن محمد (١١٢٠-١٢٠٦هـ) قرأ عليه: ملحة الإعراب للحريري، وشرحها، وفي علم

---

(١) ترجمتهم في البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٧٦٩- ٧٧١)، - قطر الولي على حديث الولي، الشوكاني، تحقيق إبراهيم هلال، (ص٤١، ٤٢) دار الكتب الحديثة، بدون طبعه.

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (٣٢٧/١)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق حسن خان، طبع وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، (ص ٤٠٢).

(٣) البدر الطالع، الشوكاني، (٦٢/١)، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، محمد بن محمد زبارة، (٢/ ٣٠٢)، المطبعة السلفية، القاهرة،١٣٤٨، (٢٦٧/١).

الصرف، والمعاني، والبيان، والأموال[١].

٤. عبد الرحمن بن حسن الأكوع (١١٣٥ـ ١٢٠٧هـ) قرأ عليه أوائل الشفاء للأمير الحسين، كتاب في الحديث[٢].

٥. عبد القادر بن أحمد شرف الدين الكوكباني المولود سنة ١١٣٥ هـ والمتوفي سنة ١٢٠٧هـ، قرأ عليه الشوكاني العديد من العلوم مثل: علم التفسير، والحديث، وغير ذلك من الفنون المختلفة [٣].

٦. علي بن إبراهيم بن علي بن عامر الشهيد، المولود سنة١١٤٠ هـ والمتوفي سنة ١٢٠٧هـ[٤].

٧. الحسن بن إسماعيل المغربي (١١٤٠ـ ١٢٠٨هـ) قرأ عليه: بعض الرسالة الشمسيَّة للقطب، و حاشيته للشريف، وفي المطول و حواشيه، وأكمل لديه دراسة شرح الغاية، و حاشيته لسيلان، و العضد، و شرحه على المختصر، و حاشية السعد، وغيرها.

ليس مغربي الأصل، بل نسبة إلى مغارب صنعاء[٥].

٨. صديق علي المزجاجي الزبيدي الحنفي المولود سنة ١١٥٠هـ والمتوفي سنة ١٢٠٩هـ، شيخ الشوكاني بالإجازة في الحديث وغيره [٦].

([١]) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ١٤٥).

([٢]) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٣٣٥)، نيل الوطر، محمد زبارة، (٢/٢٦).

([٣]) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٣٦٠)، نيل الوطر، محمد زبارة، (٢/٤٤).

([٤]) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٤١٦)، نيل الوطر، محمد زبارة، (٢/١٠٦).

([٥]) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ١٩٥)، التاج المكلل، صديق حسن خان، (ص ٣٧١).

([٦]) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٣٥٦).

٩. القاسم بن يحيى الخولاني (١١٦٢. ١٢٠٩هـ) قرأ عليه: الكافية، و شرحها للسيد المفتي، وشرح الخبيصي على الكافية، وحواشيه، وشرح الرضى على الكافية، وبقي منه بقية يسيرة، والشافية، وشرحها للطف الله الغياث، والسعد وشرحه، وشرح الجامي من أوله إلى آخره[١].

١٠. عبدالله بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن قاسم (١١٦٥ـ ١٢١٠هـ). أخذ عنه في أوائل طلبه للعلم شرح الجامي من أوله إلى آخره سمع عليه صحيح البخاري من أوَّله إلى آخره، قال عنه الشوكاني: كان إماماً في جميع العلوم محققاً لكل فن ذا سكينة ووقار قل أن يوجد له نظير[٢].

١١. عبد الرحمن بن قاسم المداني (١١٢١ـ ١٢١١هـ) قرأ عليه شرح الأزهار في أوائل طلبه للعلم، وباحثه بمباحث علميَّة فقهييَّة دقيقة،وكان حجة في سائر العلوم، ومجتهداً مطلقاً، كما يقول الشوكاني عنه[٣].

١٢. يوسف بن محمد بن علاء المزجاجي (١١٤٠ـ ١٢١٣هـ) سمع منه، وأجازه لفظاً بجميع ما يجوز له روايته، وكتب إليه إجازة بعد وصوله إلى وطنه، ومن جملة ما يرويه عنه: أسانيد الشيخ الحافظ إبراهيم الكردي، وهو يرويها عن أبيه عن جده بطريقة السَّماع[٤].

١٣. أحمد بن محمد بن أحمد بن مطهر القابلي الحرازي (١١٥٨_ ١٢٢٧هـ)

---

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٥٣)، نيل الوطر، محمد زبارة، (١٨٤/٢).

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٣٨٠).

(٣) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٣٣٦).

(٤) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٣٥٦).

قال الشوكاني في ترجمته: وقد لازمتُه في الفروع نحو ثلاث عشر سنة، وانتفعتُ به، وتخرَّجت عليه، وقرأت عليه في: الأزهار وشرحه، وحواشيه ثلاث دفعات: الدفعتين الأوليين اقتصرنا على ما تدعو إليه الحاجة، والدفعة الثالثة استكملنا الدَّقيق، والجَّليل من ذلك مع بحثٍ، وتحقيق، ثم قرأت عليه الفرائض للعصيفري[١].

١٤. عبدالله بن إسماعيل النهمي المولود سنة ١١٥٠-١٢٢٨هـ قرأ عليه الإمام الشوكاني النحو، والصرف، والمنطق، والحديث، والأصول، وغير ذلك[٢].

١٥. يحيى بن محمد الحوثي (١١٦٠. ١٢٤٧هـ) أخذ عنه الفرائض، والحساب، والضرب، والمساحة[٣].

وغيرهم من المشايخ والعلماء الأجلاء.

ثانياً: تلاميذه:

تتلمذ على الإمام الشوكاني، ونهل من منهله الصافي في مختلف العلوم العديد من التلاميذ الذين نفع الله بهم الأمة، نقتصر على ذكر بعضهم وهم كالآتي[٤]:

---

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٩٦)، نيل الوطر، محمد زبارة، (١٩٧/٢).

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٣٧٩).

(٣) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٣٤٤).

(٤) ترجمتهم في البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ١٠٦-١٤٠)، - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، تحقيق محمد بهجة البيطار،(ص١٠٧١)، دارصادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، - الفتح الرباني، الشوكاني، (٣٠,٢٩/١)، - اتحاف المهرة بالكلام على حديث لا عدوى و لا طيرة، الشوكاني، تحقيق راشد بن عامرالغفيلي، (ص٢٢)، دار اطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١. أحمد بن عبد الله العمري الضمدي (١١٧٠ – ١٢٢٧هـ)[١].

٢. أحمد بن علي بن محسن بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (١١٥٠ – ١٢٢٢ هـ) [٢].

٣. أحمد بن محمد الشوكاني (١٢٢٩ – ١٢٨١ هـ).

٤. أحمد بن ناصر الكبسي (١٢٠٩ – ١٢٧١هـ).

٥. أحمد بن حسين الوزان الصنعاني (١١٨٦ – ١٢٣٨هـ).

٦. أحمد بن زيد الكبسي الصنعاني (١٢٠٩ – ١٢٧١هـ).

٧. إبراهيم بن أحمد بن يوسف الرباعي، ولد عام ١١٩٩ هـ.

٨. إسماعيل بن أحمد الكبسي.

٩. الحسين بن قاسم المجاهد (١١٩٠ – ١٢٧٦هـ).

١٠. حسن بن أحمد بن يوسف الرباعي الصنعاني. ولد تقريبا على رأس القرن الثاني عشر وتوفي عام ١٢٧٦هـ.

١١. الحسن محمد بن صالح السحولي (١١٩٠ – ١٢٣٤هـ)، هؤلاء بعض تلامذته الذين تتلمذوا على يده ولمزيد من الاطلاع على تراجم العديد منهم ينظر في البدر الطالع، والكتب التي ترجمت لهم[٣].

---

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٧٦) – نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عصام الدين الصبابطي،(١/١٥-١٦)، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى،١٩٩٣م.

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٨٢) .

(٣) البدر الطالع، الشوكاني، – حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، البيطار، – التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار، محمد بن الحسن الشجني، مكتبة الجيل، صنعاء، الطبعة

الأولى،١٩٩٠م، – الفتح الرباني، الشوكاني، – الإمام الشوكاني حياته وفكره، عبدالغني قاسم الشرجبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٨٨م.

المسألة السادسة: مؤلفاته ووفاته.

أولاً: مؤلفاته:

ترك رحمه الله آثاراً علمية رفيعة المنزلة في عصره وبعد عصره، ومصنفات كثيرة نافعة في سائر العلم والمعرفة تزيد على المائة[1]، وهي تدل على قوة الساعد، وعلو منزلته في العلم وسعة الاطلاع ن وقد رزق السعادة في تصانيفه، فقد انتشرت كتبه في كل مكان وتداولها الطلاب والعلماء جيلاً بعد جيل، نورد بعضاً منها هنا: [2]

١_ فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير.

٢- نيل الأوطار، من أسرار منتقى الأخبار.

٣- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات.

٤- التحف في مذهب السلف.

٥_ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.

٦- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار.

٧_ الدرر البهية في المسائل الفقهية.

٨- الدراري المضيئة شرح الدرر البهية.

٩- كشف الشبهات عن المشتبهات.

١٠- البد الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.

وله غير ذلك من المؤلفات المفيدة في سائر فنون العلم والمعرفة، وما ذكر هنا

---

(١) أبجد العلوم، القنوجي، (٣/ ٢٠١).

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٢١٩ وما بعدها)، – نيل الأوطار، الشوكاني،(١/١٧-٢٤)، – الإمام الشوكاني مفسراً،محمد حسن الغماري،(ص٨٢ -٩٦).

من المؤلفات إنما هو على سبيل ضرب المثال لا الحصر.

ثانياً: وفاته:

وكانت وفاته في يوم الأربعاء في السادس والعشرين من جمادى الآخرة، سنة خمسين بعد المائتين والألف ١٢٥٠هـ، بصنعاء عن ستٍ وسبعين سنة وسبعة أشهر. وصُلي عليه بالجامع الكبير بصنعاء رحمه الله.

ودفن بمقبرة خزيمة المشهورة في صنعاء[١].

وكان بين وفاته ووفاة ولده: علي بن محمد نحو شهر، وكان قد توفاه الله قبله، ولم يظهر والده جزعاً، ولا حزناً، وكان ولداً صالحاً، عالماً، مبرزاً في جميع العلوم، وكان نادرة وقته على صغر سنه، قيل: إنه توفي وهو في حدود العشرين – رحم الله الجميع برحمته –، ثم ذكر له تصانيف عددها: ثلاثة وخمسون كتاباً، سماها بأسمائها.

---

(١) الأعلام، الزركلي، (٦/ ٢٩٨)، – نيل الوطر، محمد زبارة، (٢/ ٣٠٢)، – هامش البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ٢٢٥)، – معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، (٨٨٣/١).

المطلب الثاني: عصر المؤلف، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: الحالة السياسية.

المسألة الثانية: الحالة الاجتماعية.

المسألة الثالثة: الحالة العلمية.

المسألة الأولى: الحالة السياسية.

إن البيئة تؤثر في توجه الإنسان وأفكاره ومنهجه، والحالة السياسية والاجتماعية تلعب دوراً كبيراً في أي عالم أو فقيه، لذا كان لابد أثناء الكلام عن هذا الإمام أن نتعرف عن الحالة السياسية والاجتماعية التي عاصرها.

فهذه لمحة مختصرة عن العصر الذي عاش فيه الشوكاني، والبيئة التي نشأ فيها، والتي كان لها الأثر في تكوين شخصيته، وفي نتاجه العلمي، لكي نعرف مدى تأثره، وتأثيره بتلك الأحداث التي عاصرها، وهنا لابد من الإشارة إلى الحالة السياسية، والحالة الاجتماعية، والحالة العلمية في عصره.

عاش الشوكاني – رحمه الله تعالى – في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وامتدت حياته إلى نهاية النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (١١٧٣-١٢٥٠ هـ).

وقد كان العالم الإسلامي في هذه الفترة ممزقاً إلى دويلات وممالك وإمارات صغيرة .

ففي المشرق كانت تتزعمه ثلاث دول إسلامية هي: الدولة العثمانية، والدولة الصفوية [1] في فارس، والدولة المغولية في الهند.

وكانت الدولة العثمانية في وقت ضعفها، حتى قام كثير من الولاة والأمراء بالخروج عليها وتكوين حكومات مستقلة لا تستطيع إخضاع من في حكمها، فكثر

---

(١) الصفوية: دولة شيعية على مذهب الإمامية، حكمت إيران وسائر بلاد فارس من أواخر القرن ١٥ – ١٧٣٧م، ثم دب فيها الضعف.

– الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، (١١٢٥/٢)، دار الشعب، فرانكلين، – انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة، محمد كمال جمعة، (ص٣٣)، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

السلب والنهب وفقد الأمن[١].

فقد عاش اليمن حالة من الاضطراب، وعدم الاستقرار، بسبب التمرد القبلي ضد حكم الأئمة منها والصدامات بين القبائل والعشائر بينها البين.

ومطامع لدول كبرى لليمن باعتبارها لقمة سائغة بسبب الحروب والتناحر بين أبنائها للحكم.

وقد عاش الشوكاني في ظل حكم أربعة ملوك في اليمن وهم:

- المهدي العباس بن الحسين بن القاسم (١١٣١-١١٨٩هـ) [٢] ، وقد أثنى عليه الشوكاني كثيراً ووصفه بأنه [من أفراد الدهر ومن محاسن اليمن] [٣] ، وأنه [آخر من كان منهم نكالاً على القبوريين وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة المشروعة] [٤].
- الإمام المنصور بالله علي بن عباس (١١٥١-١٢٢٤هـ) الذي تولّى الإمامة عام ١١٨٩هـ، بعد وفاة والده المهدي العباس، واستمر في حكمه حتى توفي، وفي عهده تولى الشوكاني منصب القضاء، واستمر في عهد ولده المتوكل وابنه المهدي[٥].

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، عبدالعزيز سليمان نوار،(ص٣٣٥-٣٥٧-٤٩١)، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، - حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، جميل المصري، (٩٢/١ - ١٠١)، دار أم القرى طبع في الجامعة الإسلامية بالمدينة ، الأردن، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٦م، - المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالمتعال الصعيدي، (ص٤٤٦).

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (٢١٧/١-٢١٨) -الأعلام، الزركلي، (٢٦٠/٣).

(٣) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٢١٨) .

(٤) الدرالنضيد في إخلاص كلمة التوحيد، الشوكاني، (١٨٦/١) ضمن الرسائل السلفية.

(٥) البدر الطالع، الشوكاني، (٣١٥/١ -٣٢٠)، - نيل الوطر، محمد زبارة، (١٤٠/٢).

- الإمام المتوكل على الله أحمد بن علي بن عباس (١١٧٠-١٢٣١هـ)، وكانت البيعة له الليلة التي مات فيها والده، وكان الشوكاني أول من بايعه، وقد أشاد الشوكاني بكثير من أعماله وانتصاراته، واستمر حكمه حتى توفي، ثم قام بالأمر بعده ابنه[١].
- المهدي عبدالله (١٢٠٨-١٢٥١هـ) وقد تولى الإمامة عام ١٢٣١هـ إلى أن توفي، وهو آخر من عاصر الشوكاني من الأئمة، وكان الشوكاني أول من بايعه بعد وفاة والده، كما فعل بأبيه[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى ذكر شيء من علاقة هؤلاء الأئمة بآل سعود في نجد وكانت بينهم مراسلات.

فقد تحدث الشوكاني عنهم وأثنى عليهم كثيراً، ووصفهم بأنهم أقاموا الدين الحنيف في جميع البلاد التي فتحوها، وصار أهلها مقيمين لفرائض الدين، وقد كانوا في جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا[٣].

وكان بين الأئمة الزيدية وآل سعود مكاتبات ومقابلات، وقد سجل الشوكاني أخبار تلك الوفود والمكاتبات وهو إذ ذاك كان قاضياً ووزيراً ومستشاراً للدولة[٤].

قال في صدد ترجمته لسعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٥] :(وما زال

---

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (٥٥/١)، نيل الوطر، محمد زبارة، (١٥٣/١).

(٢) المرجع السابق، (٢٦٥/١)، المرجع السابق، (٦٤/٢).

(٣) البدر الطالع، الشوكاني، (١٨٢/١-١٨٣).

(٤) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ٣٥٧).

(٥) جدّه محمد بن سعود الذي ناصر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قاد المترجم له الجيوش في زمن أبيه ثم في زمنه، وفتح كثيراً من البلاد، وأرسل المكاتيب للدعوة إلى التوحيد، مات سنة ١٢٢٩هـ.

- البدر الطالع، الشوكاني، (١٨٢/١)، - التاج المكلل،صديق حسن خان، (ص٣٠١).

الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد، وهدم القبور المشيدة، والقباب المرتفعة، ويكتب إليّ أيضاً مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء، وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها)[1].

فكان لهذه المراسلات أثراً بالغاً في نشر العقيدة السلفية في أنحاء متعددة من اليمن.

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (١/ ١٨٣).

المسألة الثانية: الحالة الاجتماعية.

شهدت بلاد اليمن حالة من الاضطراب، وعدم الاستقرار؛ لكثرة التمرد القبلي، فقد أصيبت الحالة الاجتماعية بالتدهور فكانت هناك أنماط متعددة من الصراع بين القوى الإسلامية المختلفة: بين الأتراك واليمنيين، وبين الأتراك والمصريين، وبين الأتراك وآل سعود إلخ، كل هذا أدى إلى توهين قوة المجتمع الإسلامي وتضاؤل مكانته في العلم.

وعلى المستوى المحلي كان هناك صراع مرير بين المتعصبين وبين المنصفين من العلماء وبين أدعياء العلم والعامة من جهة، وبين علماء الإنصاف والاجتهاد من جهة أخرى(١).

وتعرض المجتمع الصنعاني كثيراً لحملات القبائل التي نشرت في أحيان كثيرة المجاعة حتى الموت، من جراء مطالبها في رفع مقرراتها المالية السنوية، وإن علقت ذلك بالدفاع عن المذهب السائد للدولة(٢).

وكان (الجمود) سمة بارزة في مجتمع الشوكاني، وأما العلماء فقد قعدوا عن أداء أدوارهم الإيجابية في محو الأمية الدينية والثقافية فكانوا يدارون العامة في معتقداتهم الخاطئة، وسلوكياتهم المناقضة لتعاليم الإسلام مما أدى بالعامة وجهلة المتفقهة إلى إلحاق الأذى بالمنصفين ومعهم الإمام الشوكاني بسبب محاربتهم للعصبية والجمود.

وقد تهافت الظلمة الجهلة على مناصب القضاء فأكلوا أموال الناس بالباطل وهم يعلمون.

وأما الظلم الاجتماعي فقد كان سمة غالبة في المجتمع اليمني تبدت مظاهره

---

(١) أدب الطلب، الشوكاني، (ص٨٤-٨٥).

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/٣٤٤-٣٤٨)، أدب الطلب، الشوكاني، (ص٩٩-١٠٣).

في سلوكيات القضاة والعمال (المحافظين) والحكام بمساعدة علماء السوء ووزراء الجور[1].

(١) الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، الشوكاني، (ص ٣٠-٣٣)، ضمن الرسائل السلفية.

المسألة الثالثة: الحالة العلمية.

خالفت الحالة العلمية كلاً من الحالة السياسية والحالة الاجتماعية والدينية، فعلى الرغم من أن عصر الشوكاني كان حافلاً بالصراعات، وساد فيه الجمود والتقليد والجهل في عوام الناس، إلا أن اليمن كانت منتعشة في حركة التأليف، وكان المسجد بصفته المدرسة الأولى للقضاة والعلماء والأدباء مجالاً حيوياً ومؤثراً في المناظرات الفقهية والاجتهادية، بل الأدبية واللغوية، وسائر شعب المعارف الإنسانية، ومن ثمّ فقد نبغ علماء وأدباء كبار في اليمن في حقبة تدنى فيها الفكر العربي الإسلامي، ولم يكن الشوكاني – رحمه الله تعالى – إلا أحد هؤلاء العلماء النابغين من المتأخرين في هذه الفترة [١].

ولعل من العوامل التي دفعت إلى النشاط في حركة الكتابة والتأليف في هذه الفترة وجود الخصومات بين أصحاب المذاهب المختلفة من ناحية، وبين المتعصبين للمذاهب والمنصفين المتحررين من ناحية أخرى، كما أن طبيعة المذهب الزيدي الذي يشترط توافر الاجتهاد في الأئمة والحكام كان عاملاً هاماً في استمرارية الانتاج الفكري في فنون مختلفة، ويعد الشوكاني ومن سبقه من المصلحين اليمنيين داخل اليمن أمثلة حية لتواصل حركة الانتاج الفكري والعلمي[٢].

وكان اليمنيون قبل دخول المذهب الزيدي متمذهبين بالمذهبين المالكي، والشافعي، وكاد أن ينقرض المذهب المالكي، وبقي المذهب الشافعي سائداً في المناطق الوسطى، والجنوبية، والساحلية من اليمن، وكان الشوكاني من الأعلام الذين دعوا إلى إتباع السنة، ومذهب السلف الصالح، بدون تعصب لمذهب من المذاهب،

---

(١) مائة عام في تاريخ اليمن الحديث، حسين عبدالله العمري، (ص١٦)، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

(٢) الإمام الشوكاني حياته وفكره، الشرجي، (ص١٢٩).

وإنما هو الاقتفاء للحق، والدليل، فهما رائداه في كل ما يقرأ، ويرجح من آراء[١]، ولقد استقر في اليمن المذهب الزيدي، والشافعي[٢]، ولكن المذهب الذي ساد في عصر الشوكاني هو المذهب الزيدي الذي عُرف بتفتّحه في العقائد على مذهب المعتزلة[٣]، وفي الفروع على مذاهب أهل السنة[٤]، وتميز المذهب الزيدي في اليمن عن باقي المذاهب بخاصية جوهرية، وهي فتح باب الاجتهاد، وعدم المناداة بغلقه، بل جعل الاجتهاد شرطاً لمن يؤهل نفسه لمنصب الإمامة الزيدية[٥]، ولكن على الرغم من كون التعصب والتزمت أمرين بعيدين عن جوهر الفكر الزيدي، وقواعده العقلية التي انفتحت على الفكر الاعتزالي من ناحية، وعلى مدرسة أهل السنة من ناحية أخرى في مختلف مراحل تطور الفكر اليمني[٦]، فقد شاع في عصر الإمام الشوكاني التقليد لأئمة

---

(١) الفتح الرباني، الشوكاني، (١/١٥).

(٢) تاريخ اليمن فرجة الهموم، عبد الواسع بن يحي الواسعي، (ص٢٩٢)، المطبعة السلفية- القاهرة، ١٩٢٥م.

(٣) هم: أتباع واصل بن عطاء الذي ابتدع القول بأن مرتكب الكبيرة من المسلمين في منزلة بين المنزلتين، واعتزل على ذلك مجلس الحسن البصري، فسموا المعتزلة لذلك، واستقر أمرهم على أصول خمسة مشهورة هي: العدل، التوحيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوعد والعيد، وهم يجمعون بين نفي الصفات ونفي القدر. ولهم ضلالات أخرى، وسموا بالقدرية لنفيهم القدر.

- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، (١/٦٩)، أضواء السلف- الرياض، الطبعة الأولى،١٩٩٩م.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، (٢/٤٩٥)، دار الفكر العربي، بيروت.

(٥) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، العمري، (ص١٧)، - تاريخ المذاهب الإسلامية، لأبي زهرة، (٢/٤٩٦-٥٠٠).

(٦) مقدمة كتاب ديوان الشوكاني أسلاك الجوهر، حسين عبد الله العمري، (ص١٩) دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

المذهب، والتعصب لآرائهم، والتزام التخريج على أقوالهم، بل إذا بلغ بعض معاصريهم إلى رتبة الاجتهاد، وخالف شيئا باجتهاده جعلوه خارجا عن الدين، والغالب عليهم أن ذلك ليس لمقاصد دينية بل لمنافع دنيوية تظهر لمن تأملها، وهي أن يشيع في الناس أن من أنكر على أكابر العلماء ما خالف المذهب من اجتهاداتهم كان من خلص الشيعة الذابين عن مذهب الآل، وتكون تلك الشهرة مفيدة في الغالب لشئ من منافع الدنيا، وفوائدها فلا يزالون قائمين، وثائرين في تخطئة أكابر العلماء، ورميهم بالنصب، ومخالفة أهل البيت، فتسمع ذلك العامة فتظنه حقا وتعظم ذلك المنكِر؛ لأنه قد نفق على عقولها صدق قوله وظنوه من المحامين عن مذهب الأئمة، ولو كشفوا عن الحقيقة لوجدوا ذلك المنكِر هو المخالف لمذهب الأئمة من أهل البيت بل الخارج عن إجماعهم؛ لأنهم جميعا حرموا التقليد على من بلغ رتبة الاجتهاد وأوجبوا عليه أن يجتهد رأي نفسه، ولم يخصوا ذلك بمسألة دون مسألة، ولكن المتعصب أعمى، والمقصر لا يهتدي إلى صواب، ولا يخرج عن معتقده إلا إذا كان من ذوى الألباب مع أن مسألة تحريم التقليد على المجتهد هي محررة في الكتب التي هي مدارس صغار الطلبة فضلا عن كبارهم بل هي في أول بحث من مباحثها يتلقنها الصبيان وهم في المكتب[١].

وقد نشأ الإمام الشوكاني في بيئة دينية علمية يحرص أهلها على تحصيل العلم، وتعليمه قال عنها:وهذه الهجرة[٢] معمورة بأهل الفضل، والصلاح، والدين من قديم الأزمان، لا يخلو وجود عالم منهم في كل زمن، ولكنه يكون تارة في بعض البطون، وتارة في بطن أخرى، ولهم عند سلف الأئمة جلالة عظيمة، وفيهم رؤساء كبار ناصروا الأئمة، ولاسيما في حروب الأتراك، فإن لهم في ذلك اليد البيضاء، وكان فيهم إذ ذاك علماء، وفضلاء يعرفون في سائر البلاد الخولانية بالقضاة[٣].

---

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (٦٨٨/٢).

(٢) هجرة شوكان محل إقامة الشوكاني.

(٣) البدرالطالع، الشوكاني،(١/ ٤٨١)- الإمام الشوكاني رائد عصره، حسين بن عبدالله العمري،(ص٢٥)، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

ومن هنا يتبين أن البيئة الدينية، والعلمية، ممثلة بالأسرة العريقة التي عرفت بالتدين، والعلم، والفضل، قد ساعدت في تكوين شخصية الإمام الشوكاني العلمية الداعية إلى الاجتهاد، وترك التقليد، علاوة على ذلك أن المذهب الزيدي يعد الاجتهاد شرط من شروط الإمامة، فقد استطاع الشوكاني في ظله أن يصل إلى درجة الاجتهاد المطلق، وقام بالدعوة إلى التمسك بالإسلام جملة، وإلى عدم التعصب لأقوال العلماء، أو الأئمة بل الالتزام بالكتاب، والسنة، اللذين أمرنا الله باتباعهما[١].

فمن أعمال الشوكاني اشتغاله بالتدريس في وقت مبكر جداً، نظراً لما لمسه من نفسه من نبوغ أثناء طلبه للعلم، ورغبة منه في رفع الجهل عن الناس وتعليمهم أمور دينهم.

فكان كثير من التلاميذ يلجأون إليه ليأخذوا عنه في فنون مختلفة.

وفي هذا يقول الشوكاني عن نفسه: (وكنت أدرس الطلبة في اليوم الواحد نحو ثلاثة عشر درساً، منها ما هو في التفسير، كالكشاف وحواشيه، ومنها ما هو في الأصول، كالعضد وحواشيه، والغاية وحاشيتها، وجمع الجوامع وشرحه وحاشيته، ومنها ما هو في المعاني والبيان، كالمطول والمختصر وحواشيهما، ومنها ما هو في النحو، كشرح الرضى على الكافية، والمغني، ومنها ما هو في الفقه، كالبحر وضوء النهار، ومنها ما هو في الحديث، كالصحيحين وغيرهما)[٢].

وكان تدريسه في جامع صنعاء، وفي مدرسة الإمام شرف الدين[٣].

وتصدر الشوكاني للإفتاء وهو في سن مبكرة أيضاً، وكان لفتاويه تأثير بالغ، مما جعله المرجع للفتوى في اليمن وما جاورها، وكان رافضاً للأجر المادي على فتاواه،

---

(١) الفتح الرباني، الشوكاني، (١/١٥).

(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (١/٣١٨).

(٣) المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع،(ص٣٦٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٦م.

وعن هذا العمل يقول:(وكان في أيام قراءته على الشيوخ وإقرائه لتلامذته يفتي أهل مدينة صنعاء، ومن وفد إليها، بل ترد إليه فتاوى من الديار التهامية، وكانت الفتيا تدور عليه من عوام الناس وخواصهم، واستمر يفتي من نحو العشرين من عمره، ولا يأخذ على الفتيا أجراً تنزهاً، فإذا عوتب في ذلك قال: أنا أخذت العلم بلا ثمن فأريد إنفاقه كذلك)[١].

واختير الشوكاني للقضاء وهو في سن السادسة والثلاثين، فتولى القضاء العام في مدينة صنعاء، وكان ذلك في عهد الإمام المنصور علي بن المهدي العباس (١١٨٩-١٢٢٤) واستمر في منصبه، ونهض بدور علمي وسياسي بارز.

واعتبر الشوكاني اشتغاله بالقضاء ابتلاء وامتحاناً من ربه، كما اعتبره عارضاً من عوارض العلم[٢]، ولكنه قبل هذا المنصب لأنه لو أحجم عنه أهل الدين والعلم والخلق والاجتهاد لأصبح في أيدي الجهلة والظلمة والمتعصبين.

وقد وجد في هذا المنصب فرصة عملية لتطبيق ما يدعو إليه من الاجتهاد ونبذ التقليد والتعصب، والرجوع بالتشريع إلى طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

وقد سلك في قضائه مسلك العدل، وأعطى كل ذي حق حقه، وكان ورعاً شديداً لا يقبل هدية من أحد، وإن كانت الهدية من أقاربه[٣].

إضافة إلى ما ذكرت فله جهوده في التصنيف، واهتماماته المتعددة في الإصلاح، والسياسة التي تتمثل في مرافقته للأئمة في زياراتهم للمناطق اليمنية[٤] ، وفي

---

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (١٠٩/٢).
(٢) البدر الطالع، الشوكاني، (٣١٨/١).
(٣) نيل الأوطار، الشوكاني، (٤١٧٦/٩).
(٤) البدر الطالع، الشوكاني، (٥٥/١).

القيام بالمراسلات الخارجية[1]، ومحاربته للبدع، ونشر العقيدة الصحيحة، والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك.

(١) البدر الطالع، الشوكاني، (٣٥٧/١).

المطلب الثالث: التعريف بتفسير الشوكاني ، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالكتاب وقيمته العلمية.

المسألة الثانية: منهجه في التفسير.

المسألة الثالثة: مصادره في التفسير.

المسألة الأولى: التعريف بالكتاب وقيمته العلمية.

اسم الكتاب: **(فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)** تأتي قيمة هذا التفسير من علو قدر مؤلفه، ورسوخه العلمي، وتبحره في العلوم المختلفة، ومنها العلوم التي يحتاجها المفسر، واطلاعه الواسع على الكتب المتقدمة، وقد جمع معظم كتب التفسير في المأثور وفي الدراية أيضاً، فهو إمام مجتهد، فقد أعدّ لكتابة هذا التفسير عدتها من العلم بعلوم الآلة، والحديث والآثار التي وردت في التفسير، وأقوال السلف في التفسير والعناية بها، ثم بدأ في التصنيف بعد ذلك، فجاء كتاباً مهذباً مرتباً، أحرز مكانة علمية عالية، وقد أشار – رحمه الله تعالى– في مواضع من تفسيره إلى ترك الإطالة، والإحالة إلى كتب الحديث، أو كتب الفقه، وغيرها، فجاء متوسط الحجم بين كتب التفسير المطولة، والمختصرة، مما جعل هذا التفسير مقرراً في المراكز العلمية، والجامعات، ومصدراً وافياً لطلاب العلم في الجوانب الحديثية، والفقهية، واللغوية؛ ولاشتهار هذا التفسير، وتدريسه للطلاب في الجامعات، والمعاهد الشرعية، فقد طبع طبعات كثيرة لأكثر من محقق ودار نشر.

وقد أثنى على هذا التفسير الكثير من العلماء لما فيه من فوائد جمة، وحسن ترتيب، وأن يعتبر مرجعاً في بابه، قال الإمام الشوكاني في مقدمة تفسيره: فهذا التفسير، وإن كبر حجمه، فقد كثر علمه، وتوفر من التحقيق قسمه، وأصاب غرض الحق سهمه، واشتمل على ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد، مع زوائد فوائد، وقواعد شوارد، فإن أحببت أن تعتبر صحة هذا، فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة، انظر تفاسير المعتمدين على الرواية، ثم ارجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية، ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين، فعند ذلك يسفر الصبح لذي عينين، ويتبين لك أن هذا الكتاب هو لب اللباب، وعجب العجاب، وذخيرة الطلاب، ونهاية مأرب الألباب[1].

(١) فتح القدير، الشوكاني، (١/١٥).

وقال محمد صديق:(لـه التفسير الكبير المسمى: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير وقد سبقه إلى التأليف في الجمع بين الرواية والدراية العلامة: محمد بن يحيى بن بهران[١] فله تفسير في ذلك عظيم لكن تفسير شيخنا أبسط وأجمع وأحسن ترتيبا وترصيفاً[٢]، وقال صاحب التفسير والمفسرون: يعتبر هذا التفسير أصلاً من أُصول التفسير، ومرجعاً مهماً من مراجعه، لأنه جمع بين التفسير بالدراية، والتفسير بالرواية، فأجاد في باب الدراية، وتوسَّع في باب الرواية[٣]، وقال صاحب مقدمة في أصول البحث العلمي: من أحسن التفاسير وأجمعها للرواية والدراية، استفاد من كتب السابقين وأضاف إليها ويذكر القراءات المتعددة وقراءها، ويتعرض للغة والنحو والأخبار. يعد بعض الباحثين هذا التفسير في عداد التفاسير التي صنفها علماء الزيدية، ولكن ليس فيه ما يدل على ذلك، أو ما يخالف مناهج السلف الصالح)[٤].

وقد اشتهر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، وذاع ذكره، وحاز مكانة رفيعة، ونال إعجاب العلماء، وطلاب العلم. قال صاحب كتاب لمحات في المكتبة والبحث والمصادر: أن فتح القدير من أحسن الكتب التي جمعت بين التفسير بالرواية والدراية، ويعد أصلاً من أصول التفسير، وقد استفاد من كتب السابقين وأضاف عليها، واجتهد في بعض المسائل، وخالف بعض العلماء فيها،

---

(١) محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بهران، التميمي النسب، البصري الأصل، الصَّعْدي المولد والوفاة، سراج الدين فقيه، من أكابر الزيدية، من أهل صعدة (باليمن) من كتبه (شرح الأثمار) للإمام شرف الدين، فقه، و(التكميل الشاف لتفسير الكشاف) والتحفة في علوم العربية، والكافل مختصر في أصول فقه الزيدية، و (المعتمد في الحديث، وجواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار، وغيرها، توفي سنة ٩٥٧ هـ.- الأعلام للزركلي، (٧/ ١٤٠).

(٢) أبجد العلوم، محمد صديق، (ص٦٨٤).

(٣) محمد حسين الذهبي، (٢/٢١١).

(٤) مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، (ص٥٨)، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية.

فالكتاب قيم ممتاز يسد فراغًا كبيرًا في المكتبة الإسلامية، لما جمع من الميزات الكثيرة التي لم تجتمع كاملة في غيره من التفاسير[1].

(١) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج الخطيب، (ص١٣، ١٤).

المسألة الثانية: منهجه في التفسير.

لقد سار الإمام الشوكاني في تفسيره على منهج خاص ؛ حيث مزج فيه بمناهج متعددة، وقد تبين هذا من عنوان كتابه، ولذا تجده في تفسيره يستهل بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله – ﷺ–، أما بالنسبة للسورة، فيستهل تفسيرها بذكر اسمها وفضائلها، وبيان المكي من المدني، ثم يشرع في تفسيره للآية بعرض القراءات، ثم اللغة، والإعراب، ثم الشواهد، ثم أسباب النزول، والنسخ، ثم يأتي بالمعنى الإجمالي للآية، وأقوال المفسرين ويرجح بعض الأقوال كقوله: والقول الأول هو الراجح، أو وهو القول الراجح، أو وهذا هو الراجح، ويبين الأحكام المستنبطة من الآية، ثم الروايات من الأحاديث النبوية، والآثار الواردة عن الصحابة الكرام، والتابعين، ومن بعدهم – رضي الله عنهم أجمعين– ويذكر بعض الإسرائيليات في تفسيره، والأحاديث الضعيفة، والموضوعة أحياناً.

وقد وضح الإمام الشوكاني – رحمه الله– منهجه في التفسير في مقدمته بعد أن بين مكانة علم التفسير بقوله: ووطنت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفحول حقيقة، وها أنا أوضح لك منارها، وأبين لك إيرادها وإصدارها فأقول: إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين، وسلكوا طريقين: الفريق الأول اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية، والفريق الآخر جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأسا، وإن جاءوا بها لم يصححوا لها أساسا، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب، وإن رفع عماد بيت تصنيفه على بعض الأطناب، وترك منها ما لا يتم بدونه كمال الانتصاب، فإن ما كان من التفسير ثابتاً عن رسول الله – ﷺ–، كان المصير إليه متعيناً، وتقديمه متحتما، غير أن الذي صح عنه من ذلك إنما هو تفسير آيات قليلة بالنسبة إلى جميع القرآن، ولا يختلف في مثل ذلك من أئمة هذا الشأن اثنان، وأما ما كان منها ثابتا عن الصحابة رضي الله عنهم، فإن كان من الألفاظ التي قد نقلها الشرع إلى معنى مغاير للمعنى اللغوي بوجه من الوجوه فهو مقدم على غيره، وإن كان من الألفاظ التي لم

ينقلها الشرع، فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم، فإذا خالف المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب، فبالأولى تفاسير من بعدهم من التابعين، وتابعيهم وسائر الأئمة ... وبهذا تعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذي وطنت نفسي عليه، والمسلك الذي عزمت على سلوكه إن شاء الله مع تعرضي للترجيح بين التفاسير المتعارضة مهما أمكن، واتضح لي وجهه، وأخذي من بيان المعنى العربي، والإعرابي، والبياني، بأوفر نصيب، والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله – ﷺ–، أو الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم، أو الأئمة المعتبرين، وقد أذكر ما في إسناده ضعف، إما لكونه في المقام ما يقويه، أو لموافقته للمعنى العربي، وقد أذكر الحديث معزواً إلى راويه من غير بيان حال الإسناد، لأني أجده في الأصول التي نقلت عنها كذلك كما يقع في تفسير ابن جرير، والقرطبي، وابن كثير، والسيوطي، وغيرهم[1].

استفاد الشوكاني من كتب التفسير المتقدمة، فكان ينقل عنهم ويقارن بين آرائهم، ويرجع بينهما أحياناً، واهتم بالقراءات – كما سيأتي مفصلاً في مبحث القراءات – في بيان وتوضيح معاني الآيات[2]، وما تحتمله كل قراءة من معنى، فاعتمد في تفسيره على القراءات العشر وعرضها بأنواعها – المتواترة والمشهورة[3] والشاذة وينبه

---

(١) مقدمة فتح القدير، (١/ ١٤).

(٢) تفسير الشوكاني كان على قراءة قالون عن نافع ، ولكن طبع على قراءة حفص، كما طبع قبله تفسير ابن جزي وكان تفسيره على قراءة نافع ، وقبلهما تفسير ابن جرير الطبري لم تبلغه رواية حفص، وطبع كتابه على رواية حفص.

(٣) سيأتي الكلام –إن شاء الله– عن القراءات المتواترة بتفصيل: وهي القراءات السبع المنسوبة إلى الأئمة السبعة المعروفين وهم: نافع، وعاصم، وحمزة، وابن عامر، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي،والقراءات المشهورة: وهي القراءات الثلاث المتممة للقراءات السبع المنسوبة إلى لأئمة الثلاثة وهم: أبو جعفر، ويعقوب، وخلف، قال الزرقاني: والتحقيق أن القراءات العشر كلها متواترة

أحياناً على شذوذها – ويقوم بتوضيح القراءات نحوياً ودلالياً وله منهج في ترجيح واختيار القراءات والحكم عليها؛ لأن القراءات من أهم الأمور التي تعين على فهم المعنى وتعين على استنباط الأحكام الشرعية، أو النظرات البلاغية، ويذكر الشوكاني اختلاف القراءات ويعزوها إلى قرائها غالباً، ويرجع بينها أحياناً، واعتمد أيضاً على قراءات بعض الصحابة[1] –ﷺ– وكذلك قراءات التابعين[2]، وفي بعض الأحيان يبين آراء وتوجيهات علماء القراءات والتفسير واللغة، وكان لذلك الأثر في التفسير وبيان المعاني.

فالشوكاني قد سار في تفسيره بمنهج فريد متميز، فقد جمع بين الفنين الرواية والدراية من علم التفسير، فاعتمد على المأثور من الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، واعتمد أيضاً على اللغة، والشعر، والنحو والصرف، والقراءات؛ لبيان وتوضيح معنى الآيات، ويتعرّض لبعض المسائل الفقهية ،ومذاهب العلماء، وأدلتهم، ويفصلها، ويرجح بما يرى من الدليل النقلي، أو العقلي دون تعصب لمذهب، ويرد على الفِرق الضالة المخالفة لأهل السنة، وسيأتي تفصيل ذلك مع الأمثلة في مصادره للتفسير.

فكانت السمة العامة لهذا التفسير هي التحليل في إيجاز مع سهولة العرض، وعدم الخوض في الخلافات الفرعية، واختلاف الفقهاء في بعض الأحكام، ويكتفي بالإشارة السريعة إليها.

وهو رأي المحققين من الأصوليين والقراء كابن السبكي، وابن الجزري، والنويري، – مناهل العرفان، الزرقاني،(٢٨٧/١، ٣٠٤)، – الإتقان، السيوطي، (٣١٧/١)، – تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه، محمد طاهر الكردي، (١١٤)، مطبعة الفتح، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م.

(١) هم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبيّ بن كعب–رضي الله عنهم.

(٢) هم: الضحاك، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن البصري، والأعمش، وابن محيصن.

المسألة الثالثة: مصادره في التفسير.

لقد اعتمد الشوكاني في مصادره على المأثور، وهو أحد القسمين التي بنى عليها الإمام الشوكاني تفسيره، ويشمل: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

بين الإمام الشوكاني القسمين من التفسير الرواية والدراية، ونص في مقدمته أنه سيجمع بينهما ولذا سمى كتابه فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في علم التفسير، وبين بأن التفسير بالرواية (المأثور) هو الأساس، لكنه رحمه الله جعله متأخراً في الكتابة وقدم التفسير بالرأي عليه، وهو في مقدمة تفسيره يطيل في التفصيل بالمأثور وكلام السلف في ذلك.

فالقرآن يفسِّر بعضه بعضاً، وهو من أفضل، وأحسن طرق التفسير، فلا تخلو آية في تفسيره إلا وتجده يفسرها بأي مصدر من المصادر، ويلحظ ذلك بكثرة في تفسيره، ونحن قد تحدثنا عن هذه المصادر والمناهج وأنواع التفسير عند ابن جزي – رحمه الله تعالى – باستفاضة وهنا نقتصر على بعض الأمثلة للإمام الشوكاني لأجل الاختصار، ولموافقة الشوكاني لأغلب أمثلة ابن جزي في مصادره:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

وقد اعتمد الإمام الشوكاني القران الكريم في تفسيره للآية الكريمة، وتوضيح معناها.

عند تفسيره لدعوة أصحاب سبأ بالبطر والطغيان وعدم شكر النعمة، بل طلبوا التعب والكد في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ سبأ: ١٩، فسرها بدعوة بني إسرائيل حيث قالوا: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ البقرة: ٦١، وكقول النضر بن الحارث:

﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ الأنفال: ٣٢،[1].

فسر جزاء الضعف في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ سبأ:٣٧، فسر الجزاء بالزيادة، وهي المرادة بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿١٦٠﴾﴾ الأنعام:١٦٠،[2].

فسر الرزق المعلوم في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ الصافات: ٤١، الرزق معلوم بالوقت، وهو أن يعطوا منه بكرة، وعشية كما في قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ مريم:٦٢،[3].

فسر معنى الكلمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ الصافات: ١٧١، فسرها بقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴿٢١﴾﴾ المجادلة:٢١،[4].

فسر القط في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ ص: ١٦، فسره باستعجال العذاب بقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ الحج: ٤٧،[5].

فسر كلمة العذاب في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ الزمر:١٩، فسرها بقول الله تعالى لأبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ص: ٨٥،[1].

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٨٤-٣٨٥).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٩٤).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٦٨).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٩٥).

(5) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٠٥).

وهناك أمثلة أخرى لتفسير القرآن بالقرآن في تفسيره، ولكني اكتفيت بما سبق، إذ المقصود ذكر طريقته في تفسير القرآن بالقرآن، وأما موضع بسط هذا المبحث فمحله في الدراسات الخاصة بمنهج الشوكاني في التفسير[٢].

والذي ظهر من الأمثلة السابقة ربطه الآيات بعضها ببعض، وذكره نظائر الآيات، وتفسير وبيان ما أبهم أو أجمل منها، وهذا النوع من طرق التفسير بالمأثور وإن لم يكن سمة ظاهرة في تفسير الشوكاني، إلا أن الناظر في تفسيره سيجد بعض أنواع وأوجه تفسير القرآن بالقرآن، وإن كان الشوكاني مقلاً فيها.

ولعل بعد هذا الاستعراض لبعض الأمثلة قد ظهر لنا كيف كان الشوكاني يعتمد في تفسير القرآن بالقرآن، وهو من التفسير المأثور الذي يحمد عليه صاحبه.

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة

اعتمد الإمام الشوكاني في تفسيره على الأحاديث النبوية الشريفة التي أوردها عن كبار المحدثين، أو أخذها من أمهات كتب الحديث، في بيان وتوضيح معنى الآيات، فقد قال: اعلم أن أعظم العلوم فائدة، وأكثرها نفعاً، وأوسعها قدراً، وأجلها خطراً علم السنة المطهرة، فإنه الذي تكفل ببيان الكتاب العزيز، ثم استقل بما لا ينحصر من الأحكام[٣].

قال الشوكاني:(فإن ما كان من التفسير ثابتاً عن رسول الله – ﷺ–، كان المصير إليه متعيناً، وتقديمه متحتماً، غير أن الذي صح عنه من ذلك إنما هو تفسير آيات قليلة بالنسبة إلى جميع القرآن، ولا يختلف في مثل ذلك من أئمة هذا الشأن اثنان، ... إلى أن قال: والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله – ﷺ–

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٥٤٣/٤).

(٢) الإمام الشوكاني مفسراً، الغماري، (ص١٥٥ وما بعدها).

(٣) أدب الطلب، الشوكاني، (ص١٤٩).

، أو الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم، أو الأئمة المعتبرين)[1].

وظهر اهتمام الشوكاني بتفسير القرآن بالسنة من خلال ما ساقه في تفسيره من أحاديث وآثار مفسراً بها آية أو مدللاً على حكم أو قول راجح مال إليه، أو مبيناً لفضائل سورة، مما جعل تفسيره جامعاً لأحاديث وآثار في السنة خاصة[2].

فسر قبض الأرض في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ الزمر: ٦٧، بحديث أبي هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض[3].[4]

فسر العرض في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ غافر: ٤٦، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة، والعشيّ، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة[5] زاد ابن مردويه: ثم قرأ ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[6].

مما سبق من أمثلة ندرك أنه قد اهتم بهذا المصدر من مصادر التفسير بالمأثور.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (١/ ٣١).

(٢) للاستزادة في منهجه في تفسير القرآن بالسنة ،- الإمام الشوكاني مفسراً(ص٢٤٣).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٥٦٧/٤).

(4) البخاري(٤٨٠٠) ومسلم (٢١٩٩/٤).

(5) البخاري(١٣٧٩) ومسلم (٢١٤٨/٤).

(6) فتح القدير، الشوكاني، (٥٨٩/٤).

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

الصحابة هم أعرف الناس بالقرآن، ولذلك تجد الشوكاني يعتمد على تفسيرهم كثيراً، حيث قال الشوكاني: (وأما ما كان منها ثابتاً عن الصحابة رضي الله عنهم، فإن كان من الألفاظ التي قد نقلها الشرع إلى معنى مغاير للمعنى اللغوي بوجه من الوجوه فهو مقدم على غيره، وإن كان من الألفاظ التي لم ينقلها الشرع، فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم، فإذا خالف المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب، فبالأولى تفاسير من بعدهم من التابعين، وتابعيهم وسائر الأئمة ... إلى أن قال: والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله -ﷺ-، أو الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم، أو الأئمة المعتبرين)[1].

اعتمد الإمام الشوكاني- رحمه الله- مع اعتماده على الكتاب، والسنة على المأثور من تفسير الصحابة، والتابعين- رضي الله عنهم- وبين فضل تفسيرهم حيث نقل عن الإمام القرطبي قوله: قال علماؤنا: وأما ما جاء في فضل التفسير عن الصحابة، والتابعين، فمن ذلك أن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- ذكر جابر بن عبد الله-رضي الله عنه- ووصفه بالعلم، فقال له رجل: جعلت فداك، تصف جابراً بالعلم، وأنت أنت! فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ القصص:٨٥، وقال مجاهد: أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل الله، وقال الحسن: والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم، فيمن نزلت، وما يعني بها، وقال الشعبي: رحل مسروق في تفسير آية إلى البصرة، فقيل له إن الذي يفسرها رحل إلى الشام، فتجهز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها، وقال عكرمة في قوله عز وجل: ﴿ ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ ﴿١٠٠﴾﴾ النساء: ١٠٠، طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته، قال ابن عبد البر[2]: هو ضميرة

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (١/٣٠-٣١).

(٢) هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي،

بن حبيب[1]، وقال ابن عباس-رضي الله عنه-: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله - ﷺ- ما يمنعني إلا مهابته، فسألته فقال: هي حفصة، وعائشة[2].

وبهذا نرى اهتمام، وحرص الإمام الشوكاني بنقل تفسير الصحابي، أو التابعي مثال ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ البقرة: ١٧، حيث قال: عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا يعتزون بالإسلام، فيناكحهم المسلمون، ويوارثونهم، ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوءه: وتركهم في ظلمات لا يبصرون يقول: في عذاب: صم، بكم، عمي، فهم لا يسمعون الهدى، ولا يبصرونه، ولا يعقلونه، وعن ابن مسعود، وناس من الصحابة قالوا: إن ناسا دخلوا

المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، طلب العلم وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، توفي سنة ٤٦٣هجرية.- سيرأعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (١٥٣/١٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

(١) ضميرة بن حبيب، وقيل: ابن حندب، وقيل: ضميرة بن أنس، هو الذي خرج من بيته مهاجرا إلى النبي -ﷺ- فمات في الطريق، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. - أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، (٦٤/٣)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

(٢) والآية في سورة التحريم قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ والمراد بالتظاهر: التعاضد والتعاون، والمعنى: وإن تعاضدا، وتعاونا في الغيرة عليه منكما، وإفشاء سره، فإن الله هو مولاه، وجبريل، وصالح المؤمنين أي: فإن الله يتولى نصره، وكذلك جبريل، ومن صلح من عباده المؤمنين، فلن يعدم ناصرا ينصره، والملائكة بعد ذلك أي: بعد نصر الله ونصر جبريل وصالح المؤمنين ظهير أي: أعوان.- فتح القدير، الشوكاني، (٣٢/١).

في الإسلام عند مقدم النبي – ﷺ– المدينة ثم نافقوا، فكان مثلهم، كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد نارا، فأضاءت ما حوله من قذى، وأذى، فأبصره حتى عرف ما يتقي، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، فأقبل لا يدري ما يتقي من أذى، فكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك، فأسلم فعرف الحلال من الحرام، والخير من الشر، فبينما هو كذلك إذ كفر، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر، فهم صم، بكم، هم الخرس، فهم لا يرجعون إلى الإسلام(١).

وبهذا العرض لهذه الأمثلة من تفسير القرآن بأقوال الصحابة ندرك بأن الشوكاني قد اهتم بهذا المصدر من مصادر التفسير بالمأثور.

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين

اعتمد الإمام الشوكاني على الرواية عن التابعين بمدارسهم المختلفة، فكان من أبرز التابعين الذين اعتمد عليهم في تفسيره:

أ– تلاميذ ابن عباس–رضي الله عنه– بمكة: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مثال لما روى عنهم: عند تفسيره لقوله تعالى: قوله:﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴿٣٦﴾﴾ النساء:٣٦، قيل: هو الرفيق في السفر، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد(٢)، وروي أيضاً عن طاووس، وعطاء(٣).

ب– تلاميذ أبي بن كعب –رضي الله عنه– بالمدينة المنورة: أبو العالية(٤)، ومحمد بن كعب القرظي(٥)، زيد بن أسلم(٦).

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٧٩/١).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (١/ ٦٢١).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، طاووس، (٢٥٤/١-٢٧٤-٣١٧)، وعطاء، (٢٠٣/١-٢١٦-٢٤١).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٣٩٣/٢-٦٦٧).

(٥) فتح القدير، الشوكاني،(١/ ١٠٦-٣١١).

(٦) فتح القدير، الشوكاني، (١٩٦/١-٢٩٦).

ج- تلاميذ عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- بالعراق: ومن أشهر رجالها الذين روى عنهم: مسروق، والشعبي، والحسن البصري، وقتادة[1]، هؤلاء أشهر رجال تلك المدارس التي اعتمد عليها الإمام الشوكاني في تفسيره، وقد روى عن غيرهم من التابعين[2].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ الأحزاب: ٧٢.

ذكر الشوكاني في معنى الأمانة أقولاً: ثم قال: وقال السدّي: هي ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده هابيل، وخيانته إياه في قتله، وما أبعد هذا القول، وليت شعري ما هو الذي سوّغ للسدّي تفسير هذه الآية بهذا، فإن كان ذلك لدليل دله على ذلك فلا دليل، وليست هذه الآية حكاية عن الماضين من العباد؛ حتى يكون له في ذلك متمسك أبعد من كل بعيد، وأوهن من بيوت العنكبوت، وإن كان تفسير هذا عملاً بما تقتضيه اللغة العربية، فليس في لغة العرب ما يقتضي هذا، ويوجب حمل هذه الأمانة المطلقة على شيء كان في أوّل هذا العالم، وإن كان هذا تفسيراً منه بمحض الرأي، فليس الكتاب العزيز عرضة لتلاعب آراء الرجال به، ولهذا ورد الوعيد على من فسر القرآن برأيه، فاحذر أيها الطالب للحق عن قبول مثل هذه التفاسير، واشدد يديك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة العربية، فهو قرآن عربيّ كما وصفه الله، فإن جاءك التفسير عن رسول الله ﷺ، فلا تلتفت إلى غيره، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وكذلك ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم من جملة العرب، ومن أهل اللغة، وممن جمع إلى اللغة العربية العلم بالاصطلاحات الشرعية، ولكن إذا كان معنى اللفظ

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، مسروق، (٤/٣٣٧-٤١٥)، والشعبي،(١/١٩٩-٣٢٠)، الحسن البصري، (٢/٤٧٢-٤٣٥)، وقتادة، (١/٤٣- ٦٥).

(٢) هم: عبيد بن عمير،٦٨هـ، ومحمد بن الحنفية ،٨١هـ، وعروة بن الزبير،٩٤هـ، وسعيد بن المسيب،٩٤هـ، وإبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي،٩٦هـ، وأبو بكر محمد بن مسلم الزهري، ١٢٤هـ، والربيع بن أنس،١٣٩هـ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي،١٢٧هـ، والضحاك بن مزاحم الخراساني،١٠٥هـ)، وغيرهم.

أوسع مما فسروه به في لغة العرب فعليك أن تضم إلى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها، فخذ هذه كلية تنتفع بها، وقد ذكرنا في خطبة هذا التفسير ما يرشدك إلى هذا[1].

وبهذا ندرك مدى اعتماد الشوكاني رحمه الله على التفسير بالمأثور في كتابه التفسير.

خامساً: تفسير القرآن باللغة العربية

قال الشوكاني – رحمه الله تعالى –: (واشدد يدك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة العربية، فهو قرآن عربي كما وصفه الله، فإن جاءك التفسير عن رسول الله ﷺ فلا تلتفت إلى غيره، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وكذلك ما جاء عن الصحابة ﷺ، فإنهم من جملة العرب وممن جمع إلى اللغة العربية العلم بالاصطلاحات الشرعية، لكن إذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسروه به في لغة العرب فعليك أن تضم إلى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها، فخذ هذه كلية تنتفع بها)[2].

وقال: (كثيراً ما يقتصر الصحابي ومن بعده من السلف على وجه واحد مما يقتضيه النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي، ومعلوم أن ذلك لا يستلزم إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية، ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التي تتبيّن بها دقائق العربية وأسرارها كعلم المعاني والبيان، فإن التفسير بذلك هو تفسير باللغة، لا تفسير بمحض الرأي المنهي عنه)[3].

أشار الشوكاني إلى أهمية تفسير القرآن باللغة العربية، فهي اللغة التي نزل بها القرآن، ولا بد لمن أراد تفسير الكتاب العزيز أن يكون متمكناً في اللغة، عارفاً

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٩/٤).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٩/٤).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٠/١).

بغريبها وقواعدها من نحو وصرف وبيان، وسائر فنون العرب في ضروب كلامهم ووجوه مخاطباتهم.

اهتم الإمام الشوكاني بالجوانب اللغوية في تفسيره، فكما بين في مقدمته أنه جمع بين الفنين الرواية، والدراية، حيث اعتمد في جانب الدراية على اللغة والشعر؛ لتفسير الألفاظ القرآنية، وتوضيح معناها بما قاله أئمة اللغة، فنجده يحتكم إلى اللغة العربية، وينتقد ويرد على المخالفين للغة العرب، كونه عارف بأسرار اللغة، ويستشهد بأشعار العرب في بيان وتوضيح المعنى.

فعند قوله تعالى:﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ البقرة:٢٦، قال:الفسق: الخروج عن الشيء، يقال فسقت الرطبة: إذا خرجت عن قشرها[١]، والفأرة من جحرها، ذكر معنى هذا الفراء، وقد استشهد أبو بكر بن الأنباري في كتاب الزاهر له على معنى الفسق بقول رؤبة بن العجاج[٢]:

يهوين في نجد وغورا غائرا ... فواسقا عن قصدها جوائر[٣].

وقد زعم ابن الأعرابي أنه لم يسمع قط في كلام الجاهلية، ولا في شعرهم فاسق، وهذا مردود عليه، فقد حكى ذلك عن العرب، وأنه من كلامهم جماعة من أئمة

---

(١) فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (ص٢١٤)، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى،٢٠٠٢م.

(٢) هو: رؤبة بن عبدالله العجاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي من رجاز الإسلام وفصائحهم وهو من مخضرمي الدولة الأموية و العباسية، كان رأسًا في اللغة، وكان أبوه قد سمع من أبي هريرة قال خلف الأحمر: سمعت رؤبة يقول: ما في القرآن أعرب من قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر قال النسائي في رؤبة: ليس بالقوي. وقال غيره: توفي سنة خمس وأربعين ومائة .
ورؤبة بالهمز: قطعة من خشب يشعب بها الإناء، جمعها رئاب. –سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣٠١/٦).

(٣) قال الطبري:(هذان بيتان من مشطور الرجز لرؤبة، أوردها صاحب مجموع أشعارالعرب، (٣/ في ملحق ديوان رؤبة ص١٩٠).

اللغة، كابن فارس، والجوهري، وابن الأنباري، وغيرهم...، وقال القرطبي: والفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله عز وجل، فقد يقع على من خرج بكفر، وعلى من خرج بعصيان، وهذا هو أنسب بالمعنى اللغوي، ولا وجه لقصره على بعض الخارجين دون بعض[1].

أما استشهاده بالشعر في تفسيره لتوضيح المعنى الذي يذكره، فهو كثير مثاله: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ النور: ١، قال: السورة في اللغة: اسم للمنزلة الشريفة؛ ولذلك سميت السورة من القرآن سورة، ومنه قول زهير[2]:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب[3] أي: منزلة[4].

وبعد مرور المفسّر بالمصادر السابقة، وعدم وجوده بغيته فيها يأتي إلى المصدر السادس، ألا وهو إعمال عقله، للوصول إلى مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، بعد توافر شروط التفسير فيه، ومراعاة الضوابط المطلوبة لسلامة تفسيره، واتباعه خطوات المنهج الأمثل في التفسير كما تقدم الكلام عن مصادر الإمام ابن جزي رحمه الله.

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (١/٩٣-٩٤).

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وليس لزهير، وقد ذكره الإمام الشوكاني في موضع قبله عند تفسير سورة النساء، بقوله: مذبذبين بين ذلك المذبذب: المتردد بين أمرين، والذبذبة الاضطراب، يقال: ذبذبه فتذبذب، ومنه قول النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب.

- فتح القدير، الشوكاني، (١/٧٠٥).

(٣) ديوان النابغة الذبياني،(١/٢٥)، دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة الأولى،١٩٩١م.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥).

الفصل الثاني: مقارنة بين التفسيرين في علوم القرآن، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أسباب النزول.

المبحث الثاني: علم المناسبات.

المبحث الثالث: القراءات.

المبحث الرابع: الناسخ والمنسوخ.

المبحث الخامس: المحكم والمتشابه.

المبحث الأول: أسباب النزول، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف أسباب النزول.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المطلب الأول: تعريف أسباب النزول.

علوم القرآن مركب إضافي من كلمتين: علوم و قرآن، وقد جرت عادة المعرِّفين أن تعرف كل كلمة على حدة، وثم يعرف المركب منهما.

تعريف كلمة علوم:

العلوم: جمع علم، وهو في اللغة: نقيض الجهل[١].

وأما في الاصطلاح: فقد اختلف تعريف العلم باختلاف المعرفين:

فقيل: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

وقيل: إدراك المعلوم على ما هو به[٢].

وعرف بتعريف عام عند عرف التدوين وهو: المسائل المضبوطة بجهة واحدة[٣].

تعريف كلمة القرآن لغة:

هي: مصدر قرأ، ثم أطلق على المقروء[٤].

تعريف القرآن بالاصطلاح:

لقد تعددت آراء العلماء في تعريف القرآن، بصيغ متعددة، بعضها يطول وبعضها يقصر[٥]، واختار الجمهور التعريف التالي:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون،(١١٠/٤)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

(٢) التعريفات، الجرجاني، (ص٢٣٣).

(٣) مناهل العرفان، الزرقاني، (١٨/١).

(٤) التسهيل، ابن جزي، (٦٨/١)و(١٥٧/١)،- فتح القدير، الشوكاني، (٢٥٥/١).

(٥) يقول فهد الرومي في كتابه دراسات في علوم القرآن الكريم (ص٢٣):للعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة بعضها طويل، ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه:(كلام الله تعالى المنزل على

(هو كلام الله المعجز المنزل على الرسول ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلًا متواتراً)[1].

وبالمقارنة بين تعاريف العلماء للقرآن الكريم أستطيع أن استخلص تعريفاً جامعاً مانعاً؛ القرآن الكريم هو: كلام الله المعجز المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته. وكل من زاد عليه قيداً أو قيوداً مما ذكرناه لا يقصد بذلك إلا زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن التي يتميز بها عما عداه.

إن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وهذه أعظم مزايا وخصائص القرآن الكريم، فحسبه أنه كلام الله.

التعريف المركب الإضافي لعلوم القرآن:

عرِّف بتعريفات متعددة، وتحتمل إضافة العلوم إلى القرآن احتمالين:

الأول: أن يراد بها المعلومات المستخرجة من القرآن، فكل معلومة أُخِذَت من القرآن فهي من علومه، أي من معلوماته.

الثاني: أن يراد به العلم المعروف، الذي أُلّفت له المؤلفات في علوم القرآن:

وقد عرف بهذا الاعتبار بعدة تعريفات منها:

(مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، و ناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك)[2].

محمد ﷺالمتعبد بتلاوته).

(١) المستصفى من علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق محمد سليمان الأشقر، (١/ ١٩٣)، مؤسسة الرسالة. – التعريفات، الجرجاني، (ص٢٥٣)، –إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، تحقيق أبي حفص سامي العربي الأثري، (١٦٩/١)، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى،٢٠٠٠م.

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، (٣١/١).

فهذه المباحث تنقسم إلى قسمين:

الأول: مباحث مختصة بالقرآن الكريم: كالمكي والمدني، ونزول القرآن، والأحرف السبعة، وعد الآي، وغيرها.

الثاني: مباحث مشتركة بين القرآن الكريم، وغيره من العلوم: كالناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وغيرها.

والعلوم التي تشترك مع القرآن الكريم، قد تشترك معه لكونه عربياً _ كعلوم اللغة _ أو لكونه مصدراً للأحكام الشرعية _ كعلم الأصول _.

أسباب النزول هذا المصطلح يتكون من كلمتين: أسباب و نزول، ولمعرفة معناها لا بد من بيان معنى كل كلمة، ثم معنى الكلمتين معاً بعد أن صارتا عَلَماً لعلم مخصوص.

فالسبب لغة(١): هو كل شيء يتوصل إلى غيره، والجمع أسباب، والسبب يأتي لعدة معاني منها:

١_ الوصل والمودة، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ البقرة: ١٦٦، أي: الوصل والمودات.

٢_ ومنها الحبل، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ الحج: ١٥،أي: فليمدد بحبل إلى السماء.

٣_ ومنها الباب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ

---

(١) تعريفه لغة لا يوجد مصطلح لغوي مركب بلفظ أسباب النزول لذا فإن المراد بالمعنى اللغوي لأسباب النزول هو معنى هذا التركيب مفرداً.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۝٣٧﴾ غافر:٣٦- ٣٧، أي: لعلي أبلغ أبواب السماوات[١]، والمعنى الجامع بين هذه المعاني هو الوصول بالشيء إلى غيره.

والنزول: النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه،والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة[٢].

أسباب النزول بالمعنى الإضافي:

قال السيوطي: والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه[٣].

وعرفه الزرقاني: سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، مبينة لحكمه أيام وقوعه[٤]، وهذا التفسير أتم.

وهذا السبب إما أن يكون قولاً أو فعلاً سواء أكان من النبي ﷺ أم من الصحابة أم من المنافقين أم من غيرهم[٥]، فأسباب النزول متعددة، ومتعلقاتها متنوعة، وأحوالها مختلفة، إلا أنها محصورة في زمان نزول القرآن الكريم فحسب، فهي مرتبطة بأيام نزول القرآن، ولا سبيل لنا بعدُ إلى معرفتها إلا من خلال النقل الصحيح عمن نزل عليه القرآن، أو عايش نزوله، أو من كبار التابعين بضوابط، قال الواحدي: (ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على

---

(١) لسان العرب، جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور،(٤٥٨/١ وما بعدها)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (نزل)(صـ/٤٨٨)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مصر.

(٣) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبدالرزاق المهدي،(ص٨) دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٦م.

(٤) مناهل العرفان، الزرقاني، (٧٦/١).

(٥) المحرر في أسباب النزول، خالد المزيني، (١٠٥/١-١٠٦)، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ.

الأسباب، وبحثوا عن علمها)[١].

تكمن أهمية موضوع أسباب النزول ومعرفته والمراد به إذ هو المعين على فهم الآيات، فمعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ورفع الإشكال عنها، فلا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها[٢].

فلما كان سبب النزول أمراً موقوفاً لا يصح فيه الاجتهاد لذا كان هذا العلم موقوفاً على الصحابة الذين شاهدوا التنزيل، أو من يروي عنهم من التابعين.

قال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[٣].

---

(١) أسباب النزول، أبي الحسن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق عصام الحميدان، (ص٨)، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

(٢) أسباب النزول، الواحدي، (ص٨).

(٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، (ص٤٧)، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

علم أسباب النزول من علوم القرآن المهمة، التي اعتنى بها المسلمين قديماً وحديثاً، وقد دلّ على مدى اهتمامهم بهذا العلم كثرة الجهود المبذولة في سبيل تدوينه وإفرادهم له بالعديد من المؤلفات الخاصة.

وهذا من العناية التي لقيها القرآن الكريم، فلقد نقل المسلمون عن آياته: متى نزلت ؟ حتى أننا لنستطيع القول: إنه ليست هناك آية إلا وقد ورد ما يدل على تاريخ نزولها ؛ حتى أنهم يعرفون ما نزل منه قبل الهجرة، وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر أو السفر، وما نزل بالليل أو النهار، وما نزل بالصيف أو الشتاء، إلى غير ذلك من علوم القرآن، فقد اعتنى الإمام ابن جزي و الإمام الشوكاني بأسباب النزول غاية الاهتمام، إلا أن ابن جزي يغلب عليه الاختصار في ذكرها وقد يشير لذلك إشارة عابرة، وهذا هو طابع تفسيره، وأكثر من ذكر أسباب النزول الصحيح سندها، وصحة السند عنده أداة من أدوات الترجيح.

احتفى ابن جزي والشوكاني في تفسيرهما احتفاء كبيراً بأسباب النزول في مقدمتهما وثنايا تفسيرهما كما هي عادة كثير من المفسرين قبلهما.

قال ابن جزي رحمه الله : (وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين: الأوّل: أنّ كثيرا من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم من الغزوات والنوازل والسؤالات، ولا بدّ من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت فإنّ الناسخ يبنى على معرفة تاريخ النزول لأنّ المتأخر ناسخ للمتقدم)[1].

من فوائد معرفة ذلك تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آية من القرآن في موضع واحد، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفاً

([1]) التسهيل، ابن جزي، (١/ ٧٧).

للحكم في غيرها، فمتى عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني فإنه يحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظراً إلى تأخر المدني عن المكي، قال السيوطي: ومن فوائد معرفة ذلك العلم بالمتأخر فيكون ناسخاً أو مخصصاً على رأي من يرى تأخير المخصص[1].

فمنهج ابن جزي على صغر حجم كتابه وسمته بالاختصار ألا أنه كان يهتم اهتماماً بالقراءات وبأسباب النزول، وباللغة وبالأحكام الفقهية وبالتفسير بالأثر وبالاجتهاد إلى غير ذلك.

ذكر ما صح في أسباب النزول في الغالب الأعم، وأحياناً يرجح بين الروايات وتارة لا يرجح وأحياناً يشير على السبب إشارة عابرة مصدراً إياها بصيغة التمريض ؛ قيل و روي وهذا يتفق مع ما اشترطه على نفسه في مقدمته من عدم التطويل والاقتصار على اللب دون القشر.

وفي عرضه لأسباب النزول تدرك أنه لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا بالنقل الصحيح بالرواية وممن شاهدوا التنزيل والاعتماد على ما صح عنهم والالتزام بذلك بقدر المستطاع.

وكذلك الإمام الشوكاني فلا يكاد يمر بسورة من القرآن إلا ويذكر فيها أسباب النزول، ويذكر اتفاق أو اختلاف في مكيتها أو مدنيتها، ويذكر في بداية كل سورة ما فيها من آيات مكية إن كانت مدنية، وما فيها من آيات مدنية إن كانت السورة مكية، كما سيأتي ذلك.

([1]) الإتقان، السيوطي، (١/ ٢٢).

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

وقد تناول الإمام ابن جزي والإمام الشوكاني أسباب النزول في تفسيرهما.

أسباب النزول التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة الأحزاب حسب المقرر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ الأحزاب: ٢٨.

يرى ابن جزي سبب نزولها هو أن أزواج رسول الله ﷺ تغايرن حتى غمه ذلك، وقيل: وطلبن الزيادة منه الملابس ونفقات كثيرة، فأنزل الله آية التخيير هذه[١].

ويرى الشوكاني: أن سبب النزول هو أن أزواج رسول الله ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن الزيادة في النفقة فآلى منهن شهراً، فأنزل الله آية التخيير[٢].

المسألة فيها قولان:

القول الأول: أن سبب التخيير هو تغاير أزواج النبي ﷺ حتى أغمه ذلك، فنزلت الآية.

قال الطبري: وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها[٣].

جاء ذلك عن عكرمة وقتادة وابن زيد[٤].

القول الثاني: أن سبب التخيير هو طلب أزواجه منه الملابس والنفقات الكثيرة .

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (٣/ ١١٦٨).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٣٠-٣٣١).

(٣) تفسير الطبري (١٩/٨٤).

(٤) تفسير الطبري (١٩/٨٦-٨٧).

عن جابر بن عبد الله _ رضي الله عنهما_ قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه، لم يؤذن لأحد منهم، قال فأذن لأبي بكر فدخل.ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً (١) ساكتاً.قال فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت (٢)عنقها، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (هن حولي كما ترى يسألنني النفقة) فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية:(يا أيها النبي قل لأزواجك) حتى بلغ (للمحسنات منكن أجراً عظيماً) قال فبدأ بعائشة، فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك) قالت: وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية، قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة.وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت.قال: (لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً)(٣).

وجاء في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي الله عنه، عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ٤﴾ التحريم: ٤، فحججت معه فعدل وعدلت

---

(١) الوجوم: الحزن والهم والكآبة.- النهاية في غريب الحديث، أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق خليل شيحا،(٨٢٧/٢)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠١٤م.

(٢) وجأ: ضرب وطعن، النهاية، ابن الأثير، (٨٢٤/٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية(١٤٧٨).

وقد أورد هذا جمهور المفسرين كالطبري والبغوي وابن العربي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور.

معه بالإداوة فتبرز، حتى جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ؟ فقال: وا عجبي لك يا ابن عباس عائشة وحفصة ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره وإذا نزل فعل مثله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعني فقلت خابت من فعل منهن بعظيم ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة فقلت أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل فقالت: نعم فقلت خابت وخسرت أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكين لا تستكثري على رسول الله ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه واسأليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ يريد عائشة وكنا تحدثنا أن غسان تنعل النعال لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضربا شديدا وقال أنائم هو ففزعت فخرجت إليه وقال حدث أمر عظيم قلت ما هو أجاءت غسان قال لا بل أعظم منه وأطول طلق رسول الله ﷺ نساءه قال قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي قلت ما يبكيك أولم أكن حذرتك أطلقكن رسول الله ﷺ قالت: لا أدري هو ذا في المشربة فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي هو فيها فقلت لغلام له أسود استأذن لعمر فدخل فكلم النبي ﷺ ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فذكر مثله فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم

غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر فذكر مثله فلما وليت منصرفا فإذا الغلام يدعوني قال أذن لك رسول الله ﷺ فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم طلقت نساءك فرفع بصره إلي فقال لا ثم قلت وأنا قائم أستأنس يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم فذكره فتبسم النبي ﷺ ثم قلت لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ يريد عائشة فتبسم أخرى فجلست حين رأيته تبسم ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله وكان متكئا فقال أوفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة وكان قد قال ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عدا فقال النبي ﷺ الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين قالت عائشة: فأنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة فقال إني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك قالت قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك ثم قال إن الله قال يا أيها النبي قل لأزواجك إلى قوله عظيما قلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة[1].

([1]) رواه البخاري في صحيحه كتاب المظالم، باب الغلبة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها (٢٣٣٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (١٤٧٨).

الترجيح:

أن سبب نزول الآية ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس، وحديث جابر عند مسلم، لصحة الأحاديث والتصريح بالنزول، ولموافقته لسياق القرآن وتعويل المفسرين عليه، والقول بالأسباب موقوف على النقل والسماع، ولا يمنع أن يكون السبب غضبه عليهن هو ما وقع من التغاير في طلب النفقة ونحو ذلك.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴿٣٥﴾﴾ الأحزاب:٣٥.

ذكر ابن جزي والشوكاني أن سبب نزول الآية أن بعض النساء قلن: ذكر الله الرجال ولم يذكرنا، فنزل فيها ذكر النساء[١].

عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله:﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٣٢﴾﴾ النساء: ٣٢، قال مجاهد: وأنزل فيها:﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴿٣٥﴾﴾ وكانت أم سلمة أول ظعينة[٢]، قدمت المدينة مهاجرة[٣].

وعن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء ؟ فنزلت هذه الآية:﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴿٣٥﴾﴾[٤].

ذكر جمهور المفسرين هذين الحديثين لكن منهم من ذكرهما جميعاً كالبغوي

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (١١٧١/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٣٩/٤-٣٤٠).

(٢) الظعينة: المرأة والجمع ظُعُن.- النهاية، ابن الأثير، (١٤٠/١).

(٣) رواه الترمذي في سننه كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء(٣٠٢٢) والنسائي في سننه كتاب التفسير(١١٤٠٤).

(٤) رواه الترمذي في سننه كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب(٣٢١١)، وجاء ابن عباس عند الطبري وفتح القدير.

والشوكاني وابن عاشور.

ومنهم من ذكر حديث أم سلمة كالطبري وابن عطية وابن كثير.

ومنهم من ذكر حديث أم عمارة كالقرطبي.

الأحاديث المذكورة وإن كانت لا تخلو من مقال في إسنادها إلا أنه يعتضد بالشواهد الحديثية، وأقوال المفسرين وسياق القرآن مما يجعلها سبباً في النزول.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب: ٣٦.

ذكر ابن جزي والشوكاني أن سبب النزول هو: أن النبي ﷺ خطب امرأة ليزوجها زيد بن حارثة فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية قالوا رضينا يا رسول الله[1].

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ الأحزاب: ٣٧.

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٢/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/ ٣٤٠).

اختلف أهل العلم من هي المخطوبة على قولين:

القول الأول: أنها زينب بنت جحش.

القول الثاني: أنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

ويرى ابن جزي أن الآية عامة في جميع المؤمنين وهي توطئة للقصة المذكورة.

قال ابن كثير – بعد ذكره للأحاديث والآثار في تفسيره للآية –: فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا، ولا رأي ولا قول، كما قال الله تعالى:(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ..) سورة النساء (١٩٦/٦).

اتفق الإمامان أن الآية نزلت في زيد بن حارثة الكلبي لما زوجه النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش كما تقدم[1].

وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء زيد يشكو امرأته إلى النبي ﷺ فأمره أن يمسكها فأنزل الله﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴿٣٧﴾﴾[2].

فهذا الحديث سبب لنزول الآية لصحة سنده، وصراحة لفظه وموافقته لسياق القرآن، وإجماع المفسرين عليه[3].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

الأحزاب: ٤٠.

يرى الشوكاني سبب نزول الآية حديث عائشة، قالت: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه} بالعتق فأعتقته، {أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه}، إلى قوله: {وكان أمر الله مفعولا} وإن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله تعالى {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين} وكان رسول الله ﷺ تبناه وهو صغير فلبث حتى صار رجلا يقال له: زيد بن محمد، فأنزل الله: {ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم} فلان مولى فلان، وفلان أخو فلان

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٢/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/ ٣٤١).

(2) أخرجه النسائي في سننه كتاب التفسير، عند قوله تعالى: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) (١١٤٠٧) بهذا اللفظ بتصريح سبب النزول. ورواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ)،رقم (٤٧٨٧) عن أنس رضي الله عنه: أن هذه الآية (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

(3) كالطبري والبغوي وابن عطية وابن جزي والقرطبي وابن كثير والشوكاني وابن عاشور.

{هو أقسط عند الله} يعني أعدل[1].

وأما ابن جزي كلامه محتمل للنزول والتفسير معاً[2].

فالحديث المذكور لا يصح أن يكون سبباً لنزول الآية لما فيه من الضعف الشديد، لكن سياق الآيات وأقوال المفسرين تدل أن له أصلاً والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ الأحزاب: ٥٠.

ذكر ابن جزي والشوكاني أن سبب نزول الآية هو أن أم هانئ بنت أبي طالب ، قالت خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله تعالى { إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي } الآية قالت فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر كنت من الطلقاء[3].

فالحديث إسناده ضعيف لا يحتج به فالآية نزلت ابتداء لبيان أحوال النبي ﷺ في النكاح ما الذي يحل ويحرم، وما الذي يخصه ويعم غيره[4].

﴿* تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ الأحزاب: ٥١.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٣٤٣/٤)

(2) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٣/٣).

(3) رواه الترمذي في سننه كتاب أبواب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب (٣٢١٤) وهو من طريق أبي صالح – وهو باذان ضعيف يرسل – عن أم هانئ. ضعف الحديث ابن عدي وابن العربي.

(4) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٧/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٥٣/٤).

ذكر ابن جزي والشوكاني أن سبب النزول هو ما وقع لأزواج النبي ﷺ من الغيرة[1].

عن عائشة قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ. وأقول: وتهب المرأة نفسها؟ فلما نزل قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قالت قلت: والله ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك[2].

ولفظ أحمد والنسائي: فأنزل الله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾[3].

يتبين أن أكثر كلام المفسرين يدور حول معنى الآية والمراد منها دون سبب النزول، وأن رواية الصحيحين بلفظ: (بعد أن نزلت) ليس فيها التصريح بالنزول.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ الأحزاب: ٥٢.

ذكر ابن جزي والشوكاني أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضاً عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة[4].

لما خيرهن رسول الله ﷺ كما تقدم، فلما اخترن رسول الله كان جزاؤهن أن لا يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن إلا الإماء والسراري ثم نسخ حكم هذه الآية وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة لرسول الله صلى الله

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٩/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٥٤/٤).

(2) البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب ترجي من تشاء(٤٧٨٨)، ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع، باب جواز هبتها لضرتها(١٤٦٤).

(3) رواه أحمد في مسنده (٢٥٢٥١)، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير، قوله تعالى: ترجي من تشاء منهن(١١٤١٤).

(4) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٩/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٥١/٤-٣٥٥).

عليه وسلم عليهن[1].

قال الشوكاني:(وقال ابن زيد: هذا شيء كانت العرب تفعله يقول: خذ زوجتي، وأعطني زوجتك، وقد أنكر النحاس، وابن جرير ما ذكره ابن زيد. قال ابن جرير: ما فعلت العرب هذا قط. ويدفع هذا الإنكار منهما ما أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة قال: كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله عز وجل ولا أن تبدل بهن وأخرجه أيضا عنه البزار وابن مردويه)[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ الأحزاب: ٥٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني سبب نزول هذه الآية حديث أنس بن مالك،[3] قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون. قال: فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام من القوم، وبقي ثلاثة وإن النبي ﷺ جاء ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، قال: فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، قال: فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، قال: وأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ

---

(1) تفسير ابن كثير (٦/٢١٦) .

(2) رواه البزار في كشف الأستار (٢٢٥١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٧/٩٢): فيه إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة وهو متروك.

وقال ابن كثير بعد ذكره للحديث: قال البزار: إسحاق بن عبدالله لين الحديث جداً، وإنما ذكرناه لأنا لم نحفظه إلا من هذا الوجه وبينا العلة فيه(٦/٢١٨-٢١٩).

(3) التسهيل، ابن جزي، (٣/١١٨٠)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/ ٣٥٦).

﴿يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾[1].

والقول الثاني: أنها نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا.

عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴿١٢٥﴾﴾ البقرة:١٢٥، وقلت: يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين فأنزلت آية الحجاب وبلغني شيء من معاملة أمهات المؤمنين فقلت: لتكفن عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى انتهيت الى إحدى أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فكففت فأنزل الله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴿٥﴾﴾ التحريم:٥[2].

فسبب نزول هذه الآية هو حديث أنس في قصة زينب ووليمتها لصحة سنده وتصريحه بالنزول والسياق القرآن يدل عليه، واحتجاج جمهور المفسرين فيه.

وحكى ابن عطية عن جمهور المفسرين أن سبب نزول الآية حديث أنس في قصة زينب رضي الله عنها[3].

---

(1) البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان، باب من قام من مجلسه أو بيته ولم يستأذن أصحابه أو تهيأ للقيام ليقوم الناس(٦٢٧١)، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول آية الحجاب(١٤٢٨).

(2) البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى(٤٤٨٣).

(3) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٩٣/١٣).

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا تعارض بين حديث أنس في قصة زينب وحديث أنس في قصة عمر: (وافقت الله في ثلاث) لصحة الأحاديث والجمع ممكن بينهما.

قال ابن عاشور:(وليس في الخبرين تعارض لجواز أن يكون قول عمر كان قبل البناء بزينب بقليل ثم عقبته قصة وليمة زينب فنزلت الآية بإثرها)[1].

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

الأحزاب: ٥٣.

ذكر الإمام ابن جزي والشوكاني في تفسيرهما أن نزول هذه الآية هو ما جاء عن ابن عباس في قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴿٥٣﴾﴾ قال: نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده، قال رجل لسفيان: أهي عائشة؟ قال: قد ذكروا ذلك[2].

ثم قال ابن جزي: فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده كرامة له صلى الله عليه وآله وسلم[3].

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

الأحزاب: ٥٦.

ذكر الشوكاني أثر ابن عباس في سبب نزول الآية[4]، فعن ابن عباس: أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه عز وجل: يا موسى سألوك هل يصلي ربك، فقل: نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي، فأنزل الله

---

(1) التحرير والتنوير في التفسير، محمد الطاهر ابن عاشور،(٨١/٢٢)، دار التونسية، ١٩٨٤م.

(2) التسهيل، ابن جزي، (١١٨٢/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٥٧/٤).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١١٨٢/٣).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٣/٤).

عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[1].

وحديث كعب بن عجرة في الصحيحين ليس فيه ذكر سبب نزول الآية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ الأحزاب: ٥٧.

ذكر ابن جزي والشوكاني أنها نزلت في الذين طعنوا عليه حين أخذ صفية بنت حييّ[2].

وقيل: أنها نزلت في الذين قذفوا عائشة[3].

وذكر الطبري وابن كثير عن عكرمة أنها نزلت في أصحاب التصاوير[4].

ورجح ابن كثير أن الآية عامة[5].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ الأحزاب: ٥٩.

ذكر الشوكاني عند تفسيره للآية:

عن عائشة قال: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر، فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا

---

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦/٢٢٣)، وفي سنده جعفر بن أبي المغيرة وهو صدوق يهم، وجاء عند الطبري عن قتادة وغيره(١٩/١٧٧).

(2) التسهيل، ابن جزي، (٣/١١٨٤)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٦٤).ذكره الطبري وابن كثير من طريق العوفي عن ابن عباس.

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٦٤).

(4) تفسير الطبري (١٩/١٧٨).

(5) تفسير ابن كثير (٦/٢٤٦).

فانظري كيف تخرجين؟ قال: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت وقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، فأوحي إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: « إنه قد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ »[1].

وعن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها[2].

وعن عائشة قالت: رحم الله نساء الأنصار، لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ٥٩﴾ شقن مروطهن، فاعتجرن بها، وصلين خلف رسول الله ﷺ كأنما على رؤوسهنّ الغربان.

أسباب النزول التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة سبأ حسب المقرر:

لم يذكر الإمام ابن جزي لسورة سبأ سبباً للنزول، وذكر الشوكاني عند قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾ سبأ: ٣٤.

عن أبي رزين قال: كان رجلان شريكين، خرج أحدهما إلى الساحل، وبقي الآخر، فلما بعث الله النبيّ ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إلاّ رذالة الناس ومساكينهم، فترك تجارته، ثم أتى صاحبه، فقال: دلني عليه، وكان يقرأ الكتب، فأتى النبي ﷺ، فقال: إلى ما تدعو؟ قال: إلى كذا، وكذا، قال:

---

(1) البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) (٤٥١٧)، ومسلم في صحيحه كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء(٢١٧٠) وليس في هذا الحديث سبب لنزول آية الحجاب، لأن لفظة الصحيحين بدون نزول آية الحجاب، واختلفت الروايات في حديث عائشة بلفظ: عرفناك ياسودة حرصاً على أن ينزل الحجاب، وفي لفظ: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها، وقد ذكر ابن كثير أن قصة سودة كانت بعد نزول آية الحجاب كما في البخاري.

(2) أخرجه أبوداود في سننه مختصراً (٤١٠١)، وذكره ابن كثير(٦/٢٤٧).

أشهد أنك رسول الله، قال: وما علمك بذلك؟ قال: إنه لم يبعث نبيّ إلاّ اتبعه رذالة الناس، ومساكينهم، فنزلت هذه الآيات ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أنزل تصديق ما قلت[1].[2]

أسباب النزول التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة فاطر حسب المقرر:

لم يذكر الإمام ابن جزي لسورة فاطر سبباً للنزول، ذكر الشوكاني عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ فاطر: ٢٩.

عن ابن عباس: أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف نزلت فيه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾[3].[4]

أسباب النزول التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة يس حسب المقرر:

﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ يس:

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٩٥-٣٩٦).

(2) ذكره ابن كثير في تفسيره(٦/٢٨٦) والحديث مرسل.

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/ ٤١٩).

(4) ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور،(٧/٢٢)، دارالفكر، بيروت.

١٢-١.

ذكر الإمام ابن جزي عند تفسير قول الله تعالى﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ ثلاثة أقوال ثم قال في أذية أبي جهل للنبي ﷺ ...)[١].

وذكر الشوكاني عن ابن عباس قال: « كان النبي ﷺ يقرأ في المسجد فيجهر بالقراءة، حتى تأذى به ناس من قريش، حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا هم عمي لا يبصرون، فجاؤوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: ننشدك الله والرحم يا محمد، قال: ولم يكن بطن من بطون قريش إلا وللنبي ﷺ فيهم قرابة، فدعا النبي ﷺ حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت يس والقرآن الحكيم إلى قوله: أم لم تنذرهم لا يؤمنون قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد».

ثم قال الشوكاني: وفي الباب روايات في سبب نزول ذلك، هذه الرواية أحسنها وأقربها إلى الصحة.

ثم ذكر عن ابن عباس قال: في قوله﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ قال: كانوا يمرون على النبي ﷺ فلا يرونه.

وعنه أيضاً قال: اجتمعت قريش بباب النبي ﷺ ينتظرون خروجه ليؤذوه، فشق ذلك عليه، فأتاه جبريل بسورة يس، وأمره بالخروج عليهم، فأخذ كفا من تراب وخرج وهو يقرؤها ويذر التراب على رؤوسهم، فما رأوه حتى جاز، فجعل أحدهم يلمس رأسه فيجد التراب، وجاء بعضهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا ننتظر محمدا، فقال: لقد رأيته داخلا المسجد، قال: قوموا فقد سحركم[٢].

وقال ابن كثير: وقال عكرمة: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا- إلى قوله- فهم لا يبصرون قال: وكانوا يقولون

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (١٢١٦/٣).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٤٣٢/٤).

هذا محمد، فيقول: أين هو أين هو؟ لا يبصره، رواه ابن جرير[1].

وقال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال: قال أبو جهل وهم جلوس: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا فإذا متم بعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن، وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها. وخرج عليهم رسول الله ﷺ عند ذلك وفي يده حفنة من تراب، وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه، فجعل يذرها على رؤوسهم ويقرأ يس والقرآن الحكيم- حتى انتهى إلى قوله تعالى- وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وانطلق رسول الله ﷺ لحاجته، وباتوا رصدا على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار، فقال: ما لكم؟ قالوا: ننتظر محمدا، قال: قد خرج عليكم فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابا، ثم ذهب لحاجته، فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب. قال: وقد بلغ النبي ﷺ قول أبي جهل فقال: «وأنا أقول ذلك إن لهم مني لذبحا وإنه أحدهم[2].

فرجح ابن جزي معنى الأغلال أنه معنوي وليس حسي، مثل ضربه الله، بمعنى تماديهم في الكفر ومنع الله لهم من الإيمان، فشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات، وغطى على بصره، فصار لا يرى.

وهذا مقتضى سياق الآيات في هذا وفي مثل هذا الموضوع[3].

والذي فسر بأنه حقيقة في الدنيا وليس تمثيل استدلوا ما روي من دواعي النزول في كفار قريش.

وذكر بعضهم بأنه حقيقة في نار جهنم.

---

(1) أخرجه الطبري(١٩/٤٠٧)، من طريق عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة، وهو مرسل.

(2) ذكره ابن كثير (٦/٣٢٨-٣٢٩)، وذكره ابن هشام في السيرة (٢/٩٥).

(3) وهو ترجيح الرازي والثعالبي وابن عطية.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ يس: ١٢.

ذكر الشوكاني أنها نزلت في بني سلمة، وذكر الأحاديث في ذلك، ولم يتعقبها بشيء[١].

عن جابر بن عبدالله قال: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد قال: والقاع خالية، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم[٢].

وعن أبي سعيد الخدري: شكت بنو سلمة بعد منازلهم إلى النبي ﷺ فنزلت: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ ﴿١٢﴾ ﴾ فقال عليكم منازلكم تكتب آثاركم[٣].

وذكر ابن جزي الحديث وأبى أن يكون سبباً لنزول الآية، وذكر هذا القول بصيغة وقيل:..)[٤].

قال ابن عطية: (هذه السورة مكية بإجماع إلا أن فرقة قالت إن قوله: (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال لهم: دياركم تكتب آثاركم وكره رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن تعروا المدينة وعلى هذا فالآية مدنية وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية بمكة، ولكنه احتج بها عليهم في المدينة ووافقها قول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في المعنى فمن هنا قال من قال أنها نزلت في

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٣٣).

(٢) مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد،(٦٦٥).

(٣) رواه الترمذي أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة يس(٣٢٢٦) والحديث في إسناده أبو سفيان السعدي وهو ضعيف، وتفرد إسحاق الأزرق، ومما يؤيد ضعفه أن السياق مخالف لحديث جابر في مسلم وليس فيه سبب النزول، واستغرب حديث أبي سعيد ابن عطية وابن كثير وابن عاشور، قالوا بضعفه وأن السورة مكية بكاملها.

(٤) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢١٨).

بني سلمة)[1].

وقال ابن كثير بعد ذكر حديث أبي سعيد: (وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكمالها مكية فالله أعلم)[2].

وقال ابن عاشور: (وتوهم راوي الحديث عن الترمذي أن هذه الآية نزلت في ذلك، وسياق الآية يخالفه، ومكيتها تنافيه)[3].

فالأحاديث المذكورة ليست سبباً للنزول لأن طرقها ضعيفة، والسورة مكية والقصة بالمدينة، وسياق الآية يخالف الحديث لأن حديث الآية عن الموتى بقوله: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) بينما الحديث في الأحياء فكيف تنزل الآية بسببه.

ولعل سبب الخطأ ما ذكره ابن عطية بقوله: (ووافقها – أي الآية – قول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في المعنى فمن هنا قال من قال إنها نزلت في بني سلمة).

والمراد بقوله – عليه الصلاة والسلام –: (دياركم تكتب آثاركم).

ويرى ابن كثير أنه لا تعارض بين القولين[4].

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) سورة يس: ٤٧.

قال الشوكاني: وقيل: هو من كلام الله سبحانه جواباً على هذه المقالة التي قالها الكفار، وقال القشيري، والماوردي: إن الآية نزلت في قوم من الزنادقة، وقد كان في كفار قريش وغيرهم من سائر العرب، قوم يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع، فقالوا هذه

---

(1) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٨٥/١٣).

(2) تفسير ابن كثير (٣٣١/٦).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٥٦/٢٢).

(4) تفسير ابن كثير (٣٣٢/٦).

المقالة استهزاء بالمسلمين، ومناقضة لهم.وحكى نحو هذا القرطبي عن ابن عباس[١].

وقال ابن كثير: قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون من قول الله للكفار حين ناظروا المؤمنين وردوا عليهم، فقال لهم: { إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ }، وفي هذا نظر[٢].

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ يس: ٧٧.

ذكر ابن جزي والشوكاني في سبب نزول هذه الآية عدة أقوال[٣]:

القول الأول: أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي، وهو مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففتَّه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ:نعم، يميتك الله ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم قال: ونزلت الآيات من آخر يس[٤].

القول الثاني: أن الذي جاء بالعظم هو أمية بن خلف، وهو مروي عن الحسن ومجاهد وقتادة.

القول الثالث: أنه أبي بن خلف، وهو مروي عن مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي.

القول الرابع: أنها نزلت في عبدالله بن أبي.

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٤٥) .

(٣) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٢٩-١٢٣٠)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٥٦).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الشيخ مقبل في الصحيح المسند في أسباب النزول (ص١٩٤)، مكتبة صنعاء الأثرية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

قال ابن كثير: وروي من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: جاء عبد الله بن أبي بعظم ففَتَّه وذكر نحو ما تقدم، وهذا منكر؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة. وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أُبي بن خلف، أو [في] العاص [بن وائل]، أو فيهما، فهي عامة في كل مَنْ أنكر البعث. والألف واللام في قوله: { أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ } للجنس، يعم كل منكر للبعث[1].

القول الخامس: أنها نزلت في أبي جهل.

فالقول الأول هو الراجح وهو ترجيح ابن جزي، لصحة الرواية في ذلك.

وأما القول الثالث وهو قول جمهور المفسرين والمشهور عندهم، غير أن المقدم هو ما قدمه ابن جزي لصحة الرواية في ذلك، والقاعدة تقول: إذا تعددت المرويات في سبب النزول نظر إلى الثبوت فاقتصر على الصحيح ثم العبارة فاقتصر على الصريح فإن تقارب الزمان حمل على الجميع وإن تباعد حكم بتكرار النزول أو الترجيح[2].

ويحتمل وقع منهم جميعاً، فربما اتفقوا عليه، وكان المتحدث أحدهم ولذا جاءت الروايات في كل مرة عن واحد منهم، والله أعلم.

أسباب النزول التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة الصافات حسب المقرر:

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ الصافات: ١٤.

ذكر ابن جزي في سبب نزولها أنها نزلت في ركانة، أراه النبي ﷺ آيات فلم

---

(1) تفسير ابن كثير (٣٥٨/٦).

(2) قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد عثمان السبت، (٧٣/١)، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

يؤمن[1].

روي أنها نزلت في ركانة وهو رجل من المشركين من أهل مكة لقيه رسول الله ﷺ في جبل خال وهو يرعى غنما له وهو أقوى أهل زمانه فقال له رسول الله ﷺ يا ركانة أرأيت إن صرعتك أتؤمن بي قال نعم فصرعه رسول الله ﷺ ثلاثا ثم عرض عليه آيات من دعاء شجرة وإقبالها ونحو ذلك مما اختلف فيه العلماء وألفاظ الحديث فلما فرغ من ذلك كله لم يؤمن وجاء إلى مكة فقال يا بني هاشم ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فنزلت هذه الآية فيه[2].

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ الصافات: ٦٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني أن سبب نزول الآية أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر[3]. [4]

أسباب النزول التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة ص حسب المقرر:

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (٣/ ١٢٣٥).

(2) هذه القصة بين ضعفها من أخرجها ، وجاء في سنن أبي داود كتاب اللباس، باب في العمائم (٤٠٧٨)، والترمذي في سننه كتاب اللباس باب العمائم على القلانس(١٧٨٤)، بلفظ :(أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ قال ركانة: سمعت النبي ﷺ يقول: فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس).وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وإسناده ليس بالقائم ، ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني ولا ابن ركانة، وقال البخاري: إسناده مجهول لا يعرف سماع بعضه من بعض، وقال ابن حبان: في إسناد خبره نظر، الثقات(٣/١٣٠) وقال النووي: حديث المصارعة ضعيف، انظر تهذيب الأسماء(٢/٢٥٦) وقال الشوكاني: في إسناده أبو الحسن العسقلاني وهو مجهول، نيل الأوطار(٨/٢٥٥)، وأما لفظ سبب نزول الآية لايصح، بل ألفاظ الحديث مضطربة.

(3) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٤٠)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٧٥).

(4) أخرجه الطبري(١٩/٥٥٢)، وابن كثير(٦/٣٧٨).

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨﴾ ص: ١ – ٨.

ذكر ابن جزي والشوكاني في سبب الآيات أن قريشاً اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كفّ ابن أخيك عنا، فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا، فكلمه أبو طالب في ذلك، فقال ﷺ: إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب، فقالوا: نعم وعشر كلمات معها، فقال: قولوا لا إله إلا الله، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً[1].[2]

وذكر الشوكاني أيضاً في سبب نزول الآيات عن ابن عبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال: مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يعوده، وعند رأسه مقعد رجلٍ، فقام أبو جهل، فقعد فيه، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، وقال: ما شأنُ قومك يشكونك؟ قال: (يا عم، أُريدهم على كلمة واحدة تدينُ لهم بها العرب، وتؤدي العجم إليهم الجزية) قال: ما هي؟ قال: (لا إله إلا الله) فقاموا فقالوا: أَجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ قال: ونزل (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) فقرأ حتى بلغ: (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) ولفظ الترمذي إلى قوله: (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ)[3].[4]

([1]) التسهيل، ابن جزي، (١٢٥٦/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤٩٨/٤).

([2]) أخرجه الطبري (١٨/٢٠) وابن كثير (٤٠٨/٦-٤٠٩).

([3]) فتح القدير، الشوكاني، (٥٠٣/٤).

([4]) رواه أحمد في مسنده (٢٠٠٨)،والترمذي أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص(٣٢٣٢)، والنسائي في الكبرى(١١٤٣٦) من طريق يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ويحيى ابن عمارة مجهول، ولم يتابعه على هذه الرواية أصحاب ابن جبير على كثرتهم، والحديث

أسباب النزول التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة الزمر حسب المقرر:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ الزمر: ٩.

ذكر الشوكاني أنها نزلت في عثمان بن عفان، ونزلت كذلك في عمار بن ياسر[1].

ولم يذكر ابن جزي ذلك.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ الزمر: ١٠.

ذكر ابن جزي أن الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة[2].

ولم يذكر الشوكاني ذلك السبب.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ الزمر: ١١.

ذكر الشوكاني عن مقاتل: إن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ما يحملك على الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى

حسنه الترمذي وصححه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه، والحديث قد أورده جمهور المفسرين في سبب نزول الآيات.

([1]) فتح القدير، الشوكاني، (٥٤١/٤).

([2]) التسهيل، ابن جزي، (١٢٨٤/٣).

فتأخذ بها، فأنزل الله هذه الآية[1].

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ الزمر: ١٧.

ذكر ابن جزي أن الآية نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير، إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا، فنزلت الآية[2].

وذكر الشوكاني أنها نزلت في أبي ذر وسلمان[3].

ولكن هذا القول ذكره ابن جزي في تفسيره وضعفه، لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية.

وذكر بعض المفسرين أنها نزلت في قوم وحدوا الله في الجاهلية، قبل مبعث النبي ﷺ، وذكروا: زيد بن عمرو بن نفيل وأبا ذر وسلمان[4].

والأظهر أن الآية عامة، شاملة لهم ولغيرهم، كما قال ابن جزي وابن كثير والشوكاني.

وقول ابن عباس لما آمن أبو بكر فجاءه عثمان وعبدالرحمن وطلحة ... لم يذكر مسنداً ولم يذكره الطبري وابن أبي حاتم.

والقول بأنها نزلت في قوم موحدين في الجاهلية فهذا ليس بسبب نزول؛ لأن سبب النزول موقوف على النقل والسماع، ولم يثبت هنا شيء من ذلك، فالراجح ما رجحه ابن جزي وابن كثير والشوكاني أن الآية على عمومها، والله أعلم.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٥٤١/٤).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١٢٨٥/٣).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٥٤٤/٤).

(4) تفسير الطبري(١٨٥/٢٠) وتفسير ابن كثير(٤٤٤/٦).

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ الزمر: ٢٢.

ذكر ابن جزي بصيغة التمريض أن الذي شرح الله صدره للإسلام عليّ بن أبي طالب وحمزة، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو لهب وأولاده واللفظ أعم من ذلك[1].

ولم يذكره الشوكاني، فسبب النزول موقوف على السماع فإن صح قلنا به وإلا فلا، فالذي رجحه ابن جزي أن الآية عامة أقرب، والله أعلم.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾ الزمر: ٢٣.

ذكر الشوكاني عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فنزل ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ٢٣﴾[2].

﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ الزمر: ٣٠ – ٣١.

ذكر الشوكاني عن ابن عمر قال: لقد لبثنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين من قبلنا إنك ميت وإنهم ميتون الآية، حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعرفت أنها نزلت فينا.

وعنه أيضاً قال: نزلت علينا الآية: ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة، فقلنا هذا الذي وعدنا ربنا أن نختصم فيه.

وأخرج عبد الرزاق، وأحمد، وابن منيع، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (١٢٨٦/٣).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٥٤٨/٤) ورواه الطبري.

البعث والنشور عن الزبير بن العوام قال: «لما نزلت ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ قلت: يا رسول الله أيكرر علينا ما يكون بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: نعم ليكررن عليكم ذلك حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه، قال الزبير فو الله إن الأمر لشديد»[1].

و عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون كنا نقول: ربنا واحد، ودِيننا واحد، ونبينا واحد فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم هو هذا[2].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨﴾ الزمر: ٣٨.

ذكر ابن جزي بصيغة التمريض أن سبب نزول الآية أن المشركين خوّفوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من آلهتهم، فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرون على شيء[3].

وذكر الشوكاني عن مقاتل: لما نزلت هذه الآية سألهم النبي ﷺ فسكتوا، وقال غيره: قالوا لا تدفع شيئا من قدر الله ولكنها تشفع، فنزل { قل حسبي الله }[4].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ الزمر: ٤٥.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزمر، رقم(٣٢٣٦) والحاكم(٤/٥٧٢).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٥١-٥٥٢).

(3) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٩٠).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٥٣).

ذكر ابن جزي أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا في الحج، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا [1].

وذكر الشوكاني عن ابن عباس في قوله: (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت)الآية قال: قست ونفرت قلوب هؤلاء الأربعة (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أبو جهل بن هشام، والوليد بن عقبة، وصفوان، وأبي بن خلف (وإذا ذكر الذين من دونه) اللات والعزى إذا هم يستبشرون[2]

﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الزمر:٥٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني الاختلاف في سبب نزول الآية إلى ثلاثة أقوال للمفسرين[3]:

القول الأول: أن الآية نزلت في حق الكفار إذا أسلموا.

وهذا مروي عن زيد بن أسلم كما عند الطبري، وجاء عن ابن عباس في الصحيحين عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا فأتوا محمدا – ﷺ – فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ الفرقان: ٦٨.

ونزل:﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ

([1]) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٩١-١٢٩٢).

([2]) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٥٦).

([3]) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٩٣-١٢٩٤)، وفتح القدير، الشوكاني،(٤/٥٥٩-٥٦٢).

ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1].

وجاء عن عمر: وكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال عمر رضي الله عنه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص رضي الله عنه قال: فقال هشام لما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوت ولا أفهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها فألقى الله عز وجل في قلبي أنها إنما نزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة[2].

وقد ذكر ابن جزي والشوكاني نزول هذه الآية عند تفسيرها.

القول الثاني: أن الآية في حق العصاة إذا تابوا.

([1]) البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله:(ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسه) رقم (٤٨١٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ماقبله، رقم(١٢٢) وليس في هذا الحديث سبب لنزول آية الحجاب، لأن لفظة الصحيحين بدون نزول آية الحجاب، واختلفت الروايات في حديث عائشة بلفظ: عرفناك ياسودة حرصاً على أن ينزل الحجاب، وفي لفظ: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها، وقد ذكر ابن كثير أن قصة سودة كانت بعد نزول آية الحجاب كما في البخاري.

([2]) كما عند الطبري – تفسير ابن كثير(٦/٤٥٩-٤٦٠) وصححه الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول،(ص ١٩٥-١٩٧).

القول الثالث: أن الآية في حق العصاة وإن لم يتوبوا بمشيئة الله، وقد أطال الشوكاني مناقشة الأقوال ورجح هذا القول.

قال ابن كثير: ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة ؛لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه[1].

والراجح في سبب النزول ما جاء عن عمر وابن عباس.

وأما حكم الآية فهي عامة في كل من عصى الله بأي ذنب كان إذا تاب وأناب إلى الله، وإن وقع في الشرك فإنه يدخل ضمن هذه الآية بشرط التوبة والإنابة.

قال ابن جزي رحمه الله: (ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره، وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم، إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: الإسلام يجبّ ما قبله ، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم، بل يخلدهم في النار، وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فالمغفرة المذكورة في هذه الآية، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا أو للعصاة إذا تابوا، أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة، والظاهر أنها نزلت في الكفار، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا، والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله وقد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين).

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ الزمر: ٦٧.

ذكر الشوكاني عن عبد الله بن مسعود – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: جاء رجل

---

(1) تفسير ابن كثير (٦/٤٥٩).

إلى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم، أَبَلَغَك أن الله – عَزَّ وَجَلَّ – يحمل الخلائق على إصبع، والسماوات على إصبع، والأرضين على إصبع والشجر على إصبع، والثرى على إصبع؟ فضحك النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حتى بدت نواجذه، فأنزل الله – عزَّ وجلَّ –: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)[1]. [2]

وفي لفظ: ثم قرأ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...).

وجاء عن ابن عبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال: مر يهودي برسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهو جالس، قال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذِه وأشار بالسبابة، والأرض على ذِه، والجبال على ذِه، وسائر الخلق على ذِه؟ كل ذلك يشير بأصابعه، قال: فأنزل الله – عزَّ وجلَّ – (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) [3].

هكذا جاء في سبب نزول الآية الكريمة، وقد ذكر جمع من المفسرين هذه الأحاديث لكن منهم من اقتصر على سياقها ولم يتعقبها بشيء.

ولم يرى ابن جزي أن ذلك سبباً للنزول[4].

قال ابن عطية: (فرسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تمثل بالآية وقد كانت نزلت)[5].

وقال ابن عاشور: (ومعنى قوله: ثم قرأ هذه الآية، نزلت قبل ذلك لأنها مما

([1]) رواه أحمد في مسنده رقم(٣٥٩٠)، والنسائي(٧٧٣٦)، وقد جاء الحديث في البخاري (٦٩٧٨)و(٧٠٧٥)، ومسلم(٢٧٨٦)، لكن أكثر الروايات لم تذكر لفظة(فأنزل الله).

([2]) فتح القدير، الشوكاني، (٥٦٧/٤).

([3]) رواه أحمد في مسنده رقم (٢٢٦٧)، والترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزمر، رقم(٣٢٤٠)، وقد جاء الحديث في البخاري(٦٩٧٨) و(٧٠٧٥) ومسلم (٢٧٨٦) لكن أكثر الروايات لم تذكر لفظة (فأنزل الله).

([4]) التسهيل، ابن جزي، (١٢٩٦/٣-١٢٩٧).

([5]) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٠٢/١٤).

نزل بمكة، والحبر من أحبار يهود المدينة ... ثم ذكر كلامًا حتى قال: وفي بعض روايات الحديث فنزل قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) وهو وهم من بعض رواته وكيف وهذه مكية وقصة الحبر مدنية)[1].

ولعل القول أن الآية لم تنزل بسبب تلك القصة قوي لسببين:

الأول: أن السورة كلها مكية عند جمهور العلماء، والحدث مع اليهود في المدينة وبناءً عليه فلا يمكن أن تكون القصة سبباً لها.

الثاني: أن طرق الأحاديث أن التصريح بالنزول شاذ غير محفوظ وأن المحفوظ من ذلك الذي تتابعت عليه الروايات ثم قرأ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) فالنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – استدل بالآية على قدرة الله التي أشار إليها الحبر، والله أعلم.

فالآية نزلت ابتداءً وليس بسبب القصة المذكورة لأن السورة كلها مكية والقصة مدنية، ومع هذا فإن التصريح بالنزول ليس محفوظاً بل هو شاذ والله أعلم.

أسباب النزول التي ذكرها ابن جزي في سورة غافر حسب المقرر:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ غافر:٥٦.

ذكر الشوكاني عن أبي العالية قال: إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان ويكون في أمره، فعظموا أمره وقالوا: نصنع كذا ونصنع كذا، فأنزل الله (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ..) قال: لا يبلغ الذي يقول: { فاستعذ بالله } فأمر نبيه أن يتعوّذ من

([1]) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٤/٦٣-٦٤).

فتنة الدجال لخلق السماوات، والأرض أكبر من خلق الدجال[1]. [2]

وذكر عن كعب الأحبار في الآية قال: هم: اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من أمر الدجال[3].

أسباب النزول التي ذكرها ابن جزي في سورة فصلت حسب المقرر:

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ فصلت: ٧.

ذكر الشوكاني عن الفراء أنه قال: كان المشركون ينفقون النفقات، ويسقون الحجيج، ويطعمونهم، فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد، فنزلت فيهم هذه الآية { وَهُمْ بالأخرة هُمْ كافرون }[4].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ فصلت:٨.

ذكر الشوكاني عن السدي أنها نزلت في المرضى، والزمنى، والهرمى إذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الأجر كأصحّ ما كانوا يعملون فيه[5].

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ۝٢٤﴾ فصلت: ٢٢ – ٢٤.

ذكر ابن جزي والشوكاني في سبب نزولها عن عبد الله بن مسعود – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –[6] قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، كثيرة شحمُ

---

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٠٢/٦)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وقال بسند صحيح عن أبي العالية.

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٥٩٣/٤).

(3) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٠٢/٦).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٦٠١/٤).

(5) فتح القدير، الشوكاني، (٦٠٢/٤).

(6) التسهيل، ابن جزي، (١٣١٩/٣-١٣٢٠)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/ ٦٠٩).

بطونهم، قليلة فِقهُ قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله – عَزَّ وَجَلَّ – (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) الآية [1]، وفي رواية لأحمد إلى قوله: (فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ)[2].

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية عن ابن جزي والشوكاني وهو رأي جمهور المفسرين.

قال الطبري: (وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل نفر تدارؤوا بينهم في علم الله بما يقولونه ويتكلمون سرًّا)[3].

وذهب ابن عطية إلى أن القصة ليست سبباً للنزول فقال: (ويشبه أن يكون هذا بعد فتح مكة فالآية مدنية ويشبه أن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قرأ الآية متمثلاً بها عند إخبار عبد الله إياه والله أعلم)[4].

وانتصر ابن عاشور لآخر كلام ابن عطية فيقول (وأحسن ما في كلام ابن عطية طرفه الثاني وهو أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قرأ الآية متمثلاً بها فإن ذلك يؤول قول ابن مسعود فأنزل الله تعالى، ويبين وجه قراءة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إياها عندما أخبره ابن مسعود بأنه قرأها تحقيقاً لمثال من صور معنى الآية وهو أن مثل هذا النفي ممن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم)[5].

فالحديث صحيح السند لا مطعن فيه، وقد أخرج في أصح كتابين بعد كتاب الله.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم، (٤٥٣٩)، ومسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين(٢٧٧٥).

(2) أحمد في مسنده (٣٦١٤) و(٤٢٣٨).

(3) تفسير الطبري (٤١١/٢٠).

(4) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٧٧/١٤).

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٢٨/٢٤).

وصريح بالنزول، والقصة والسورة مكيتان فما الذي يمنع أن تكون الأولى سبب نزول الأخرى، وهو احتجاج جمع من المفسرين بالحديث على نزول الآيات.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ فصلت:٢٦.

ذكر ابن جزي أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله وَالْغَوْا فِيهِ المعنى لا تسمعوا إليه، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات وإنشاد الشعر، وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد، وقيل: معناه قعوا فيه وعيبوه[1].

وذكر الشوكاني عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ، وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته، فكان المشركون يطردون الناس عنه، ويقولون: { لاَ تَسْمَعُواْ لهذا القرءان والغوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ } وكان إذا أخفى قراءته لم يسمع من يحبّ أن يسمع القرآن، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ الإسراء: ١١٠،[2].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ فصلت: ٣٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني القول بأن الآية نزلت في المؤذنين، ولكن رجحا أن الآية عامة، لكل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته، والمؤذنون يدخلون في العموم[3].

عن عائشة في قوله: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مّمَّن دَعَا إِلَى الله } قالت: المؤذن { وَعَمِلَ صالحا } قالت: ركعتان فيما بين الأذان، والإقامة.

وعنها رضي الله عنها قالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلاّ في المؤذنين[4].

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٣٢٠).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٦١٣).

(3) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٣٢١)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٦١٢-٦١٣).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٦١٤).

قال الشوكاني: وقال عكرمة، وقيس بن أبي حازم، ومجاهد: نزلت في المؤذنين، ويجاب عن هذا بأن الآية مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة، والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ، ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولاً أولياً، فكل من جمع بين دعاء العباد إلى ما شرعه الله، وعمل عملاً صالحاً، وهو: تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه، وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم، فلا شيء أحسن منه، ولا أوضح من طريقته، ولا أكثر ثواباً من عمله[1].

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فصلت: ٣٤.

ذكر الشوكاني عن مقاتل أنه قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب كان معادياً للنبي ﷺ، فصار له ولياً بالمصاهرة التي وقعت بينه وبينه، ثم أسلم، فصار ولياً في الإسلام حميماً بالصهارة.وقيل غير ذلك، والأولى حمل الآية على العموم[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ فصلت: ٤٠.

ذكر ابن جزي بصيغة التمريض أن المراد بالذي يلقى بالنار أبو جهل، وبالذي يأتي آمناً عثمان بن عفان، وقيل: عمار بن ياسر واللفظ أعم من ذلك اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ تهديد لا إباحة[3].

وقال الشوكاني: هذا الاستفهام للتقرير، والغرض منه التنبيه على أن الملحدين في الآيات يلقون في النار، وأن المؤمنين بها يأتون آمنين يوم القيامة، وظاهر الآية العموم اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،وقيل: المراد بمن يلقى في النار: أبو جهل، ومن يأتي آمنا: النبي ﷺ، وقيل: حمزة، وقيل: عمر بن الخطاب،

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٦١٢-٦١٣).

(2) المرجع السابق، (٤/٦١٣).

(3) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٣٢٢).

وقيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي { اعملوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } هذا أمر تهديد، أي: اعملوا من أعمالكم التي تلقيكم في النار ما شئتم إنه بما تعملون بصير، فهو مجازيكم على كل ما تعملون[1].

ثم ذكر عن ابن عباس في قوله: { أَفَمَن يلقى فِى النار } قال: أبو جهل بن هشام { أَم مَّن يأتي آمِناً يَوْمَ القيامة } قال: أبو بكر الصديق.

وعن بشير بن تميم قال: نزلت هذه الآية في أبي جهم، وعمار بن ياسر[2].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ فصلت: ٤٤.

ذكر ابن جزي أن الآية نزلت بسبب طعن قريش في القرآن، فالمعنى أنه لو كان أعجميا لطعنوا فيه وقالوا: هلا كان مبينا فظهر أنهم يطعنون فيه على أي وجه كان[3].

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٦١٦/٤).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٦١٨/٤).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١٣٢٣/٣).

المبحث الثاني: علم المناسبات، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المناسبات.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المطلب الأول: تعريف المناسبات.

تعريف المناسبات:

النون والسين والباء كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سُمِّي لاتصاله وللاتصال به[١].

المناسبات: جمع مناسبة، والمناسبة في اللغة المشابهة والمشاكلة والمقاربة، ومنه النسيب: القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، ممن بينهم مناسبة أي رابطة تربط بينهم وهي القرابة[٢].

واصطلاحاً: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني[٣].

وعرفها الزركشي بأنها: أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها ...[٤].

فعلم المناسبة علم يعنى بإبراز أوجه الصلة وتناسب الآيات والسور.

وفائدة هذا العلم هي: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[٥].

وعلم المناسبات علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: نسب(٥/ ٤٢٣).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (١٤/١٣٠).

(٣) البرهان، الزركشي، (١/٣٦).

(٤) البرهان، الزركشي، (١/٣٦).

(٥) البرهان، الزركشي، (١/٣٥-٣٦)، - الإتقان، السيوطي، (٣/٣٢٣).

(٦) البرهان، الزركشي، (١/٣٦).

قلَّ اعتناء المفسرين لدقته[1].

استخرج العلماء أنواعاً كثيرة من المناسبات بين سور القرآن الكريم وآياته .

وحاول حصرها الباحثون المهتمون بهذا العلم، وهي على قسمين، ويتضمن كل قسم عدة أنواع:

القسم الأول: مناسبات السور، ويدخل تحتها الأنواع الآتية:

١_ مناسبة السورة للسورة.

٢_ مناسبة آخر السورة لأول ما قبلها.

٣_ مناسبة أول السورة وخاتمة ما قبلها.

٤_ مناسبة فاتحة السورة وفاتحة التي قبلها كالحواميم.

٥_ مناسبة مضمون السورة لمضمون ما قبلها.

٦_ تناسب مجموعة سور كالسبع الطوال، والحواميم، والمسبحات.

القسم الثاني: مناسبة الآيات وتتضمن أنواعاً وهي:

١_ الربط بين الآية والآية .

٢ _ الربط بين عدة آيات.

٣ _ الربط بين مقطع ومقطع.

٤_ مناسبة آخر الآية لأولها، وهو ما يعرف بالتذييل والفاصلة.

٥_ الربط بين أجزاء الآية الواحدة.

٦ _ مناسبة أول السورة لآخرها، وهو ما يعرف بمناسبة فواتح السور لخواتمها.

---

(١) الإتقان، السيوطي، (٣/٣٢٢).

٧_ الربط بين أجزاء السورة، أي جميع الآيات في السورة الواحدة[١].

وتنقسم المناسبات أيضاً من حيث الخفاء والوضوح إلى ثلاثة أقسام:

١_ مناسبة ظاهرة جلية: وهي ما تُبنى على الصلات الواضحة القريبة، وهو أن تكون الثانية مكملة للأولى، أو على جهة التأكيد أو التفسير أو الاعتراض الشديد[٢].

٢_ مناسبة خفية.

٣_ مناسبة متوسطة بين الخفاء والوضوح[٣].

---

(١) الإعجاز البياني في ترتيب القرآن الكريم وسوره، محمد القاسم، (ص٢٩٨-٤١٣)، دار المطبوعات الدولية، ١٩٧٩م،- المناسبات في القرآن الكريم، (ص١٤٤-١٤٩).

(٢) الإتقان، السيوطي، (٢/٢٣٥).

(٣) الإعجاز البياني في ترتيب القرآن، القاسم، (ص٤٦٦).

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

اختلف موقف أهل التفسير في هذا العلم فكان موقفهم متفاوتاً عموماً ؛ فهم مختلفون في هذا العلم، فمنهم من توسع فيه وتناوله باستفاضة، ومنهم من اعترض وحذر من الاشتغال فيه، ومنهم المقل.

فالإمام ابن جزي لم يذكر هذا العلم في مقدمته، وكان رحمه الله تعالى من المقلين فيه مع ذكره لكثير من أنواع علوم القرآن في مقدمة كتابه التفسير.

ولكن في تفسيره تكلم عن بعض المناسبات للآيات والسور، فكان يجليها للقارئ ويكشفها للقارئ بذكاء، وقد كان أشهر مؤلف في هذا الفن لشيخه ابن الزبير الغرناطي، وتأثير التلميذ بشيخه كان واضحاً وجلياً.

أما الشوكاني فقد أنكر على المشتغلين بعلم المناسبات تكلفهم فيه، وقد رد هذا العلم في غير موضع من تفسيره، فنفى الشوكاني أن يكون بين آيات الله شيء من المناسبة، واحتج بأن القرآن رتبت آياته بما يخالف زمن النزول، وقال في هذا العلم ضرب من التكلف، وأنه لا فائدة منه، وأنه من التكلم بمحض الرأي المنهي عنه وينعى على البقاعي وغيره عنايتهم بهذا العلم.

ثم لم يلبث أن أتى به فكأنه يثبته كعلم وينكر المبالغة فيه، وسيأتي هذا من خلال أمثلة المناسبات التي ذكرها في تفسيره.

يقول الشوكاني في مقدمة تفسيره منكراً لعلم المناسبة ومنتقداً للمهتمين به:

اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام

الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته[1].

وقال: وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قبضه الله عز وجل إليه وكل عاقل فضلا عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالا وتحليل أمر كان حراما وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارة يكون الكلام مع المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضي وتارة مع من حضر وحينا في عبادة وحينا في معاملة ووقتا في ترغيب ووقتا في ترهيب وآونة في بشارة وآونة في نذارة وطورا في أمر دنيا وطورا في أمر آخرة ومرة في تكاليف آتية ومرة في أقاصيص ماضية وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي.

ونحو هذا ما قال الإمام العز بن عبد السلام كما نقل عنه الزركشي: قال الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله المناسبة علم حسن ولكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر قال ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل

---

(1) عند تفسير قوله تعالى :(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) سورة البقرة:٤٠، فتح القدير، الشوكاني، (١ / ٧٢ -٧٣).

والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها انتهى[1].

إلا أن العز رحمه الله لا ينكر وجود المناسبة على الإطلاق ولكنه يستحسنها إذا وقعت بين كلام متحد مرتبط أوله بأخرى.

قال الزركشي: قال بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما فى الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتى فى أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لذ كر آية كل حكم على ما سئل وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ولا كما نزل مفرقا بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر فإنه ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ هود: ١[2].

قال: والذى ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففى ذلك علم جم وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له[3].

الشوكاني انتقد البقاعي بسبب اهتمامه بهذا العلم في تفسيره نظم الدرر؟ ثم نراه يثني على هذا التفسير وعلى مسلك صاحبه فيه فيقول في كتابه البدر الطالع خلال ترجمته له: ومن أمعن النظر في كتابه المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبات بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين

---

(1) البرهان، الزركشي، (١/ ٧٣).

(2) البرهان، الزركشي، (١ / ٣٨).

(3) البرهان، الزركشي، (١ / ٣٨).

علم المعقول والمنقول، وكثير ما يشكل علي شيء في الكتاب فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي وأرجع إلى هذا الكتاب – نظم الدرر – فأجد فيه ما يفيد في الغالب[1].

ويرى الشوكاني أن البحث في هذا العلم ما هو إلا فتح لأبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا أمر لا بد منه وأنه لا يكون القرآن بليغا معجزا إلا إذا ظهر الوجه المقتضى للمناسبة وتبين الأمر الموجب للارتباط فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفا محضا وتعسفا بينا انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة[2].

إن تناسب الآيات والسور جانب من جوانب البلاغة القرآنية حيث جودة السبك وروعة النظم وجمال التراكيب وبراعة الأساليب وهذا التناسب وجه من وجوه الإعجاز ولم يقل أحد أن الإعجاز قائم عليه وحده، أو أن البلاغة القرآنية لا تتمثل إلا فيه فجوانب الإعجاز متعددة، وبلاغة القرآن متشعبة وأساليبها وألوانها عديدة[3].

فالخلاصة: أن القول بالمناسبة قول صحيح مقبول إذا سار المفسر فيه على قواعد سليمة بما يوافق قواعد الشرع ومطلق اللغة، وما يقتضيه الكلام لأنه من باب البحث والاستنباط.وأن المناسبة الظاهرة الجلية لا يمكن ردّها، كما في آيات الوعد والوعيد، والنذارة والبشارة وأمثالها، فعليه يمكن القول بأن الخلاف إنما وقع في المناسبة الخفية المتكلفة، وأن وجه التناسب بين الآيات أظهر منها بين السور لذا يقع في المناسبات بين السور تكلف، وأن التناسب إذا وقع في أمور متحدة مرتبط أوائلها

---

(1) البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ١).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (١/ ٧٢-٧٣).

(3) موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، أحمد بن محمد الشرقاوى سالم، (ص٥).

بأواخرها فهذا تناسب معقول مقبول، وإذا وقع على أسباب مختلفة وأمور متباعدة فما هذا من التناسب في شيء.

فما كان ظاهر التكلف يرد ولا يقبل، وما لم يكن متكلفاً يقبل إذا وافق قواعد الشرع واللغة[1].

(1) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (ص٩٧)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠٠٠م.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

ذكرت في المطلب السابق أن الشوكاني لا يرى علم المناسبات، لذا لم اتطرق في المطلب للأمثلة له إلا قليلاً ، ومن خارج القسم المقرر علي؛ لبيان مقصد انكاره رحمه الله، وسأكتفي ما ذكره ابن جزي في هذا الباب.

ابن جزي رحمه الله تكلم على بعض المناسبات للآيات والسور، فمن تلك المواضع:

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩﴾ الصافات: ١٤٩.

قال: وقال الزمخشري: إن هذا معطوف على قوله فَاسْتَفْتِهِمْ الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما، والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار أي أسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمة ضيزى، ثم قررهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث وردّ عليهم بقوله: وهم شاهدون، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة، أو بمعنى الحضور أى أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه، ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ولد الله، ثم قررهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات وذلك كله ردّ عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علوا كبيراً[1].

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦﴾ ص: ٦.

قال: هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش، وفي معناه وجهان: أحدهما إن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد، أي إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم، أي إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به، أو أن هذا شيء يريده الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح، لأن الإشارة فيما

([1]) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٥٠).

بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد[1].

﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ ص: ١٧.

ذكر جواباً لابن عطية وسكت عنه، وذكر جواباً للزمخشري ورد عليه، ثم قال الأيد:القوة، إلى أن قال والمناسبة في ذلك ظاهرة.

وقال: فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره له بذكر داود؟ فالجواب عندي أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسلية للنبي ﷺ، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدّة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون[2].

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ ص: ٤٨.

قال رحمه الله: هذا ذِكْرٌ الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة من ذكر الأنبياء، وقيل الإشارة إلى القرآن بجملته، والأول أظهر وكأن قوله: هذا ذكر ختام للكلام المتقدم، ثم شرع بعده في كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول فهذا باب ثم يشرع في آخر[3].

أما الشوكاني ذكرت أنني لم أجد أمثلة للإمام الشوكاني في علم المناسبات ضمن القسم المقرر علي، فاضطررت أن آتي بأمثلة من خارج المقرر لأوضح رأيه ومنهجه في هذا العلم.

---

(1) التسهيل، ابن جزي، (١٢٥٦/٣).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١٢٥٩/٣).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١٢٧٣/٣).

ومع الحملة الشرسة التي شنها الشوكاني ضد كل من تصدى للبحث عن المناسبة بين الآيات؛ إلا أنه وقع فيما حذر به غيره، وعابه عليهم من أهل التفسير، وقرر رحمه الله المناسبة بين الآيات في مواضع عديدة من تفسيره، منها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ البقرة: ١٥٣.

قال رحمه الله: لما فرغ سبحانه من إرشاد عباده إلى ذكره وشكره، عقب ذلك بإرشادهم إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، فإن من جمع بين ذكر الله وشكره، واستعان بالصبر والصلاة على تأدية ما أمر الله به، ودفع ما يرد عليه من المحن فقد هدي إلى الصواب ووفق إلى الخير[1].

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ البقرة: ١٦٤.

قال: لما ذكر سبحانه التوحيد بقوله:(وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ) عقب ذلك بالدليل الدال عليه، وهو: هذه الأمور التي هي من أعظم صنعة الصانع الحكيم[2].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾ البقرة: ١٦٥.

قال رحمه الله: لما فرغ سبحانه من الدليل على وحدانيته، أخبر أن مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطانه، وجليل قدرته وتفرده بالخلق، قد وجد في الناس من يتخذ معه سبحانه ندا يعبده من الأصنام[3].

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (١/٢٢٤).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (١/٢٣٠).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٢٣٢).

﴿ *وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٣.

قال: لما ذكر الله سبحانه النكاح والطلاق، ذكر الرضاع، لأن الزوجين قد يفترقان وبينهما ولد، ولهذا قيل: إن هذا خاص بالمطلقات وقيل: هو عام[1].

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾ البقرة:٢٣٤.

قال: لما ذكر سبحانه عدة الطلاق واتصل بذكرها ذكر الإرضاع عقب ذلك بذكر عدة الوفاة، لئلا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق[2].

﴿ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٩.

قال رحمه الله: وقوله: وانظر إلى حمارك اختلف المفسرون في معناه فذهب الأكثر إلى أن معناه انظر إليه كيف تفرقت أجزاؤه، ونخرت عظامه؟ ثم أحياه الله، وعاد كما كان، وقال الضحاك ووهب ابن منبه: انظر إلى حمارك قائما في مربطه، لم يصبه شيء بعد أن مضت عليه مائة عام، ويؤيد القول الأول: قوله تعالى: وانظر إلى العظام كيف ننشزها ويؤيد القول الثاني: مناسبته لقوله: فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وإنما ذكر سبحانه عدم تغير طعامه وشرابه بعد إخباره أنه لبث مائة عام، مع أن عدم تغير ذلك الطعام والشراب لا يصلح أن يكون دليلا على تلك المدة الطويلة، بل على ما قاله من لبثه يوما أو بعض يوم، لزيادة استعظام ذلك الذي أماته الله تلك المدة، فإنه إذا رأى طعامه وشرابه لم يتغير مع كونه قد ظن أنه لم يلبث إلا يوما أو

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (١/٣٣٥).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (١/٣٣٩-٣٤٠).

بعض يوم زادت الحيرة وقويت عليه الشبهة، فإذا نظر إلى حماره عظاما نخرة تقرر لديه أن ذلك صنع من تأتي قدرته بما لا تحيط به العقول، فإن الطعام والشراب سريع التغير، وقد بقي هذه المدة الطويلة غير متغير، والحمار يعيش المدة الطويلة، وقد صار كذلك: فتبارك الله أحسن الخالقين[1].

فرحم الله الإمام الشوكاني فقد عاب وانتقد من اهتم بهذا العلم ووقع فيما حذر منه في عدة مواضع من تفسيره، لعل _ والله أعلم _ كان انكاره من التكلف في طلب المناسبات والبحث عنها، ولم يقصد ما كانت مناسبته ظاهرة واضحة بدون تكلف.

ولعل ذلك يرجع إلى ثمرة الخلاف في مسألة ترتيب السور هل توقيفي أو اجتهادي، فالذين يرون أن الترتيب توقيفي يتلمسون الحكم والفوائد والمناسبات بين السور ويولون اهتماماً خاصاً لمعرفة تلك المناسبات والربط بين السور.

والذين يرون أن الترتيب اجتهادي تركوا الاعتداد بالمناسبات بين السور إضافة إلى عدم القول بتفضيل القراءة في الصلاة وخارجها على ترتيب المصحف.

فالشوكاني يرى أن الترتيب اجتهادي كما يظهر وتابع في ذلك الإمام مالك والباقلاني[2].

فالأظهر أن الشوكاني بالغ في رد هذا العلم، ثم لم يستطع الانفكاك عنه، كما ظهر ذلك في تطبيقاته لعلم المناسبات في تفسيره.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (١/٣٨١-٣٨٢).

(2) نيل الأوطار، الشوكاني، (٣/١٢١١).

المبحث الثالث: القراءات، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القراءات.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المطلب الأول: تعريف القراءات.

القراءات لغةً:

القراءات جمع مفرده قراءة، وهي مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا بمعنى: تلا تلاوة، وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم، تقول: قرأتُ الماءَ في الحوض أي: جمعته فيه، وسمي "القرآن" قرآنًا؛ لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض، وقرأت القرآن، أي لفظت به مجموعا، وأقرأه القرآن فهو مقرئ وقارئ، والجمع قراء وقرأة وقارئون[1]، ثم أطلقت القراءات على علم مستقل خاص بوجوه قراءة القرآن كما سيأتي في التعريف الاصطلاحي.

القراءات اصطلاحاً:

تطرق العلماء لتعريف القراءات بحدود متعددة، أذكر منها:

- تعريف أبي حيّان الأندلسي[2] أنّها: الوجوه المختلفة التي سمح النّبي ﷺ بقراءة نصّ المصحف بها قصداً للتّيسير، والتي جاءت وفقاً للهجةٍ من اللهجات العربيّة[3].
- تعريف ابن الجزري أنها: (علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو النّاقلة)[4].

ويعتبر هذا التعريف من أدق التعاريف وأجمعها وأشملها، ويقصد بعزو الناقلة: أي:

---

(1) لسان العرب، ابن منظور(٨١/١١)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (ص١٣٨٠).

(2) هو: محمد بن يوسف بن علي بن حيان، الغرناطي، الأندلسي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم، من مؤلفاته المشهورة البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم وغيرها، توفي ٧٤٥هـ.

- الأعلام، الزركلي، (١٥٢/٧)، - معجم المؤلفين، كحالة، (٧٨٤/٣-٧٨٥).

(3) ارتشاف الضّرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، - صفحات المحقق- تحقيق رجب عثمان محمد ،(٤٧/١)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩٨م.

(4) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، (ص٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

هي علمٌ ثابتٌ بنقل الحفاظ لوجوه قراءة القرآن عن الصحابة عن النبي ﷺ، ولا مصدر له سوى النقل.

ومن ثَمَّ فإنَّ القراءات القرآنية انقسمت بحسب ناقلها إلى مقبولة وشاذة.

فالقراءات المقبولة:

هي التي توفر فيها أركان القبول المتفق عليها بين العلماء، وقد جمعها ابن الجزري في طيبة النشر بقوله:

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالا يحوي

وصحَّ إسنادا هو القرآنُ فهذه الثلاثة الأركانُ

وحيثما يختل ركنٌ أثبتِ شذوذه لو أنه في السبعةِ

ومن هذه الأركان ميز علماء القراءات المقبولة من الشاذة عملا بالقاعدة المشهورة المتفق عليها وهي: كلُّ قراءة وافقت قواعد اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه، ووافقت رسم المصحف ولو احتمالاً، وصحَّ سندها بنقل الثقات عن النبي ﷺ، فهي القراءة الصحيحة المقبولة[1].

وأطلق سيبويه[2] والأخفش[3] على اختياراتهما من القراءات، القراءات العامة.

([1]) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري،(١٥/١)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٣م.

([2]) هو:عمرو بن عثمان بن قمبر الفارسي، أبو بشر، إمام النحو، حجة العرب بلا منازع، من مؤلفاته الكتاب، توفي ١٨٠هـ.

-سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣٥١/٨)، - بغية الوعاة، السيوطي، (٢٢٠/٢).

([3]) هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري، أبو الحسن، إمام العربية، من مؤلفاته معاني القرآن، توفي ٢١٥هـ.

- بغية الوعاة، السيوطي، (٥٧٠/١).

وسمَّاها الفراء[1] قراءات القرّاء، أما ابن سلاّم فوصفها بالكثرة، وهي وإن تعددت أسماؤها، فمعناها واحد، وهو الصحيح المشهور من القراءات[2].

وقد قيض الله تعالى لهذا العلم رجالاً ثقات قاموا بحمل علم القراءات وضبط وجوهها وطرقها، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم، ليؤخذ عنهم، وقد توزعوا في أرجاء البلاد الإسلامية.

فكان بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع[3]، ثم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم[4]، ثمَّ شيبة بن نصاح[5].

---

(1) هو: يحيى بن زياد الديلمي، أبو زكريا، أحد نحاة الكوفة وأئمتها المشهورين في اللغة، من مؤلفاته معاني القرآن ، توفي ٢٠٧هـ.

- الفهرست، ابن النديم، (ص ٧٣-٧٤)، - بغية الوعاة، السيوطي، (٣٣٣/٢)، - الأعلام، الزركلي، (١٤٥/٨-١٤٦)، - معجم المؤلفين، كحالة، (٩٥/٤-٩٦).

(2) القراءات الشاذّة وتوجيهها النحوي، محمود أحمد الصغير،(ص٨٠)، دارالفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، بتصرف.

(3) هو: يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، أبو جعفر، الإمام القارئ، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، ويقال اسمه جندب بن فيروز، توفي ١٣٠هـ وقيل غير ذلك.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٣١/٩)، - غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، تحقيق برجستر اسر، (٣٨٢/٢)، دار الكتب العلمية، ومكتبة ابن تيمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

(4) هو: نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم، أحد القراء السبعة، ثقة صالح، توفي ١٦٩هـ وقيل غير ذلك.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣٣٦/٧)، - غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٣٠/٢).

(5) هو: شيبة بن نصاح بن سرجس، إمام ثقة، مقرئ المدينة مع أبي جعفر، أول من ألف في الوقوف، توفي ١٣٠هـ وقيل غير ذلك.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٣٠/١).

وفي مكة: عبد الله بن كثير[١]، وحميد بن قيس الأعرج[٢]، ومحمد بن محيصن[٣].

أما بالكوفة فكان: يحيى بن وثاب[٤]، وعاصم بن أبي النجود الأسدي[٥]، وسليمان الأعمش[٦]، ثم حمزة بن حبيب[٧]، ثم علي بن حمزة الكسائي[٨].

---

(١) هو: عبدالله بن كثير بن عمرو المكي الدَّاري، أبو معبد، إمام أهل مكة بالقراءة، تابعي جليل، توفي ١٢٠هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣١٨/٥)، - غاية النهاية، ابن الجزري، (٤٤٣/١).

(٢) هو: حميد بن قيس الأعرج، أبو صفوان المكي، توفي ١٣٠هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٢٦٥/١).

(٣) هو: محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، ولولا مافي قراءته من مخالفة رسم المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة، توفي ١٢٢هـ وقيل غير ذلك.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (١٦٧/٢).

(٤) هو: يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم الكوفي، تابعي ثقة كبير، توفي ١٠٣هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٨٠/٢).

(٥) هو: عاصم بن بهدلة بن أبي النَّجود الأسدي مولاهم الكوفي، أبو بكر، شيخ الإقراء بالكوفة، أحد القراء السبعة، توفي ١٢٧هـ وقيل غير ذلك.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢٥٦/٥)، - غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٤٦/١).

(٦) هو: سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي، أبو محمد، إمام جليل، توفي ١٤٨هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٣١٥/١).

(٧) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي التيمي مولاهم، أبو عمارة، المعروف ب"الزيات"، إمام جليل وأحد القراء السبعة ، توفي ١٥٦هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٩٠/٧)، - غاية النهاية، ابن الجزري، (٢٦١/١).

(٨) هو: علي بن عبدالله بن يَهْمَن بن فيروز الأسدي، أبو الحسن الكسائي، إمام إنتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، توفي ١٨٩هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٣١/٩)، - غاية النهاية، ابن الجزري، (٥٣٥/١).

وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق[١]، وعيسى بن عمر[٢]، وأبو عمرو بن العلاء[٣]، ثم عاصم الجحدري[٤]، ثم يعقوب الحضرمي[٥].

أما في الشام: فكان عبد الله بن عامر[٦]، وعطية بن قيس الكلابي[٧]، وإسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر[٨]، ثم يحيى بن الحارث الذماري[٩]، ثم شُريح بن

---

(١) هو: عبدالله بن إسحاق الحضرمي النحوي البصري، جد يعقوب بن إسحاق الحضرمي، توفي ١١٧هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (١/١٤٠).

(٢) هو: عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري، أبو عمر، توفي ١٤٩هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (١/٦١٣).

(٣) هو: زَبَّان بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري، أبو عمرو، أحد القراء السبعة، توفي ١٥٤هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٦/٤٠٧)، - غاية النهاية، ابن الجزري، (١/٢٨٨).

(٤) هو: عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري، أبو المجشِّر، توفي ١٣٠هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (١/٣٤٩).

(٥) هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري، أبو محمد، أحد القراء العشرة إمام أهل البصرة ومقريها، توفي ٢٠٥هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٠/١٦٩)، - غاية النهاية، ابن الجزري، (٢/٣٨٦).

(٦) هو: عبدالله بن عامر بن تميم بن ربيعة اليحصبي البصري، أبو عمران، أحد القراء السبعة وأعلاهم سنداً، وإمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، توفي ١١٨هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥/٢٩٢)، - غاية النهاية، ابن الجزري، (١/٤٢٣).

(٧) هو: عطية بن قيس الكلابي الحمصي الدمشقي، أبو يحيى، توفي ١٢١هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (١/٥١٣).

(٨) هو: إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر الدمشقي، أبو عبدالحميد، توفي ١٣٢هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥/٢١٣).

(٩) هو: يحيى بن الحارث بن عمرو الغساني الذماري ثم الدمشقي، إمام جامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، توفي ١٤٥هـ.

زيد الحضرمي[1].[2]

ولما جاء ابن مجاهد[3] أفرد القراءات السبع المعروفة، فدوَّنها في كتابه السبعة في القراءات، وكان لها مكانتها في التدوين، ولا عجب في ذلك، فهو لم يأخذ إلا عن إمام اشتهر بالضبط، والأمانة، و ملازمة الإقراء طوال العمر، وممن رأى فيهم مثل ذلك من القراء:

- عبد الله بن عامر اليحصبي الشّامي، يرويها عنه: هشام بن عمار[4]، وابن ذَكْوان[5].

- عبد الله بن كثير الدَّاري المكي، يرويها عنه: البَزِّيُّ[6]، وقُنْبُل[1].

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٦٧/٢).

([1]) هو: شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي، أبو حيوة، صاحب القراءة الشاذة، ومقرئ الشام، توفي ٢٠٣هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٢٥/١).

([2]) النشر، ابن الجزري، (١٤/١- ١٥).

([3]) هو: أحمد بن موسى بن العباس المعروف بابن مجاهد التميمي، أبو حيوة، الحافظ، صاحب كتاب السبعة،أول من سبَّع القراءات، توفي ٣٢٤هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (١٣٩/١).

([4]) هو: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي، أبو الوليد، إمام أهل الشام وخطيبهم، توفي ٢٤٥هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤٢٠/١١)، غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٥٤/٢).

([5]) هو: عبدالله بن أحمد بن بشر ابن ذكوان الدمشقي، أبو محمد، إنتهت إليه مشيخة الإقراء بدمشق بعد هشام، توفي ٢٤٢هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٤٠٤/١).

([6]) هو: أحمد بن محمد بن عبدالله بن نافع بن أبي بزة البزي، أبو الحسن، مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام، توفي ٢٥٠هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥٠/١٢)، - غاية النهاية، ابن الجزري، (١١٩/١).

- عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي، يرويها عنه: شعبة[٢]، وحفص[٣].
- أبو عمرو بن العلاء البصري، يرويها عنه: الدُّوري[٤]، والسوسي[٥].
- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، يرويها عنه: خلف البزار[٦]، وخلَّاد[٧].

---

(١) هو: محمد بن عبدالرحمن بن محمد المخزومي المكي، أبو عمرو، الملقب "قنبل" إنتهت إليه رئاسة الإقراء في الحجاز، توفي ٢٩١هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٨٤/١٤)، غاية النهاية، ابن الجزري، (١٦٥/٢).

(٢) هو: شعبة بن عياش بن سالم الأسدي الحناط الكوفي، أبو بكر، إمام علم راوي عاصم، اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً أصحها شعبة، توفي ١٩٣هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤٩٥/٨)، غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٢٥/١).

(٣) هو: حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، أبو عمر، كان أعلم أصحاب عاصم بقراءته ومرجحاً على شعبة بضبط الحروف، قراءته على عاصم ترتفع إلى علي رضي الله عنه، وأما قراءة شعبة فترتفع إلى ابن مسعود، توفي ١٨٠هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٢٥٤/١).

(٤) هو: حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صُهبان الدوري الأزدي البغدادي الضرير، أبو عمر، إمام في القراءة وشيخ الناس في زمانه،أول من جمع القراءات وقرأ بسائر الحروف متواترها وصحيحها وشاذِّها، توفي ٢٤٦هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥٤١/١١)، غاية النهاية، ابن الجزري، (٢٥٥/١).

(٥) هو: صالح بن زياد بن عبدالله الجارود السوسي، أبو شعيب، مقرئ ضابط محرر ثقة، توفي ٢٦١هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣٨٠/١٢)، غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٣٢/١).

(٦) هو: خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي البزَّار البغدادي، أبو محمد، أحد القراء العشرة، توفي ٢٢٩هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥٧٦/١٠)، غاية النهاية، ابن الجزري، (٢٧٢/١).

(٧) هو: خلاد بن خالد الشيباني الكوفي، أبو عيسى،إمام في القراءة ثقة عارف، توفي ٢٢٠هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٢٧٤/١).

- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، يرويها عنه: قالون[1]، و ورش[2].

- الكسائي النحوي الكوفي، يرويها عنه: الدُّوري[3]، والليث[4].

ومن أركان القراءة التي اعتمدها العلماء جرى تمييز القراءة المتواترة من غيرها فكانت السبع المتواترة والثلاث المتممة؛ فأصبح مجموع المقبول من القراءات عشر قراءات، وهذه القراءات الثّلاث هي قراءات الأئمة:

- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، يرويها عنه: ابن وردان[5]، وابن جمَّاز[6].

- يعقوب بن إسحاق الحضرمي الكوفي، يرويها عنه: رويس[1]، و رَوْح[2].

---

(1) هو: عيسى بن ميناء بن وردان الزرقي مولى بني زهرة، أبو موسى، الملقب " قالون" كلمة رومية لقبه نافع لجودة قراءته، قارئ المدينة ونَحْويَّها، توفي ٢٢٠هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣٢٦/١٠)، غاية النهاية، ابن الجزري، (٦١٥/١).

(2) هو: عثمان بن سعيد بن عبدالله القرشي مولاهم القبطي المصري، أبو سعيد، الملقب " ورش" الورشان طائر يشبه الحمام ولقبه نافع بورشان ثم خفف فقيل ورش، وذلك لأنه كان يلبس ثياباً قصيرة على قصره، فإذا مشى بدت رجلاه، وهو راوي نافع وشيخ القراء المحققين، توفي ١٩٧هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢٩٥/٩)، غاية النهاية، ابن الجزري، (٥٠٢/١).

(3) تقدمت ترجمته، وهو الراوي عن أبي عمرو بن العلاء البصري.

(4) هو: الليث بن خالد المروزي البغدادي، أبو الحارث، كان من جِلَّة أصحاب الكسائي، توفي ٢٤٠هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٤/٢).

(5) هو: عيسى بن وردان المدني، أبو الحارث، الملقب " الحذَّاء"، إمام مقرئ حاذق، توفي ١٦٠هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٦١٦/١).

(6) هو: سليمان بن مسلم بن جمَّاز الزهري، أبو الربيع، كان مقرئاً ضابطاً، توفي ١٧٠هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٣١٥/١).

- خلف بن هشام ، يرويها عنه: إسحاق المروزي[٣]، وإدريس الحداد[٤].

واتفق العلماء المحققون على أن هذه القراءات العشر قراءات متواترة إلى رسول الله ﷺ حتى إنهم أثبتوا تواترها بذكر طبقات رواتها[٥].

القراءات الشاذة:

الشذوذ لغة:

شذَّ عنه يشذُّ شذوذاً: انفرد عن الجمهور، فهو شاذ، و شاذ عن القياس: أي ما شذَّ عن الأصول[٦]، و الشاذ: ما انفرد عن الجمهور وندر، والشاذ المتنحي[٧]،و أشذ

---

(١) هو: محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، أبو عبدالله، المعروف ب رويس، مقرئ حافظ ضابط، توفي ٢٣٨هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٢/٢٣٤).

(٢) هو: روح بن عبدالمؤمن الهذلي البصري، أبو الحسن، مقرئ حافظ ضابط، توفي ٢٣٤هـ وقيل غير ذلك.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (١/٢٨٥).

(٣) هو: إسحاق بن إبراهيم المروزي البغدادي، أبو يعقوب، وراق خلف وراوي اختياره عنه، ثقة، توفي ٢٨٦هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (١/١٥٥).

(٤) هو: إدريس بن عبدالكريم الحداد البغدادي، أبو الحسن، إماماً متقناً، توفي ٢٩٢هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٤/٤٤)،غاية النهاية، ابن الجزري، (١/١٥٤).

(٥) منجد المقرئين، ابن الجزري، (ص٤٨)، - القرآن الكريم والدراسات الأدبية، نور الدين عتر، (ص١٥٣)، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

(٦) أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، (١/٤٩٩) شذذ ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(٧) لسان العرب، ابن منظور، (شذذ).

الشيء: نحاه وأقصاه[1].

والشذوذ: هو التفرق والتفرد والندرة والخروج على القاعدة والقياس والأصول[2].

فالقراءة الشاذة:

هي كل قراءة خرجت عن مقياس ابن الجزري وأركانه الثلاثة، وهي ماأطلق عليها ضعيفة أوشاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هوأكبر منهم[3].

ومنها القراءات الأربعة التي نص العلماء على شذوذها:

- قراءة الحسن البصري[4].
- قراءة يحيى بن المبارك اليزيدي[5].
- قراءة الأعمش.
- قراءة ابن محيصن[6].

([1]) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، (٤٢٣/٩) شذذ، التراث العربي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥م.

([2]) الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، (٩٦/١)، دار الكتب العلمية، مصر،١٩٥٣م.

([3]) النشر، ابن الجزري، (١٥/١).

([4]) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، إمام زمانه علماً وعملاً، توفي ١١٠هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥٦٣/٤)،غاية النهاية، ابن الجزري، (٢٣٥/١).

([5]) هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي اليزيدي، أبو محمد، نحوي مقرئ علامة، توفي ٢٠٢هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٢٧٥/٢).

([6]) تقدمت ترجمته، وهو ليس من القراء العشرة الذين تواترت قراءتهم أو اشتهرت، وأما اعتبار قراءة ابن محيصن مما يجري مجرى القراءات السبع من الآراء الخاصة التي تبناها ابن جزي، كما سيأتي

ومن أمثلة القراءة الشاذة ما ورد من قراءة ابن عباس: ﴿ وَكَانَ أمامهُم يَأخُذُ كُلَّ سفينةٍ صَالحةٍ غصباً ﴾ سورة الكهف[1].

وهي مما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهها العربي، وخالف لفظها خط المصحف[2].

وقراءة ابن السَّمَيفَع[3] وأبي السَّمَّال[4]: ﴿ لِتَكُونَ لمن خَلفَكَ آيةً ﴾ سورة يونس:٩٢، بفتح اللاّم، وهي مما نقله غير ثقة، وغالب إسناده ضعيف[5].

وذهب ابن مجاهد إلى أن القراءة الشاذة، هي كل ما خرج عما يرويه في الغالب أحد اثنين عن قارئ من السبعة، وهم: قالون وورش عن نافع، والبزي وقنبل عن ابن كثير، والدوري والسوسي عن أبي عمرو، وهشام وابن ذكوان عن ابن عامر، وشعبة وحفص عن عاصم، وأبو الحارث والدوري عن الكسائي، أو ما يرويه غيرهما عنهم ممن عرفوا بالضبط والإتقان، وجاءت أسماؤهم في مقدمة كتابه السبعة في

كلامه في القراءات، وأكّد على ذلك في كتابه تقريب الوصول إلى علم الأصول (ص٣٧)، ولولا مافي قراءته من مخالفة رسم المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة.

(1) في المصحف﴿ وَكانَ وَراءَهُم مَلِكٌ يَأخُذُ كُلّ سَفينةٍ غَصبًا﴾ .

(2) النشر، ابن الجزري، (١٩/١).

(3) هو: محمد بن عبدالله بن السميفع اليماني، أبو عبدالله، له قراءة معروفة، وفيها مايشذ، توفي ٢١٣هـ وقيل غير ذلك.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (١٦١/٢).

(4) هو: قَعْنَب بن أبي قَعْنَب العدوي البصري، أبوالسمال، له اختيار في القراءة شاذ، توفي أيام المنصور.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٢٧/٢).

(5) النشر، ابن الجزري، (٢٠/١).

القراءات وفي أثنائه[١]، كرواية المفضل الضَّبِّي[٢] عن عاصم: ﴿ وعلى أبصارهم غِشاوَةً ﴾ سورة البقرة [٣] بنصب غِشاوة[٤] ، والرواية عن ابن كثير: ﴿غيرَ المَغضُوبِ عَليهم ﴾سورة الفاتحة[٥] بنصب (غير)[٦].

أما أبو جعفر النحاس[٧]، فيرى أنها كل قراءة خرجت عن إجماع الحجة أو العامة، وكان فيها مطعن، قال: وقلما يخرج شيء عن قراءة العامة إلا كان فيه مطعن[٨].

ويرى ابن جني[٩] هو الآخر أن القراءات الشاذة: كل ما شذ عن قراءة القراء

---

(١) أسانيد القراء السبعة ورواتهم، – كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، (ص ٨٨–١٠١)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

(٢) هو: المفضل بن محمد الضبي، كان من جلة أصحاب عاصم، توفي ١٦٨هـ.

- غاية النهاية، ابن الجزري، (٣٠٧/٢).

(٣) (غِشَاوةٌ).

(٤) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، (ص١٣٩).

(٥) (غيرِ).

(٦) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، (ص١٢٢).

(٧) هو: أحمد بن محمد المرادي النحوي المصري، أبو جعفر، يعرف بابن النحاس، من مؤلفاته إعراب القرآن، توفي ٣٢٨هـ.

- بغية الوعاة، السيوطي، (٣٤٧/١).

(٨) إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد النحاس، (٣٠٢/١)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.

(٩) هو: عثمان بن جِنِّي الفارسي الموصلي، أبو الفتح، إمام العربية، وأحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو ووجوه القراءات، من مؤلفاته المحتسب، توفي ٣٢٨هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٧/١٧)، – بغية الوعاة، السيوطي، (١٢٦/١).

السبعة[1].

وذهب بعضهم كمقياس ابن مجاهد، إذ يشترط فيه مطابقة اللفظ للمصحف، وصحّة الوجه في الإعراب، وأن يكون الوجه قد توارثته الأمة[2].

فعرف أصحاب القراءات الشاذة بأنهم خرجوا من دائرة القراء العشرة الذين حددهم ابن الجزري، وانصرفوا إلى القراءة المفردة التي تُعزى إلى بعض الرجال، ومن هؤلاء القراء: شريح ابن يزيد الحضرمي، وطلحة بن سليمان[3].

وأفرد ابن النديم موضعاً خاصاً لتعداد أسمائهم في كل عصر على حدة[4].

---

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي،(٣٥/١)، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م.

(2) كابن خالويه، انظر القراءات القرآنية، الفضلي، (ص٤٣).

(3) هو: طلحة بن سليمان السمان، مقرئ مصدر، أخذ القراءة عرضًا عن فياض بن غزوان عن طلحة بن مصرف وله شواذ تروى عنه.

- غاية النهاية، ابن الجزري،(٣٠٩/١).

(4) كأهل المدينة وأهل مكة وأهل البصرة وأهل الكوفة وأهل الشام وأهل اليمن، انظر الفهرست، ابن النديم، (ص٣٣-٣٤).

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

نبه الإمام ابن جزي في تفسيره على أهمية ضبط القراءة، فقال رحمه الله: (وأما القراءات: فإنها بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته.

ثم قسم رحمه الله القراءات إلى قسمين، فقال: (ثم إنّ القراءات على قسمين: مشهورة وشاذة.

فالمشهورة: هي القراءات السبع وما جرى مجراها: كقراءة يعقوب، وابن محيصن[1] والشاذة ما سوى ذلك)[2].

ثم بين أن قراءة نافع هي المستعملة في بلاده، والاقتداء بقراءة أهل المدينة، فاقتصر رحمه الله على القراءات السبع، بل أنه لم يستوفها ولم يكلف نفسه بالقراءات الشاذة إلا إذا كانت تساعده في تفسير القرآن، وذكر عذره بأن كتابه مختصراً فتقيد بما له فائدة، وألف في ذلك مؤلفاً في القراءات.

ثم ذكر شروط القراءة بأحد الحروف، فقال: (ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلّا بثلاث شروط: موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات، ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا[3].

وذكر أن اختلاف القراء على نوعين:

أصول، وفرش الحروف.

فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مضطرد، ولا قانون كلي، وهو في

---

(1) تقدم أن اعتبار ابن محيصن مما يجري مجرى القراءات السبع أنه رأي خاص تبناه ابن جزي رحمه الله.

(2) التسهيل، ابن جزي، (١/٧٤-٧٥).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١/١٠٠).

وجهين:

اختلاف على القراءة باختلاف المعنى(مثل: ننشرها وننشزها)، وباتفاق المعنى (فالله خيرُ خيرٌ حافظاً).

وأما الأصول فالاختلاف فيها لا يغير المعنى...)[1].

وكذلك المتمعن في تفسير الإمام الشوكاني يجد أنه اعتنى أشد الاعتناء بالقراءات السبع مع شرحها، وبيان معانيها وتوجيهاتها، وكذلك القراءات الصحيحة والشاذة ليبين عليها التفسير عند اختلاف المعنى في القراءات.

فتجد ما لا حصر له في تفسيره، في كل صفحة تقريباً تجده يذكر القراءات ويستدل بها على اختلاف المعنى في التفسير ويرجح بعض الأقوال على بعض غالباً.

وكانت قراءة الشوكاني للقرآن برواية قالون عن نافع المدني ويدل على ذلك مواضع في تفسيره[2].

انتقد الشوكاني لبعض القراءات السبعة كابن عامر[3]، كقوله:

([1]) التسهيل، ابن جزي، (١/١٠٠-١٠١).

([2]) – سورة البقرة (٢٤٦) عسِيتم بكسر السين قراءة نافع.

– سورة البقرة (٢٨٠) ميْسُرة كتبها بإسكان الياء وضم السين وهي قراءة نافع.

_ في سورة آل عمران (٣٩) كلمة نبيئا، كتبها مهموزة وهي قراءة نافع.

([3]) نجد في عدة مواضع من تفسيره اعتراض بعض النحويين على بعض القراءات المتواترة بدعوة عدم تواترها ومخالفتها للنحو، ووافقهم الشوكاني في أكثر من عشرة مواضع، وأحياناً يأتي برد نحاة آخرين أو يسكت أحياناً، ولم تستطع الجزم بضابط له رحمه الله، فأحياناً يقول : اللغة ضابط ويدفع ما نقله جمهور الأمة من تواتر القراءات السبع وأحياناً يقول: إذا ثبتت الرواية فلا رد لها، فلا تجد قراءة عشرية ردها النحاة إلا وقد رد عليهم نحاة آخرون، واللغة لا يحيط بها إلا نبي، فلا يحق الجزم بالإحاطة باللغة، ورد النحاة قد يتضمن تغليط الصحابة في رسم المصحف، ويكفي الرد على بعض النحاة كلام الشوكاني في سورة الزمر "أَمَّن هو قانت" في رد النحاة لقراءة نافع، فقال: إذا ثبتت الرواية بطلت الدراية(٤/٥٣٩).

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ الأنعام: ١٣٧.[1].

وكان الشوكاني يتوسع في القراءات[2]، فيذكر القراءات الصحيحة، والشاذة ليبني عليها التفسير عند اختلاف المعنى في القراءات، فعلى سبيل المثال عند قوله تعالى:﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ سورة البقرة:٣٦ قال: فأزلهما من الزلة، وهي الخطيئة أي استزلهما، وأوقعهما فيها، وقرأ حمزة: ﴿فَأَزَالَّهُمَا﴾ بإثبات الألف، من الإزالة، وهي التنحية: أي نحاهما[3]، وقرأ: الباقون بحذف الألف، قال ابن كيسان: هو من الزوال: أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية، قال القرطبي: وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى، إلا أن قراءة الجماعة أمكن في المعنى يقال منه: أزللته فزل، وعنها متعلق بقوله أزلهما على تضمينه معنى أصدر: أي أصدر الشيطان زلتهما عنها، أي بسببها، يعني الشجرة، وقيل الضمير للجنة، وعلى هذا، فالفعل مضمن معنى أبعدهما: أي أبعدهما عن الجنة، وقوله: فأخرجهما تأكيد لمضمون الجملة الأولى: أي أزلهما إن كان معناه زال عن المكان، وإن لم يكن معناه كذلك فهو تأسيس؛ لأن الإخراج فيه زيادة على مجرد الصرف، والإبعاد، ونحوهما؛ لأن الصرف عن الشجرة، والإبعاد عنها قد يكون مع البقاء في الجنة بخلاف الإخراج لهما عما كانا فيه من النعيم، والكرامة،

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٢/٢١٢).

(2) ينسب إلى بعض القراء من أصحاب القراءات المتواترة أحرفاً شاذة عنهم، فيظن القارئ أنها متواترة، مثل ماذكر في سورة محمد أن ابن كثير "فإما منًّا بعد وإما فداء" يقرأها بالقصر (٥/٣٧) فالمتواتر عن ابن كثير كباقي العشرة بالمد، وأحياناً ينسب القراءات إلى أصحابها نسبة غير صحيحة، وأحياناً لا يستوفي ذكر أصحاب القراءات المتواترة، وأحياناً يذكر أن في الآية قراءتين ويكون فيها أكثر من ذلك.

(٣) فتح القدير، الشوكاني،(١/٨٠)،- السبعة، ابن مجاهد،(ص١٥٤)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٩٤).

أو من الجنة، وإنما نسب ذلك إلى الشيطان؛ لأنه الذي تولى إغواء آدم حتى أكل من الشجرة[1]

وأحيانا يورد القراءتين ويبيّن اختيار العلماء فيها مثاله قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ﴿١٥﴾﴾ سبأ:١٥، قال الشوكاني قرأ الجمهور " لِسَبَأٍ" بالجر والتنوين على أنه اسم حي، أي: الحي الذي هم أولاد سبأ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو" لِسَبَأَ" ممنوع الصرف بتأويل القبيلة، واختار هذه القراءة أبو عبيد، ويقوي القراءة الأولى قوله: في مسكنهم ولو كان على تأويل القبيلة لقال في مساكنها...)[2].

ويأتي أحياناً بقراءات شاذة[3] فيصرّح بها مثاله في سورة البقرة عند قوله تعالى:﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴿١٥٠﴾﴾ الأعراف: ١٥٠، قرئ ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ بفتح الميم[4] تشبيها له بخمسة عشر، فصار كقولك يا خمسة عشر أقبلوا، وقال الكسائي، والفراء، وأبو عبيد: إن الفتح على تقدير يا ابن أم، وقال البصريون: هذا القول خطأ؛ لأن الألف خفيفة لا تحذف، ولكن جعل الاسمين اسما واحدا، كخمسة عشر، واختاره الزجاج، والنحاس، وأما من قرأ بكسر الميم، فهو على تقدير ابن أمي، ثم حذفت الياء، وأبقيت الكسرة؛ لتدل عليها، وقال الأخفش، وأبو حاتم: ابن أم بالكسر،

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (١/ ٨٠).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٨١-٣٨٢).

(٣) لا يفصل في القراءات الشاذة بين مارواه القراء بإسناد متصل إلى زماننا؛ فيفوت على القارئ معرفة صحة هذه القراءات الشاذة وصلاحيتها للحجة في اللغة والنحو، وأحياناً يذكر القراءة الموضوعة كما في سورة فاطر"إنما يخشى الله من عباده العلماء" قراءة مختلفة نسبت إلى قائلها من غير أصل-أي بغير سند مطلقاً- أو هي مكذوبة ومصنوعة إلى قائلها افتراء(٤/٤١٥).

(٤) قرأ ابن عامر، وأبو بكر، وحمزة، والكسائي، وخلف بكسر الميم، والباقون بفتحها.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي، (ص٢٩٠)،- والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة- القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي، (ص١٢٤)، دار الكتاب العربي- بيروت.

كما تقول: يا غلامٍ أقبل، وهي لغة شاذة، والقراءة بها بعيدة، وإنما هذا فيما يكون مضافا إليك، وقرئ ابن أمي بإثبات الياء[1].

وقد يأتي أحياناً بقراءة شاذة ولا يُصرّح بها كما في قوله تعالى: ﴿ قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ سورة يس، قرأ الجمهور ﴿طائِرُكُمْ﴾ اسم فاعل: أي ما طار لكم من الخير والشر، وقرأ الحسن: (طيركم) أي: تطيركم أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ، وهي قراءة شاذة ولكن لم يصرح بها[2].

فعلم القراءات تتجلى أهميته من خلال بعض خواصه وفوائده إذ ترجح الأوجه التفسيرية وبعض الأحكام الفقهية، وتتجلى وجوه اعجاز القرآن ويبرز سمو بلاغته واشتمال القرآن على القراءات المتعددة ميزة لا نظير لها في الكتب السماوية السابقة.

علم القراءات من أَجَلِّ العلوم قدرًا، وأعلاها منزلة؛ لتعلقه بأشرف الكتب السماوية على العموم، وأفضلها على الإطلاق، وهو القرآن الكريم والكتاب المبين الذي أنزله الله –عز وجل– هداية للخلق، وتشريعًا واضحًا، ومنهجًا متكاملًا للحياة البشرية جمعاء، وقد فضله الله –عز وجل– على غيره من الكتب، وجعله مهيمنًا عليها.

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٢/٢٨٣).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤١٨)، – المحتسب، ابن جنى، (١/ ٢٥٧).

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

هناك مواضع ذكرها أحد الإمامين ولم يذكرها الآخر[1]، ومواضع أخرى ذكرها الإمامين، وسأتحدث عنها بترتيب السور:

القراءات التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة الأحزاب حسب المقرر:

﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ﴾ الأحزاب: ٣٠.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة ابن كثير وابن عامر: "نُضعِّف" بالنون المضمومة وحذف الألف بعد الضاد مع كسر العين وتشديدها، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن وهو إخبار من الله تعالى عن نفسه. "الْعَذَابُ" بالنصب.

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر وأبي عمرو ويعقوب: "يُضعَّف" بياء تحتية مضمومة وحذف الألف الضاد مع فتح العين وتشديدها، على البناء للمفعول.

القراءة الثالثة: قراءة باقي العشرة: "يُضاعَف" بياء تحتية مضمومة وإثبات الألف بعد الضاد مع فتح العين وتخفيفها، على البناء للمفعول، "الْعَذَابُ" بالرفع[2].[3]

﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ ﴾ الأحزاب: ٣١.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية أربع قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور بالياء حملاً على لفظ من.

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي وخلف "وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا " بالياء فيهما.

---

(1) تقدم معنا أن السمة البارزة في تفسير ابن جزي الاختصار، واقتصر رحمه الله في القراءات على السبع ولم يستوفها ولم يكلف نفسه بالقراءات الشاذة إلا إذا كانت تساعده في تفسير القرآن.

(2) النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١١٦٩/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٣١/٤_٣٣٢).

القراءة الثالثة: قراءة عمرو بن فائد الجحدري ويعقوب وابن عامر في رواية وأبو جعفر بالتاء حملاً على المعنى[1].

القراءة الرابعة: قراءة البقية بالتاء على التأنيث في الأول، بالنون في الثاني[2]. [3]

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة نافع وعاصم: "وَقَرْنَ" بفتح القاف.

القراءة الثانية: قراءة الباقين "وَقِرْنَ" بكسرها[4].[5]

ولكل قراءة توجيه سيأتي إن شاء الله في آيات الأحكام.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٦.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة عاصم وحمزة والكسائي"أَنْ يَكُونَ" بالياء.

القراءة الثانية: قراءة البقية "أَنْ تَكُونَ" بالتاء.[1]

---

(1) قراءة شاذة، وهي رواية شاذة عن كل من يعقوب وأبي جعفر، – المحتسب، ابن جني، (١٧٩/٢).

(2) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢١)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٧٤/٥)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٧٦).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١١٦٩/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٣٢/٤).

(4) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢١)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٧٥/٥)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٧٧).

(5) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٠/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٣٢/٤).

القراءة الثالثة: قراءة ابن السميفع " الخيْرة" بسكون التحتية، والباقون بتحريكها[٢].

ولم يتطرق عن القراءات في هذه الآية الإمام ابن جزي.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ الأحزاب: ٤٠.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور بتخفيف" لَكِنْ" ونصب "رسول" و"خاتم" ووجه النصب على خبرية كان المقدرة، ويجوز أن يكون بالعطف على أبا أحد.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو في رواية عنه بتشديد "لكنَّ" ونصب "رسول" على أنه اسمهاوخبرها محذوف: أي ولكن رسول الله هو[٣].[٤]

ولم يتطرق عنها الإمام ابن جزي.

وذكر ابن جزي والشوكاني عند قوله تعالى "**وَخَاتَمَ**" قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة عاصم بفتح التاء "وَخَاتَمَ" أي أنه صار كالخاتم لهم الذي يتختمون به ويتزينون بكونه منهم.

---

(١) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٢)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٧٦/٥)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٧٨).

(٢) وقراءة ابن السميفع شاذة – فتح القدير، الشوكاني، (٣٣٩/٤).

(٣) رواية تشديد "لكن" ونصب "رسول" قراءة شاذة ، والمتواتر التخفيف والرفع، –المحتسب، ابن جني، (١٨١/٢).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٣٤٢/٤).

القراءة الثانية: قراءة باقي العشرة بكسر التاء[1]، أي أنه ختمهم وجاء آخرهم. وقيل الفتح والكسر لغتان[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ الأحزاب: ٤٩.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين -ولم يتطرق لها ابن جزي-:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "تَعْتَدُّونَهَا" بتشديد الدال.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير في رواية البزي "تعْتدُونها" بتخفيف الدال[3].[4]

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ ﴿٥٠﴾﴾ الأحزاب: ٥٠.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "وَامْرَأَةً" بالنصب.

القراءة الثانية: قراءة أبي حيوة بالرفع على الابتداء[5].

وذكر ابن جزي والشوكاني "**إِنْ وَهَبَتْ**" لهذه الآية قراءتين:

---

(1) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٢)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٧٦/٥)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٧٨).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٤/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٤٢/٤).

(3) قراءة الجمهور هي المتواترة والرواية بالتخفيف عن ابن كثير قراءة شاذة، – السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٢)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٧٧/٥).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٣٤٨/٤).

(5) قراءة الرفع شاذة ، – فتح القدير، الشوكاني، (٣٥٠/٤).

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "إِنْ وَهَبَتْ" بكسر إن.

القراءة الثانية: قراءة أبي بن كعب والحسن بفتحها "أَنْ وهبت"[1].[2]

﴿* تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ الأحزاب: ٥١.

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة أبي جعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف، وحفص عن عاصم، "تُرْجِي" بغير همز.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وأبي بكر عن عاصم، ويعقوب "تُرْجِي" بالهمز[3].

ولم يتطرق عنها ابن جزي.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "تَقَر" على البناء للفاعل مسندا إلى أعينهن.

القراءة الثانية: قراءة ابن محيصن "تُقِرَّ" بضم التاء من أقرر، وفاعله ضمير المخاطب، ونصب أعينهن على المفعولية[4].

ولم يذكر ابن جزي القراءات فيها.

﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

---

(1) والقراءة بفتح همزة "أن" شاذة، – المحتسب، ابن جني، (١٨٢/٢).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١١٧٧/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٥٠/٤).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٣٥٠/٤).

(4) قراءة ابن محيصن شاذة، – فتح القدير، الشوكاني، (٣٥١/٤).

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "كُلُّهُنَّ" بالرفع تأكيدا لفاعل يرضين.

القراءة الثانية: قراءة أبي إياس "كُلَّهُنَّ" بالنصب تأكيدا لضمير المفعول في آتيتهن[1].[2]

ولم يذكر ابن جزي القراءات فيها.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبًا ٥٢﴾ الأحزاب:٥٢.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور (لَا يَحِلُّ لَكَ) بالياء.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو ويعقوب (لَا يَحِلُّ لَكَ) بالتاء[3].[4]

ولم يتطرق عنها ابن جزي.

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا ٦٦﴾ الأحزاب: ٦٦.

ذكر الشوكاني لهذه الآية أربع قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور (تُقَلَّبُ) بضم التاء وفتح اللام على البناء للمفعول.

القراءة الثانية: قراءة عيسى الهمذاني وابن أبي إسحاق: (نُقَلِّب) بالنون وكسر اللام على البناء للفاعل وهو الله سبحانه.

القراءة الثالثة: قراءة عيسى أيضا بضم التاء وكسر اللام على معنى تقلب السعير وجوههم[5].

---

(1) قراءة الرفع هي المتواترة، وقراءة النصب شاذة، – المحتسب، ابن جني، (١٨٢/٢).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٣٥١/٤).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٣)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٧٩/٥)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٧٩).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٣٥١/٤).

(5) القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور وغيرها قراءات شاذة، – المحتسب، ابن جني، (١٨٤/٢).

القراءة الرابعة: قراءة أبي حيوة وأبي جعفر وشيبة بفتح التاء واللام على معنى تتقلب والتلون[1].

ولم يتطرق عنها ابن جزي.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝٦٧﴾ الأحزاب: ٦٧.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الحسن وابن عامر: "ساداتِنا" بالألف وكسر التاء على الجمع.

القراءة الثانية: قراءة البقية "سَادَتَنَا" بغير ألف وفتح التاء[2].[3]

ولم يذكر ابن جزي القراءات فيها.

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨﴾ الأحزاب: ٦٨.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: أن قراءة عاصم " كَبِيرًا" بالباء.

القراءة الثانية: قراءة باقي العشرة "كَثِيرًا" بالثاء[4].[5]

ولم يتطرق عنها ابن جزي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩﴾ الأحزاب: ٦٩.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين -ولم يتطرق عنها ابن جزي-:

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٦/٤).

(2) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٣)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٨٠/٥)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٠).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٧/٤).

(4) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٣)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٨١/٥)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٠).

(5) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٧/٤).

القراءة الأولى: قراءة الجمهور (وكان عند الله) بالنون على الظرفية المجازية.

القراءة الثانية: قراءة ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة (عبد الله) بالباء الموحدة من العبودية[1].[2]

معنى قراءة العشرة إثبات كون موسى عليه السلام وجيها عند الله ولم تتعرض لوجاهته عند الناس، ومعنى قراءة ابن مسعود إثبات الوجاهة لموسى دون تعيين، فتكون قراءة الجمهور ذكرت بعض أفراد العموم من قراءة ابن مسعود، ووجه التخصيص أنه أشرف وأفضل.

القراءات التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة سبأ حسب المقرر:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ سبأ: ٢.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور قرأ "يَنْزِلُ" بفتح الياء وتخفيف الزاي مسنداً إلى "ما".

القراءة الثانية: قراءة علي بن أبي طالب والسلمي "يُنَزِّلُ" بضم الياء وتشديد الزاي مسنداً إلى الله سبحانه[3].

ولم يتطرق عنها ابن جزي.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾﴾ سبأ:٣.

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴿٣﴾﴾

---

(1) قراءة الباء شاذة، – المحتسب، ابن جني، (١٨٥/٢).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٨/٤).

(3) القراءة بضم الياء وتشديد الزاي شاذة، – فتح القدير، الشوكاني، (٣٧٣/٤).

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "لتأتينكم" بالتاء، أي الساعة.

القراءة الثانية: قراءة طليق المعلّم "ليأتينكم" بالياء، على تأويل الساعة باليوم أو الوقت[1].[2]

ولم يذكر ابن جزي فيها شيئاً.

﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ ٣ ﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات –ولم يتطرق عنها ابن جزي–:

القراءة الأولى: قراءة نافع وابن عامر "عالمُ الغيب" بالرفع، على أنه مبتدأ وخبر.

القراءة الثانية: قراءة عاصم وابن كثير وأبي عمرو "عالمِ الغيب" بالجر، على أنه نعت لـ "ربي".

القراءة الثالثة: قراءة حمزة والكسائي "علَّامِ" بالجر مع صيغة المبالغة[3].[4]

﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٣ ﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

---

(1) القراءة بالتحتية شاذة والمتواترة قراءة الجمهور، – المحتسب، ابن جني، (١٨٥/٢).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٣٧٣/٤).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٦)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٥/٦).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٣٧٣/٤).

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "يَعْزُبُ" بضم الزاي.

القراءة الثانية: قراءة يحيى بن وثاب "يَعْزِبُ" بكسرها[1].

﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءة الجمهور "وَلا أَصْغَرُ ولاأكبرُ" بالرفع على الابتداء.

ثم قال ابن جزي:(ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع أصغر وأكبر في هذا الموضع، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة، وإنما الخلاف في يونس: ٦١)[2].

وهذا استدراك من ابن جزي على ابن عطية ووهمه.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥﴾ سبأ: ٥.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "معاجزين".

---

(1) وهما قراءتان متواترتان ، فكسر الزاي عن الكسائي، وضمها عن باقي العشرة، – فتح القدير، الشوكاني، (٣٧٣/٤).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١١٨٩/٣)، أما قراءة قتادة والأعمش بالنصب فشاذة.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد وأبوعمرو"معجزين"، أي مثبطين للناس عن الإيمان بالآيات[1].

ولم يتطرق عنها ابن جزي.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور"أليمٍ" بالجر صفة لرجز.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وحفص عن عاصم ويعقوب "أليمٌ" بالرفع صفة لعذاب[2].[3]

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ سبأ: ٩.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور"إن نشأ" بنون العظمة، وكذا "نخسف ونسقط".

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي "إن يشأ" بالياء التحتية في الأفعال الثلاثة، أي إن يشأ الله[4].

---

(1) وهما قراءتان متواترتان، – فتح القدير، الشوكاني، (٣٧٤/٤).

(2) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٦)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٢).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٣٧٤/٤).

(4) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٦)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٦)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٢).

القراءة الثالثة: قراءة الكسائي وحده بإدغام الفاء في الباء في "نخسف بهم"[1]، ثم ذكر الشوكاني اعتراض أبي علي الفارسي عليها[2]؛لأن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا بخلاف الباء[3].

القراءات الثلاث متواترة، وأما اعتراض الفارسي عليها واحتجاجه لعدم جواز القراءة بالإدغام بمخارج الحروف... فالقراءة صحيحة فلا يجوز ردها بذلك.

﴿أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "كِسْفًا" بسكون السين.

القراءة الثانية: قراءة حفص والسلمي "كِسَفًا" بفتحها[4].

ولم يتطرق عنها ابن جزي.

﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠﴾ سبأ: ١٠

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "أَوِّبي" بفتح الهمزة وتشديد الواو على صيغة الأمر من التأويب وهو الترجيع .

القراءة الثانية: قراءة ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق "أُوْبِي" بضم الهمزة أمراً من آب يئوب إذا رجع[5].

﴿وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

---

(1) وهي قراءة متواترة، – النشر، ابن الجزري، (ص ٣٧٥و٦١٦).

(2) كما في كتابه الحجة للقراء السبعة، (٦/٧-٩).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٧٤).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٧٤).

(5) قراءة الجمهور متواترة، والقراءة الأخرى شاذة، – فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٧٧).

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "وَالطَّيْرَ" بالنصب عطف على موضع يا جبال، وقيل: مفعول معه، وقيل: معطوف على فضلاً.

القراءة الثانية: قراءة السلمي والأعرج ويعقوب وابن هرمز ومسلمة بن عبدالملك "وَالطَّيْرُ" بالرفع عطفا على لفظ: يا جبال[1].[2]

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ سبأ: ١٢.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "الرِّيحَ" بالنصب على تقدير وسخرنا.

القراءة الثانية: قراءة عاصم في رواية أبي بكر عنه "الرِّيحُ" بالرفع على الابتداءوالخبر.

القراءة الثالثة: قراءة الحسن وأبي حيوة وخالد بن إلياس وأبو جعفر "الرياح" بالجمع[3].[4]

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ سبأ: ١٤.

---

(1) قراءة الجمهور هي المتواترة، أما القراءة بالرفع شاذة، – السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٧)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٩/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٣).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١١٩١/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٧٧/٤).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٧)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٩/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٣).

(4) التسهيل، ابن جزي، (١١٩٢/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٧٨/٤).

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "مِنْسَأَتَهُ" بهمزة مفتوحة.

القراءة الثانية: قراءة ابن ذكوان بهمزة ساكنة.

القراءة الثالثة: قراءة نافع وأبي عمرو "مِنْسَاتَهُ" بألف محضة[1].[2]

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ سبأ: ١٥.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " لِسَبَإٍ" بالجر والتنوين على أنه اسم حي، أي الحي الذين هم أولاد سبأ.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وأبي عمرو " لِسَبَأَ" ممنوع من الصرف بتأويل القبيلة.

القراءة الثالثة: قراءة قنبل وأبي حيوة والجحدري " لِسَبَأْ" بإسكان الهمزة، وقرئ بقلبها ألفاً[3].

﴿فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "مساكِنِهم" على الجمع.

القراءة الثانية: قراءة حمزة وحفص "مسْكَنِهم" بالإفراد مع فتح الكاف.

القراءة الثالثة: قراءة الكسائي "مسْكِنِهم" بالإفراد مع كسر الكاف[1].[2]

([1]) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٧)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١١/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٤).

([2]) التسهيل، ابن جزي، (١١٩٢/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٧٩/٤).

([3]) تقدم ذكر المثال في المطلب الثاني، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٨١/٤-٣٨٢).

﴿ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾ سبأ:١٦.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور" أُكُلٍ" بالتنوين وعدم إضافته إلى "خمط".

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو ويعقوب" أُكُلِ" بالإضافة[٣].[٤]

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ سبأ:١٧.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور" يُجازَى" بضم التحتية وفتح الزاي على البناء للمفعول.

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنون وكسر الزاي على البناء للفاعل، وهو الله سبحانه.

و"الْكَفُور" على قراءة الجمهور مرفوع وعلى القراءة الثانية منصوب[٥].[٦]

﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ سبأ:١٩.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور"باعِدْ".

---

(١) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٨)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٢/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٥).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٣٨٢/٤).

(٣) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٨)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٤/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٧).

(٤) التسهيل، ابن جزي، (١١٩٣/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٨٣/٤).

(٥) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٨)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٧/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٧).

(٦) فتح القدير، الشوكاني، (٣٨٤/٤).

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر "بَعِّدْ" بتشديد العين.

القراءة الثالثة: قراءة ابن السميفع "بَعُدَ" بضم العين فعلاً ماضياً على الشكوى من بعد الأسفار[1].[2]

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ سبأ: ٢٠.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "صَدَقَ" بالتخفيف ورفع "إبليس" ونصب "ظنه".

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي وعاصم "صَدَّقَ" بتشديد الدال[3].[4]

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ سبأ: ٢٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "فُزِّعَ" مبنياً للمفعول والفاعل هو الله.

القراءة الثانية: قراءة ابن عامر ويعقوب "فَزَّعَ" مبنياً للفاعل وفاعله ضمير يرجع إلى الله.

القراءة الثالثة: قراءة الحسن مثل قراءة الجمهور إلا أنه خفف الزاي[5].[1]

---

(1) وقراءة ابن السميفع شاذة، – السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٩)، النشر، ابن الجزري، (ص ٦١٧-٦١٨)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٩/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٨).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١١٩٤/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٨٥/٤).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٢٩)، النشر، ابن الجزري، (ص٦١٨)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٩/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٨).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٣٨٥/٤-٣٨٦).

(5) أما القراءة بالتخفيف شاذة، – السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٣٠)، النشر، ابن الجزري، (ص٦١٨)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٩/٦)، والمحتسب، ابن جني، (١٩١/٢)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٨٩).

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ سبأ: ٥٢.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وحفص"التَّناوُشُ" بواو مضمومة بغيرهمز.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف وأبوبكر"التَّناؤشُ" بالمد والهمزة المضمومة[٢].[٣]

القراءات التي ذكرها الشوكاني في سورة فاطر حسب المقرر:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ فاطر: ١.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور"فَاطِرِ" على صيغة اسم فاعل.

القراءة الثانية: قراءة الزهري والضحاك"فَطَرَ" على صيغة الفعل الماضي[٤].[٥]

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الحسن"جَاعِلُ" بالرفع.

القراءة الثانية: قراءة خليل بن نشيط ويحيى بن يعمر"جَعَلَ"[٦].[١]

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٣٨٨/٤).

(٢) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٣٠)، النشر، ابن الجزري، (ص٦١٨)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٢٣/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٩١).

(٣) التسهيل، ابن جزي، (١٢٠٢/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤٠٠/٤-٤٠١).

(٤) القراءة على صيغة الماضي شاذة، - المحتسب، ابن جني، (١٩٨/٢).

(٥) فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٢/٤).

(٦) قراءة الحسن شاذة، وكذلك القراءة على صيغة الماضي، - المحتسب، ابن جني، (١٩٨/٢).

القراءة الثالثة: قراءة الحسن "رُسْلاً" بسكون السين[٢].

﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فاطر:٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "غَيْرُ" بالرفع .

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف "غَيْرِ" بخفضها[٣]. [٤]

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾ فاطر:٤.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الحسن والأعرج ويعقوب وابن عامر وأبي حيوة وابن محيصن وحميد والأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي وخلف " تَرْجِعُ " بفتح الفوقية على البناء للفاعل.

القراءة الثانية: قراءة البقية "تُرْجَعُ" بضمها على البناء للمفعول[٥].

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾

فاطر: ٩.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " الرياح".

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وابن محيصن والأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي "الريح" بالإفراد[١].

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٢/٤).

(٢) قراءة شاذة، فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٣/٤).

(٣) القراءة بنصب "غير" شاذة، أما خفضها ورفعها فمتواترتان، – السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٣٤)، النشر، ابن الجزري، (ص٦١٨)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٢٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٩٢).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٣/٤).

(٥) فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٣/٤-٤٠٤).

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿١٠﴾﴾ فاطر: ١٠.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " يَصْعَدُ".

القراءة الثانية: قراءة علي وابن مسعود" يُصْعِدُ".

ذكر الشوكاني في ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "الكَلِمُ".

القراءة الثانية: قراءة أبي عبد الرحمن "الكلام"[٢].

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ فاطر: ١١.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " يُنقَصُ" مبنياً للمفعول.

القراءة الثانية: قراءة يعقوب وسلام وروي عن أبي عمرو" يَنقُصُ" مبنياً للفاعل[٣].

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿٤٣﴾﴾ فاطر: ٤٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " ومكرَ السَّيِّئِ" بخفض همزة السيئ.

القراءة الثانية: قراءة الأعمش وحمزة " ومكرَ السَّيِّئْ" بسكونها[٤].[٥]

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٦/٤).

(٢) قراءة الجمهور هي المتواترة، أما"يُصعِد" و"يُصْعَد" فشاذتان، وأما قراءة الجمهور " الكلم" متواترة، والقراءة الأخرى شاذة، – فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٧/٤).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٨/٤).

(٤) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٣٥)، النشر، ابن الجزري، (ص٦١٩)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٣٠/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٩٤).

(٥) فتح القدير، الشوكاني، (٤٢٤/٤).

القراءات التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة يس حسب المقرر:

﴿يسٓ ۝١﴾ يس:١.

ذكر الشوكاني لهذه الآية خمس قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور"ياسينْ" بسكون النون.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بإدغام النون في الواو الذي بعدها.

القراءة الثالثة: قراءة عيسى بن عمر"ياسينَ" بفتح النون.

القراءة الرابعة: قراءة ابن عباس وابن أبي إسحاق ونصر بن عاصم "ياسينِ" بكسرها.

القراءة الخامسة: قراءة هارون الأعور ومحمد بن السميفع والكلبي "ياسينُ" بضم النون[١].[٢]

﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ يس:٥.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص "تَنْزِيلَ" بالنصب.

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي بكرويعقوب "تَنْزِيلُ" بالرفع[٣].[٤]

---

(١) قراءة تحريك النون بالفتح أو الضم أو الكسر فقراءات شاذة، – المحتسب، ابن جني، (١٩٨/٢).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٤٢٩/٤).

(٣) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٣٩)، النشر، ابن الجزري، (ص٦١٩)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٣٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٩٥).

(٤) التسهيل، ابن جزي، (١٢١٦/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤٢٩/٤).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ يس: ٨.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: القراءة المتواترة عن القراء العشرة "إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً"، وعبر الشوكاني بأنها قراءة الجماعة[١].

القراءة الثانية: قراءة ابن مسعود وابن عباس "إنّا جعلنا في أيمانهم أغلالاً".

القراءة الثالثة: قراءة ابن عباس "إنّا جعلنا في أيديهم أغلالاً"[٢].[٣]

والمعنى أيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم فكنى عن الأيمان ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق ولم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق عن ذكر الأيمان، وجاءت قراءة ابن مسعود مفسرة ومبينة ومؤكدة لهذا المعنى.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ يس: ١٤.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "فَعَزَّزْنا بثالث" بالتشديد.

القراءة الثانية: قراءة أبي بكر عن عاصم "فَعَزَزْنا بثالث" بتخفيف الزاي[٤].[٥]

﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ يس:١٩.

---

(١) أراد الشوكاني بالجماعة كل القراء بما فيهم أصحاب القراءات الشاذة، فهو يعتمد على ضوابط القراءة الصحيحة التي منها موافقة الرسم العثماني في حكمه على صحة القراءة أو شذوذها ولم يقبلها لأنها خالفت رسم المصحف واستدل على ذلك بقول النحاس.

(٢) قراءة شاذة مخالفة للرسم لا يقرأ بها، وقد أنكرها الزمخشري في الكشاف (٧/٤)، إعراب القرآن، للنحاس، (٣٨٤/٣)، و شواذ القراءات، الكرماني، (ص ٣٩٨).

(٣) التسهيل، ابن جزي، (١٢١٦/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤٢٩/٤).

(٤) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٣٩)، النشر، ابن الجزري، (ص٦١٩)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٣٨/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٩٧).

(٥) فتح القدير، الشوكاني، (٤٣٤/٤).

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "طَائِرُكُم".

القراءة الثانية: قراءة الحسن "اطيركم"[1].

﴿أَإِن ذُكِّرْتُم﴾

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه أربع قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور من السبعة وغيرهم "أَئِن ذكرتم" بهمزة استفهام بعدها إن الشرطية، على الخلاف بينهم بالتسهيل والتحقيق وإدخال الألف بين الهمزتين وعدمه[2].

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر وزر بن حبيش وابن السميفع وطلحة بهمزتين مفتوحتين.

القراءة الثالثة: قراءة الأعمش والحسن " أين" بفتح الهمزة وسكون الياء على صيغة الظرف.

القراءة الرابعة: قراءة الماجشون "أَنْ ذكرتم" بهمزة واحدة مفتوحة[3].[4]

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ يس: ٣٠.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "ياحَسْرَةً" بنصب حسرة على أنها منادى منكر.

القراءة الثانية: قراءة قتادة وأبي في رواية عنه بضم "ياحَسْرَةُ" على النداء.

---

(1) تقدم هذا المثال في إيراد الشوكاني للقراءة الشاذة ولم يصرح بها، وقراءة الحسن هذه شاذة، – فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٣٥).

(2) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢١٩)،فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٣٥).

(3) قراءة الحسن والأعمش والماجشون شاذة، – المحتسب، ابن جني، (٢/٢٠٥).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٣٥).

القراءة الثالثة: قراءة ابن هرمز ومسلم بن جندب وعكرمة وأبو الزناد"ياحَسْرَةْ" بسكون الهاء، إجراء للوصل مجرى الوقف[1].

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ يس: ٣٢.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة " لَمَّا" مشددة.

القراءة الثانية: قراءة الباقين " لَمَا" بتخفيفها[2].[3]

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يس: ٣٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة نافع "المَيِّتَةُ"

القراءة الثانية: قراءة البقية "المَيْتَةُ"بتخفيفها[4].

﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يس: ٣٥.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "ثَمَرِه" بفتح الثاء والميم.

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي "ثُمُرِه" بضم الثاء والميم.

القراءة الثالثة: قراءة الأعمش "ثُمْرِه" بضم الثاء وإسكان الميم[5].[6]

---

(1) قراءة الجمهور هي المتواترة ، والقراءات الأخرى التي ذكرت شاذة، – فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٣٨-٤٣٩).

(2) حجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٩٧).

(3) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٢١)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٣٩).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٣٩).

(5) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٢٦٤)، النشر، ابن الجزري، (ص٦٢٠)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٩٨).

(6) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٤٠).

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "وَماعَمِلَتْهُ".

القراءة الثانية: قراءة أبي بكر عن عاصم وحمزة والكسائي "وَما عَمِلَتْ"[1].[2]

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ يس: ٣٨.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها".

القراءة الثانية: قراءة ابن مسعود وابن عباس وغيرهما "لامستقرَّ لَها"[3].[4]

ومعنى قراءة الجمهور جريان الشمس وأنها تجري حيث تصل إلى مستقرها_ وقد تقدم في مصادر التفسير عند ابن جزي ترجيحه أن الشمس مستقرها تحت العرش لحديث أبي ذر رضي الله عنه_ ، وأثبت القراءة الأخرى أن الشمس لا مستقر لها، ولاتناقض إذ أن المراد بالمستقر المنفي في قراءة ابن مسعود وابن عباس إنما هو بحسب الرؤية البشرية، فالشمس لاترى جارية في الليل والنهار، وظاهر حديث أبي ذر أن المراد بالاستقراروقوعه كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري[5].

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ يس:٣٩.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

([1]) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٠)، النشر، ابن الجزري، (ص٦٢٠)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٩٨).

([2]) التسهيل، ابن جزي، (١٢٢١/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٤٠/٤).

([3]) قراءة شاذة،- المحتسب، ابن جني، (٢١٢/٢).

([4]) التسهيل، ابن جزي، (١٢٢٢/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٤٠/٤-٤٤١).

([5]) فتح الباري، ابن حجر، (٥٣٢/١٠).

القراءة الأولى: قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح " وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ " برفع الراء.

القراءة الثانية: قراءة الباقين "وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ" بنصبها[1].[2]

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يس: ٤٩.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية أربع قراءات:

القراءة الأولى: قراءة ابن كثير وورش وهشام عن ابن عامر باختلاف عنه " يَخَصِّمُونَ" بفتح الخاء وتشديد الصاد.

القراءة الثانية: قراءة نافع سوى ورش عنه وأبو عمرو باختلاس فتحة الخاء مع التشديد.

القراءة الثالثة: قراءة حمزة " يَخْصِمُونَ" بإسكان الخاء والتخفيف، وقرأ أبو جعفر كذلك إلا أنه بتشديد الصاد فيجمع بين ساكنين[3].

القراءة الرابعة: قراءة البقية " يَخِصِّمُونَ" بفتح الياء وكسر الخاء والتشديد[1].[2]

([1]) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٠)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٠)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٠/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٥٩٩).

([2]) التسهيل، ابن جزي، (١٢٢٢/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٤١/٤).

([3]) قال الشوكاني: (وروي عن أبي عمرو وقالون أنهما قرآ بتسكين الخاء وتشديد الصاد، وهي قراءة مشكلة لاجتماع ساكنين فيها) الصحيح كما تقدم أنها قراءة أبي جعفر ووافقه قالون في أحد وجهيه، وهي قراءة متواترة وليست مشكلة لاجتماع ساكنين فيها كما قال.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝٥٥﴾ يس: ٥٥.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو " شُغْل" بإسكان الغين.

القراءة الثانية: قراءة باقي العشرة "شُغُلٍ" بضمها[٣].[٤]

﴿فَاكِهُونَ﴾

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "فاكِهُونَ" بالرفع على أنه خبر"إن".

القراءة الثانية: قراءة الأعمش وطلحة بن مصرف " فاكهين" بالنصب على أنه حال.

القراءة الثالثة: قراءة الحسن وأبي جعفر وأبي حيوة وغيرهم "فكِهُونَ"[٥].[٦]

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝٥٦﴾ يس: ٥٦.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

---

(١) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤١)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٠)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤١/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠٠).

(٢) التسهيل، ابن جزي، (١٢٢٥/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٤٥/٤).

(٣) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤١)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٠)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠١).

(٤) التسهيل، ابن جزي، (١٢٢٦/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٤٨/٤).

(٥) المتواتر هو قراءة الرفع، أما النصب فقراءة شاذة، وأما قراءة"فكهون"متواترة.

(٦) التسهيل، ابن جزي، (١٢٢٦/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٤٨/٤).

القراءة الأولى: قراءة ابن مسعود والأعمش وحمزة والكسائي وخلف "في ظُلَلٍ"بضم الظاء من غير ألف جمع ظلة.

القراءة الثانية: قراءة البقية " فِي ظِلَالٍ" بالألف وكسر الظاء[1].[2]

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يس: ٦٢.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية أربع قراءات:

القراءة الأولى: قراءة نافع وعاصم وأبي جعفر"جِبِلًّا" بكسر الجيم والباء وتشديد اللام.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو وابن عامر"جُبْلَا" بضم الجيم وسكون الباءوتخفيف اللام.

القراءة الثالثة: قراءة حمزة وابن كثير والكسائي وخلف، ورويس عن يعقوب"جُبُلَا" بضم الجيم والباء وتخفيف اللام.

القراءة الرابعة: قراءة الحسن ويعقوب برواية روح وزيد {جُبُلًّا} بضم الجيم والباء وتشديد اللام[3].[4]

([1]) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٢)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢١)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠١-٦٠٢).

([2]) التسهيل، ابن جزي، (١٢٢٦/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٤٨/٤-٤٤٩).

([3]) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٢)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢١)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٣/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠١).

([4]) التسهيل، ابن جزي، (١٢٢٧/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٥٠/٤).

وكلها لغات بمعنى واحد.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يس: ٦٧.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " مَكَانَتِهِمْ" بالإفراد.

القراءة الثانية: قراءة عاصم في رواية أبي بكر " مَكَانَاتِهِمْ" بالجمع[1].

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ يس: ٦٨.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "نَنْكُسْهُ" بفتح النون الأولى وسكون الثانية وضم الكاف مخففة.

القراءة الثانية: قراءة عاصم وحمزة "نُنَكِّسْهُ" بضم النون الأولى وكسر الكاف مشددة[2].[3]

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ يس: ٨٢.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "فَيَكُونُ" بالرفع على الاستئناف.

القراءة الثانية: قراءة ابن عامر والكسائي "فَيَكُونَ" بالنصب عطفاً على يقول[1].

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/ ٤٥١).

(2) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٣)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٤٥/٦) وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠٣).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٥١-٤٥٢).

القراءات التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة الصافات حسب المقرر:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ الصافات: ٦.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "بِزِينَةِ الْكَواكِبِ" بإضافة الزينة إلى الكواكب.

القراءة الثانية: قراءة عاصم وحمزة "بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ" بتنوين زينة وخفض الكواكب على البدل، إلا أن أبا بكر ينصب "الْكَواكِبَ" منفرداً[٢].[٣]

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ الصافات: ٨.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "لا يَسْمَعُونَ" بسكون السين وتخفيف الميم.

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه " لا يَسَّمَّعُونَ" بتشديد السين والميم[٤].[٥]

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ الصافات: ١٢.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "عَجِبْتَ" بفتح التاء، أي عجبت يا محمد.

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٥٨).

(٢) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٦)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٢)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦/٥٠)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠٤).

(٣) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٣٢)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٦١).

(٤) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٧)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٢)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦/٥٢)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠٥).

(٥) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٣٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٦١).

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي خلف البزار "عَجِبْتُ" بضم التاء[1].[2]

فاختلاف القرائتين كان له أثر في بيان مسألة من مسائل العقيدة وهي صفة العجب لله ؛ وسيأتي الكلام عنها –إن شاء الله– في آيات العقائد.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ الصافات: ١٧.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "أَوَآباؤُنَا" بفتح الواو دخلت همزة الإنكار على واو العطف.

القراءة الثانية: قراءة ابن عامر وقالون عن نافع "أَوْآباؤُنَا" بسكونها عطفا بأو[3].[4]

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الصافات: ٤٠.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة أهل المدينة والكوفة "الْمُخْلَصِينَ" بفتح اللام.

القراءة الثانية: قراءة البقية "الْمُخْلِصِينَ" بكسرها[5].[6]

فيكون معنى قراءة الفتح الذين أخلصهم الله لطاعته ودينه وولايته، ومعنى قراءة الكسر الذين أخلصوا لله العبادة، وقيل استثناء منقطع بمعنى لكن،أي أنكم أيها المجرمون ذائقوا العذاب لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الصافات: ٤٧.

---

(1) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٧)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٢)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٥٣/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠٦).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١٢٣٤/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٦٣/٤).

(3) النشر، ابن الجزري، (ص٦٢٢)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠٨).

(4) التسهيل، ابن جزي، (١٢٣٥/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٦٤/٤).

(5) النشر، ابن الجزري، (ص٥٧٨).

(6) التسهيل، ابن جزي، (١٢٣٧/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٦٧/٤).

ذكر الشوكاني لهذه الآية أربع قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " يُنْزَفُونَ" بضم الياء وفتح الزاي مبنياً للمفعول.

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي وخلف " يُنْزِفُونَ" بكسر الزاي.

وفي سورة الواقعة **(لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ)** ١٩بكسر الزاي.

القراءة الثالثة: قراءة عاصم هاهنا بفتح الزاي وهناك بكسر الزاي.

القراءة الرابعة: قراءة الباقين "يُنْزَفُونَ" بفتح الزاي في السورتين[١].[٢]

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ٩٤﴾ الصافات: ٩٤.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "يَزِفُّونَ" بفتح الياء.

القراءة الثانية: قراءة حمزة وحده "يُزِفُّونَ" بضم الياء[٣].[٤]

﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ١٠٢﴾ الصافات: ١٠٢.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة حمزة والكسائي وخلف "تُرِى" بضم التاء وكسر الراء من أرى يُري.

القراءة الثانية: قراءة باقي العشرة "تَرَى" بفتح التاء مضارع رأيت[٥].[٦]

---

(١) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٧)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٢)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٥٤/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠٨).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٤٦٩/٤).

(٣) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٨)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٢)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٥٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٠٩).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٤٧٩/٤).

(٥) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٨)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٢)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٥٧/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٠٩).

(٦) فتح القدير، الشوكاني، (٤٨١/٤).

القراءة الثالثة: قراءة الضحاك والأعمش "تُرَى" غير مسمى الفاعل[1].

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ الصافات: ١٢٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " إِلْيَاسَ" بهمزة مكسورة مقطوعة.

القراءة الثانية: قراءة ابن ذكوان ورويت عن ابن عامر" وَإِنَّ الْيَاسَ" بحذف الهمزة بالوصل[2].[3]

﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ الصافات: ١٢٦.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة يعقوب وحفص وحمزة والكسائي "اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" بالنصب في الأسماءالثلاثة .

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر عن عاصم بالرفع[4].[5]

﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ الصافات: ١٣٠.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة نافع وابن عامر، ورويس عن يعقوب "آلِ يَاسِينَ" بفتح الألف وكسر اللام مقطوعة من "يَاسِينَ".

---

(1) قراءة شاذة، – المحتسب، ابن جني، (٢/٢٢٢).

(2) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٨)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٢-٦٢٤)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦/٥٩)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٠٩).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٨٧).

(4) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٩)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٤)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦/٦٣)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٠).

(5) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٨٧).

القراءة الثانية: قراءة الباقين "إِلْ يَاسِينَ" بكسر الألف وسكون اللام موصولة بياسين[1].[2]

﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٥٢ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۝١٥٣ ﴾ الصافات: ١٥٢ – ١٥٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " أَصْطَفَى" بفتح الهمزة على أنها للاستفهام الإنكاري وقد حذف معها همزة الوصل استغناء به عنها.

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر، ونافع برواية إسماعيل، وورش من طريق الأصبهاني مختلفا عنه: (وإنهم لَكَاذِبُونَ * اصْطَفَى البنات) بغير استفهام، موصولة الألف، والابتداء بكسر الألف[3].[4]

القراءات التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة ص حسب المقرر:

﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ ﴾ ص: ١.

ذكر الشوكاني لهذه الآية خمس قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور بسكون الدال كسائر حروف التهجي في أوائل السور، فإنها ساكنة الأواخر على الوقف، لكن أبو جعفر يسكت عليها سكتة خفيفة.

القراءة الثانية: قراءة أبي بن كعب والحسن وغيرهما"صَادِ والقرآنِ" بكسر الدال من غير تنوين، ووجه الكسر لالتقاء الساكنين، وقيل أنه من المصاداة يصادي أي عارض عملك بالقرآن.

---

(1) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٩)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٤)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦٣/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٠).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١٢٤٨/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٨٨/٤).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٩)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٤)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦٣/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٢).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤٩٢/٤-٤٩٣).

القراءة الثالثة: قراءة عيسى بن عمر الثقفي "صَادَ والقرآنِ" بفتحها لالتقاء الساكنين، وقيل نصب على الإغراء[1].

القراءة الرابعة: قراءة ابن إسحاق بالكسر والتنوين.

القراءة الخامسة: قراءة هارون الأعور وابن السميفع بالضم من غير تنوين على البناء نحو منذ وحيث[2].

معنى قراءة الجمهور على أنها حرف من الحروف المقطعة، وقد اختلف فيها فقيل: الله أعلم بالمراد منها[3]، وقيل: لها معنى، واختلف في المعنى المراد منها على أقوال، والذي يظهر أنها للتنبيه والتحدي فإن السامع للقرآن لما يسمع هذه الحروف في بداية السور ينتبه ويتشوق لمعرفة ما وراء هذا الافتتاح الغريب.

أما التحدي فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أمي لا يقرأ ولا يكتب، والأمي عادة لا يعرف اسم الحروف ولا رسمه، غايته يؤدي صوت الحرف فلما يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لا يقرأ ولا يكتب ويتلفظ بأسماء الحروف فلا شك في هذا نوع آية له ﷺ وكأنه بذلك يقول لهم هذا القرآن العظيم جاء بلسانكم ومكون من هذه الحروف ومع ذلك عجزتم عن الإتيان بمثله والنسج على منواله، وكذلك ينتصر الله للقرآن في كل سورة افتتحها بالأحرف المقطعة[4].

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ ص: ٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "وَلَاتَ" بفتح التاء.

---

(1) قراءة الكسر أو الضم أو الفتح فشاذة، – المحتسب، ابن جني، (٢/٢٣٠).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٩٩).

(3) سيأتي معنا إن شاء الله رأي الشوكاني أن الحروف المقطعة في القرآن من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، فتح القدير، الشوكاني، (١/٥٥)،(٤/٥٧١).

(4) تفسير ابن كثير، (١/٢٤١-٢٣٨)، أضواء البيان، الشنقيطي، (٣/٣-٨).

القراءة الثانية: قراءة الكسائي "وَلَاهَ" في الوقف بالهاء[1].[2]

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾ ص: ١٥.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة حمزة والكسائي "ما لَها مِنْ فُواقٍ" بضم الفاء.

القراءة الثانية: قراءة البقية "ما لَها مِنْ فَواقٍ" بفتحها[3].[4]

﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢﴾ ص: ٢٢.

ذكر ابن جزي لهذه الآية ثلاث قراءات – ولم يتطرق عنها الشوكاني بالرغم من استطراده بذكر القراءات العشر والشواذ–:

القراءة الأولى: قراءة أبي رجاء وقتادة وعبر عنها ابن جزي أنه قرأ بالشاذ "وَلا تَشْطُطْ" بفتح التاء وضم الطاء، أي لا تبعد عن الحق[5].

القراءة الثانية: قراءة زر بن حبيش " تشاطط" بضم التاء وبالألف.

القراءة الثالثة: قراءة الجمهور "وَلا تُشْطِطْ" أي لا تجر علينا في الحكم، يقال: أشط الحاكم إذا جار[6].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ ص: ٢٩.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "لِيَدَّبَّرُوا" بالإدغام وبالياء وتشديد الدال.

---

(1) النشر، ابن الجزري، (ص٤٦٠).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٠٠).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٥٢)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦/٦٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٣).

(4) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٥٩)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٠٤).

(5) المحتسب، ابن جني، (٢/٢٣١).

(6) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٦٢).

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر وشيبة والأعشى والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم "لِتَدَبَّرُوا" بالتاء وتخفيف الدال[1].

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ ص: ٤١.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية أربع قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "بِنُصْبٍ" بضم النون وسكون الصاد.

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر وحفص ونافع في رواية عنه "بِنُصُبٍ" بضم النون والصاد.

القراءة الثالثة: قراءة يعقوب وحفص في رواية "بِنَصَبٍ" بفتح النون والصاد.

القراءة الرابعة: قراءة حفص برواية عنه "بِنَصْبٍ" بفتح النون وسكون الصاد[2].[3]

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥﴾ ص: ٤٥.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "عِبَادَنَا" بالألف وكسر العين على الجمع.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير "عَبْدَنَا" بغير ألف وفتح العين بالإفراد[4].[5]

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥﴾

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "أُولِي الْأَيْدِي" بإثبات الياء.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٥١٢/٤).

(2) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٥٤)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٧٠/٦).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١٢٧٠/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥١٨/٤).

(4) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٥٤)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٧٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٣).

(5) فتح القدير، الشوكاني، (٥٢٠/٤).

القراءة الثانية: قراءة ابن مسعود والحسن وعيسى الثقفي والأعمش "أُولِي الْأَيْدِ" بغير ياء[1].[2]

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾ ص: ٤٦.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "بِخالِصَةٍ" بالتنوين وعدم الإضافة على أنها مصدر.

القراءة الثانية: قراءة قرأ نافع وأبي جعفر وهشام عن ابن عامر "بِخالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ" بإضافة خالصة إلى ذكرى[3].[4]

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٥٣﴾ ص: ٥٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة ابن كثير وأبي عمرو "هَذَا مَا يُوعَدُونَ" بالياء.

القراءة الثانية: قراءة باقي العشرة "هَذَا مَا تُوعَدُونَ" بالتاء[5].[6]

﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧﴾ ص: ٥٧.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة حمزة والكسائي وخلف، وحفص عن عاصم "حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ" مشددة السين حيث كان.

القراءة الثانية: قراءة البقية "وَغَسَاقٌ" خفيفة السين[1].[2]

---

(1) القراءة بغير ياء شاذة، – المحتسب، ابن جني، (٢/٢٣٣).

(2) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٧٢)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٢٠).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٥٤)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٣).

(4) التسهيل، ابن جزي، (٣/١٢٧٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٢٠).

(5) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٥٥)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٦/٧٧)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٤).

(6) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٢١-٥٢٢).

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨﴾ ص: ٥٨.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ" بفتح الألف مفرد مذكر.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو ويعقوب "وَأُخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ" بضم الألف جمع أخرى[٣].[٤]

﴿وَقَالُواْ مَالَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣﴾

ص: ٦٢ – ٦٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم "مِنَ الْأَشْرَارِ *أَتَّخَذْنَاهُمْ" بقطع الألف على الاستفهام.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي "مِنَ الْأَشْرَارِ *اتَّخَذْنَاهُمْ" بوصل الألف بغير استفهام.

﴿سِخۡرِيًّا ٦٣﴾

وذكر ابن جزي والشوكاني لهذه قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة أبي جعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف "سُخْرِيًّا" بضم السين.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبي عمرو ويعقوب"سِخْرِيًّا" بكسر السين[١].[٢]

---

(١) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٥٥)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٧٧/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٥).

(٢) التسهيل، ابن جزي، (١٢٧٤/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٢٥/٤).

(٣) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٥٥)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٧٨/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٥).

(٤) التسهيل، ابن جزي، (١٢٧٤/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٢٥/٤).

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٧٠﴾ ص: ٧٠.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " إِلَّا أَنَّمَا " بفتح همزة "أنما".

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر " إِلَّا إِنَّمَا " بكسر الهمزة[٣].

﴿قَالَ فَٱلۡحَقَّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤﴾ ص: ٨٤.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ " بنصب الحق في الموضعين.

القراءة الثانية: قراءة عاصم وحمزة وخلف "فَالْحَقُّ" بالرفع "وَالْحَقَّ" بالنصب[٤].[٥]

القراءات التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة الزمر حسب المقرر:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ الزمر: ٢.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " الدِّينَ" بالنصب على أنه مفعول"مُخْلِصاً".

القراءة الثانية: قراءة ابن أبي عبلة برفعه على أن "مُخْلِصاً" مسند إلى الدين على طريقة المجاز[٦].

---

(١) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٥٥)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٧٨/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٥).

(٢) التسهيل، ابن جزي، (١٢٧٥/٣-١٢٧٦)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٢٦/٤).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٥٢٧/٤).

(٤) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٥٧)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٨٧/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦١٨).

(٥) التسهيل، ابن جزي، (١٢٧٨/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٣١/٤).

(٦) قراءة الرفع شاذة، – فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٤/٤).

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءة ابن مسعود وابن عباس ومجلهد " قالوا ما نَعْبُدُهُمْ" بإظهار القول[١].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءة الحسن والأعرج "كَذَّاب" على صيغة المبالغة ككفار[٢].

﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ ﴿٦﴾ ﴾ الزمر: ٦.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة حمزة "إِمّهَاتِكم" بكسر الهمزة والميم.

القراءة الثانية: قراءة الكسائي "إِمَّهَاتِكم" بكسر الهمزة وفتح الميم.

القراءة الثالثة: قراءة باقي العشرة "أُمَّهَاتِكم" بضم الهمزة وفتح الميم[٣].

﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ ﴿٧﴾ ﴾ الزمر: ٧.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة أبي جعفر، ونافع برواية ورش وقالون، وأبي عمرو برواية شجاع وأبي أيوب وصاحب السجادة عن اليزيدي، وعاصم وحمزة ويعقوب " يَرْضَهُ" بضم الهاء مختلسة غير مشبعة.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو في رواية الدوري وأبي شعيب السوسي وأوقية عن اليزيدي، وحمزة في رواية العجلي"يَرْضَهْ" ساكنة الهاء.

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (١٢٨٠/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٥/٤).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٥/٤).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٧/٤).

القراءة الثالثة: قراءة ابن كثير وابن عامر والكسائي وخلف، وإسماعيل عن نافع، وأبو حمدون وأبو عبد الرحمن بن اليزيدي عن اليزيدي، والبرجمي عن أبي بكر" يَرْضَهُ" مضمومة الهاء مشبعة(١).

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ الزمر: ٨.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "لِيُضِلَّ" بضم الياء.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وأبي عمرو"لِيَضِلَّ" بفتحها(٢).

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ الزمر: ٩.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة أبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي "أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ" بالتشديد.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير ونافع وحمزة "أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ" بتخفيف الميم(٣).(٤)

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾ الزمر: ٢٩.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "سَلَمًا" بفتح السين واللام.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب"سَالِمًا" بالألف وكسر اللام(١).

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٨/٤).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٩/٤).

(٣) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦١)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٩٢/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٠).

(٤) التسهيل، ابن جزي، (١٢٨٣/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٩/٤).

القراءة الثانية: قراءة سعيد بن جبير وعكرمة وأبي العالية "سِلْمًا"[٢].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ الزمر: ٣٦.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "عَبْدَهُ" بالإفراد.

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر وحمزة والكسائي وخلف "عِبادَهُ" بالألف على الجمع[٣].[٤]

معنى قراءة الجمع أن الله يكفي عباده من الأنبياء والصالحين، ومعنى قراءة الإفراد أن الله يكفي رسوله ﷺ، فهذه القراءة من باب ذكر بعض أفراد العموم وهو لا يفيد التخصيص؛ وإنما يفيد شرف هذا الفرد ومزيد الاهتمام به.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الزمر: ٣٨.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

---

(١) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦١)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٩٤/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢١).

(٢) قراءة "سِلْماً" بكسر السين وسكون اللام قراءة شاذة، أما القراءتان الأخريان فمتواترتان، – التسهيل، ابن جزي، (١٢٨٨/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٤٩/٤).

(٣) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦٢)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٩٥/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٢).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٥٥٢/٤).

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ " و"مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ " في الموضعين بالإضافة.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو ويعقوب " كَاشِفَاتٌ ضُرَّهُ " و"مُمْسِكَاتٌ رَحْمَتَهُ " منونة، ونصب "ضُرَّهُ"و" رَحْمَتَهُ"(١).(٢)

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ الزمر: ٤٢.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ" بضم القاف وفتح الضاد مبنياً للفاعل، "الْمَوْتَ" بالنصب.

القراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي وخلف "قُضِيَ عَلَيْهَا الْمَوْتُ" بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء على البناء للمفعول، "الْمَوْتُ" بالرفع(٣).(٤)

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الزمر: ٥٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "تَقْنَطُوا" بفتح النون.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو والكسائي ويعقوب وخلف "تَقْنِطُوا" بكسرها(٥).

---

(١) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦٢)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٩٥/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٢).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٥٥٣/٤).

(٣) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦٢)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٩٧/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٤).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٥٥٤/٤).

(٥) فتح القدير، الشوكاني، (٥٥٩/٤).

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

الزمر: ٥٦.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " يَا حَسْرَتَا" بالألف بدلا من الياء المضاف إليها.

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر "يَا حَسْرَتَايَ" بياء مفتوحة بعد الألف.

القراءة الثالثة: قراءة ابن كثير" حَسْرَتَاه" بهاء السكت وقفاً[١].

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ الزمر: ٦١.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " بِمَفَازَتِهِمْ" بالإفراد.

القراءة الثانية: قراءة عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي وخلف " بِمَفَازَاتِهِمْ" بالألف على الجمع[٢].[٣]

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ الزمر: ٦٤.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور"تَأْمُرُونِّي" بإدغام نون الرفع في نون الوقاية على خلاف بينهم في فتح الياء وتسكينها.

القراءة الثانية: قراءة ابن عامر" تَأْمُرُونَنِي" بنونين وياء ساكنة.

القراءة الثالثة: قراءة أبي جعفر ونافع " تَأْمُرُونَيَ" خفيفة النون مفتوحة الياء[٤].[١]

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٥٦٠/٤).

(٢) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦٣)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٩٧/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٤).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٥٦١/٤).

(٤) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦٣)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٥)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٩٧/٦-٩٨)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٥).

القراءات التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة غافر حسب المقرر:

﴿حمٓ ۝١﴾ غافر: ١.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ست قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور"حم" بفتح الحاء مشبعاً.

القراءة الثانية: قراءة عاصم في رواية حماد ويحيى عن أبي بكر، وحمزة والكسائي وخلف "حم" بكسر الحاء في جميعها.

القراءة الثالثة: قراءة أبي جعفر بالسكت على الحاء والميم، وقرأ باقي العشرة بوصل الحرفين.

القراءة الرابعة: قراءة الزهري "حمُ" بضم الميم.

القراءة الخامسة: قراءة عيسى بن عمر الثقفي"حمَ" بفتح الميم.

القراءة السادسة: قراءة ابن أبي إسحاق وأبي السماك "حمِ" بكسرها[٢].[٣]

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ غافر: ٦.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " كَلِمَتُ" بالتوحيد.

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر"كَلِمَاتُ" بالألف على الجمع[٤].[٥]

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (١٢٩٦/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٦٤/٤).

(٢) قراءة فتح الميم وضمها وكسرها قراءات شاذة، والمتواتر هو الإسكان فقط، – فتح القدير، الشوكاني، (٥٧١/٤).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٥٧١/٤).

(٤) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦٧)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٠٥/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٧).

(٥) فتح القدير، الشوكاني، (٥٧٣/٤).

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

غافر: ١٣.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "يُنَزِّلُ" بالتشديد.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب بالتخفيف[١].

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

غافر: ٢٠.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " يَدْعُونَ" بالياء.

القراءة الثانية: قراءة نافع وشيبة وهشام وابن ذكوان في وجه عن ابن عامر" تَدْعُونَ" بالتاء[٢].[٣]

﴿*أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾

غافر: ٢١.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٥٧٦/٤).

(٢) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦٨)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٠٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٩).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٥٧٨/٤).

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "أَشَدَّ مِنْهُمْ" بالهاء.

القراءة الثانية: قراءة ابن عامر وحده "أَشَدَّ مِنْكُمْ" بالكاف[1].[2]

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

غافر: ٢٦.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة عاصم وحمزة والكسائي "أَوْ أَنْ يُظْهِرَ" بهمزة قبل الواو.

القراءة الثانية: قراءة الباقية "وَأَن" بغير همزة.

وذكر كذلك ابن جزي والشوكاني لهذه قراءتين **"يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ"**:

القراءة الأولى: قراءة نافع وأبي عمرو وحفص "يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ" بضم الياء وكسر الهاء، ونصب "الْفَسادَ" على المفعولية.

القراءة الثانية: قراءة الباقين "يَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادُ" بفتح الياء والهاء، ورفع "الْفَسادُ" على الفاعلية[3].[4]

---

(1) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦٩)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٠٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٩).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٥٨٠/٤).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٦٩)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٠٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٢٩-٦٣٠).

(4) التسهيل، ابن جزي، (١٣٠٥/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٨٠/٤).

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ غافر: ٣٥.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ" بغير تنوين على الإضافة.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو وابن عامر وقتيبة عن الكسائي"عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ" منوناً غير مضاف[1].[2]

﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ غافر: ٣٧.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور" فَأَطَّلِعُ" بالرفع.

القراءة الثانية: قراءة حفص عن عاصم "فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى" بالنصب[3].[4]

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ غافر: ٤٦.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة أبي جعفر ونافع وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب "أَدْخِلُوا " بقطع الألف وكسر الخاء.

([1]) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٧٠)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١٠٩/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٣٠).

([2]) فتح القدير، الشوكاني، (٥٨٤/٤).

([3]) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٧٠)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١١١/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٣١).

([4]) التسهيل، ابن جزي، (١٣٠٧/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٨٥/٤).

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي بكر عن عاصم"ادْخُلُوا" بوصل الألف وضم الخاء، والابتداء بضم الألف[1].[2]

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ غافر: ٥٨.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "يَتَذَكَّرُونَ" بالتحتية على الغيبة.

القراءة الثانية: قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف "تَتَذَكَّرُونَ" بالتاء[3].[4]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ غافر: ٦٧.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة نافع وحفص وأبي عمرو وابن محيصن وهشام "شُيُوخاً" بضم الشين.

القراءة الثانية: قراءة باقي العشرة "شِيُوخاً" بكسرها[1].

---

(1) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٧٢)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١١٢/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٣٣).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٥٨٨/٤).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٧٢)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٧)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١١٥/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٣٤).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٥٩١/٤).

القراءات التي ذكرها ابن جزي والشوكاني في سورة فصلت حسب المقرر:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ فصلت: ١٠.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "سَوَاءً" بالنصب.

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر "سَوَاءٌ" بالرفع.

القراءة الثالثة: قراءة يعقوب "سَوَاءٍ" بالخفض مثل قراءة الحسن وابن يعمر وعيسى[٢].

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ فصلت: ١٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " صاعِقَةً" في الموضعين بالألف.

القراءة الثانية: قراءة ابن الزبير والنخعي والسلمي وابن محيصن "صَعْقَةً"[٣].[٤]

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ فصلت: ١٦.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين:

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٥٩٥/٤).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٦٠٢/٤).

(٣) قراءة "صَعْقَةً" شاذة.

(٤) التسهيل، ابن جزي، (١٣١٨/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٦٠٤/٤).

القراءة الأولى: قراءة أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف " نَحِسَاتٍ" بكسر الحاء.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو ويعقوب "نَحْسَاتٍ" ساكنة الحاء[1].[2]

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ فصلت: ١٩.

ذكر الشوكاني لهذه الآية قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ" بضم الياء وفتح الشين، ورفع"أَعْدَاءُ".

القراءة الثانية: قراءة نافع ويعقوب " وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ" بالنون، ونصب "أَعْدَاءَ"[3].[4]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فصلت: ٢٩.

ذكر الشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

---

(1) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٧٦)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٨-٦٢٩)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١١٦/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٣٥).

(2) التسهيل، ابن جزي، (١٣١٩/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٦٠٧/٤).

(3) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٧٦)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٩)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (١١٨/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٣٥).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٦٠٧/٤).

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "أَرِنَا" بكسر الراء.

القراءة الثانية: قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي بكر عن عاصم ورويس عن يعقوب "أَرْنَا" بسكون الراء.

القراءة الثالثة: قراءة أبي عمرو وحده يختلسها ولا يشبعها[1].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ فصلت: ٤٤.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة عاصم في رواية أبي بكر، وحمزة والكسائي وخلف " أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ" بالاستفهام بهمزتين محققتين.

القراءة الثانية: قراءة ابن عامر "أَعْجَمِيٌّ" بهمزة واحدة.

القراءة الثالثة: قراءة الباقين "أَأَعْجَمِيٌّ" بالاستفهام بتحقيق الهمزة الأولى، وتخفيف الثانية[2].[3]

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٦١١/٤).

(2) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٧٦)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٩)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٦٣٧).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١٣٢٣/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٦١٧/٤).

المبحث الرابع: الناسخ والمنسوخ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النسخ.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المطلب الأول: تعريف النسخ.

النسخ لغة:

النسخ مصدر للفعل الثلاثي نسخ، النون والسين والخاء أصل واحد إلا أنه مختلف في قياسه، قال قوم: قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه، وقال آخرون: قياسه تحويل شيء إلى شيء، ويأتي النسخ في كلام العرب على معنيين[1]:

الأول: الإزالة، ومنه قولهم: نسخت الشمس الظل، أي أزالته.

الثاني: النقل، ومنه قولهم: نسخت الكتاب، أي نقلت مافيه إلى الآخر.

النسخ اصطلاحاً:

اختلفت عبارات العلماء في التعريف به، وبيان حقيقته، إلا أنه اختلاف متقارب، وأقوال متشابهة...ولعل من أجمعها: هو رفع الحكم الشرعي بطريق شرعي، متراخ عنه[2].

والنسخ عند المتقدمين أعم من ذلك، حيث يدخل فيه التخصيص، والاستثناء، والتقييد...[3]

---

(1) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (٢٠١/٤)، ولسان العرب، ابن منظور، (١٣١/١٤)، ومقاييس اللغة، ابن فارس، (٤٢٤/٥)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، (ص٤٧-٥٤).

(2) المستصفى، الغزالي، (٨٦/١)، والإحكام، الآمدي، (١١٣/٣) وغيرهما.

(3) الموافقات، الشاطبي، (١٠٨/٣)، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٠١/١٤).

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

تطرق كلا الإمامين لموضوع النسخ ووقوعه في الشريعة الإسلامية، وكان قولهما موافقاً لجمهور العلماء.

وأفرد ابن جزي باباً تكلم فيه عن النسخ لغة واصطلاحاً[١]، وعدد وقوعه في القرآن، واهتم به اهتماماً كبيراً أثناء تفسيره، وقرر في مقدمة تفسيره أن علم النسخ من العلوم المتعلقة بالقرآن، وأنه لابد من معرفة ما وقع منه في القرآن الكريم، كما رد على من أدخل في النسخ ما ليس منه، فقال: (... أنهم عدوا التخصيص والتقييد والاستثناء نسخاً)[٢]، وتكلم عن ذلك في مواضعه، وقرر النسخ يكون في ما يتعلق بالأحكام؛ لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار.

وذكر أن موضوع النسخ قد أفرده المصنفون بتصانيف كثيرة إلا أن أحسنها تأليف القاضي أبي بكر بن العربي[٣].

وكذلك الشوكاني بيّن أن هذا الوجه في اللغة الذي هو الإبطال والإزالة ينقسم قسمين عند أهل اللغة:

أحدهما: إبطال الشيء وزواله وإقامة آخر مقامه، وهو النسخ إلى بدل.

الثاني: إزالة الشيء دون أن يقوم آخر مقامه، وهو النسخ إلى غير بدل[٤].

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (٩٣/١).

(٢) التسهيل، ابن جزي، (٩٣/١-٩٤).

(٣) هو: أبوبكر محمد بن عبدالله المعافري الأشبيلي المالكي، المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي، من مؤلفاته: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، توفي ٥٤٣هـ.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٩٧/٢٠) ونفح الطيب، ابن المقري التلمساني، (٣٤/٢)

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (١٨٢/١).

وذكر ابن جزي والشوكاني **جواز النسخ عقلاً ووقوعه سمعاً**[١].

وقال الشوكاني – رحمه الله تعالى – : (واتفق أهل الإسلام على ثبوته سلفاً وخلفاً، ولم يخالف في ذلك أحد إلا من لا يعتد بخلافه ولا يؤبه لقوله، وقد اشتهر عن اليهود – أقماهم الله[٢]– إنكاره، وهم محجوجون بما في التوراة أن الله قال لنوح عليه السلام عند خروجه من السفينة: إني قد جعلت كل دابة مأكلاً لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه، ثم حرم على موسى وعلى بني إسرائيل كثيراً من الحيوان، وثبت في التوراة أن آدم كان يزوج الأخ مع الأخت، وقد حرّم الله ذلك على موسى عليه السلام وعلى غيره، وثبت فيها أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه، ثم قال الله له: لا تذبحه، وبأن موسى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل، ثم أمرهم برفع السيف عنهم، ونحو هذا كثير في التوراة الموجودة بأيديهم)[٣].

تبين من نقل الشوكاني اتفاق أهل الإسلام على ثبوته سلفاً وخلفاً، وأنه لم يخالف في ذلك أحد إلا من لا يعتدّ بخلافه، ولا يؤبه لقوله.

قال ابن الجوزي: (..انعقد إجماع العلماء على هذا – أي أن في القرآن منسوخاً – إلا أنه قد شذّ من لا يلتفت إليه، فحكى أبو جعفر النحاس أن قوماً قالوا: ليس في القرآن ناسخ ولا منسوخ).

وقال ابن الجوزي:(وهؤلاء قوم لا يعدون؛لأنهم خالفوا نص الكتاب،وإجماع الأمة)[٤].

---

(١) التسهيل، ابن جزي، (٢٣٣/١)، وفتح القدير، الشوكاني، (١٨٢/١-١٨٣).

(٢) أقماهم الله : أي أذلهم وصغرهم ، من قمأ ذل وصغر وقميء ذليل، – لسان العرب، ابن منظور، (٢٩٦/١١).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (١٨٢/١-١٨٣).

(٤) ناسخ القرآن ومنسوخه، ابن الجوزي، (ص ١٠٨-١٠٩).

وأطال الشوكاني الرد على إنكار اليهود للنسخ، وموقف أبي مسلم الأصفهاني من النسخ والرد عليه.

وذكر ابن جزي والشوكاني شروطاً لوقوع النسخ، وذكرا ما لا يقع فيه النسخ :

كالأخبار وما علم بالنص أنه يتأبد؛ والأخبار كأصل التوحيد وما أعلمنا من أسمائه وصفاته أخبار، وما قصه الله من أخبار الأمم الماضية، وما أخبر الله بوقوعه مستقبلاً، وما وعد الله به، وما ذكر من العقائد كالجنة والنار، والبعث والنشور و الآيات الكونية وغيرها، فلا يجوز في ذلك كله أن ينسخ.

قال مكي بن أبي طالب: (فأما ما لا يجوز نسخه فهو: كل ما أخبرنا الله تعالى عنه أنه سيكون أو أنه كان أو وعدنا به، أو قص علينا من أخبار الأمم الماضية، وما قص علينا من أخبار الجنة والنار والحساب والعقاب، والبعث والحشر، وخلق السماوات والأراضين، وتخليد الكفار في النار، والمؤمنين في الجنة، هذا كله وشبهه من الأخبار لا يجوز نسخه؛ لأنه يتعالى أن يخبر عن الشيء على غير ما هو به، وكذلك ما أعلمنا به من صفاته، لا يجوز في ذلك كله أن ينسخ ببدل منه، فأما جواز أن ينسخ ذلك كله بإزالة حفظه من الصدور – ونعوذ بالله من ذلك – فذلك جائز في قدرته تعالى يفعل ما يشاء)[1].

ويستثنى من الأخبار التي لا يدخلها النسخ: الخبر إذا تضمن حكماً شرعياً، فإنه يجوز نسخه، وإذا نسخ لفظ الخبر دون مدلوله، كأن تنزل الآية مخبرة عن شيء ثم تنسخ تلاوتها فقط[2].

([1]) الإيضاح ، لمكي، (ص٦٦).

([2]) مناهل العرفان ، الزرقاني، (٢/٢٢٩).

ويمثل لهذا بحديث عائشة – رضي الله عنها –: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس رضعات ..) الحديث

وما سوى هذه الأخبار وهي الأخبار المحضة فلا يدخلها نسخ.

وذكر ابن جزي والشوكاني أنواع النسخ، البعض أرجعها إلى ثلاثة أنواع كابن جزي، والبعض فصلها إلى ستة أنواع كالشوكاني[١].

وهذه الأنواع الثلاثة أغلب العلماء يخصها بالبيان:

أولاً: ما نسخ حكمه وبقي رسمه.

ووقائع هذا القسم ثابتة لا يسوغ الشك فيها، وهذا القسم هو المعني بالتأليف في الناسخ والمنسوخ، ولا خلاف بين المحققين في وقوعه.

قال ابن الجوزي :(القسم الثالث : ما نسخ حكمه، وبقي رسمه، وله وضعنا هذا الكتاب، ونحن نذكره على ترتيب الآيات والسور، نذكر ما قيل ونبيّن صحة الصحيح، وفساد الفاسد – إن شاء الله –)[٢].

ونقل ابن عبدالبر الإجماع بأن من القرآن ما نسخ حكمه وثبت خطه[٣].

ثانياً: ما نسخ رسمه وبقي حكمه [٤].

---

(١) الشوكاني في إرشاد الفحول، وسبقه إلى ذلك أبو إسحاق المروزي والسمعاني، وهذه الأنواع الستة ترجع – عند التأمل– إلى ثلاثة أقسام.

(٢) ناسخ القرآن ومنسوخه، ابن الجوزي، (ص ١٤٩).

(٣) التمهيد (٢٧٧/٤).

(٤) ذكره الشوكاني في الوجه الثالث والرابع سيأتي بالتفصيل من كلامه في ذكر الناسخ.

ووقع في هذا القسم خلاف، وأكثر العلماء على جوازه ووقوعه.

ويمثلون له بآية الرجم، وبالخمس رضعات المحرمات، فإن حكم الرجم، وحكم الخمس رضعات المحرمات باق، مع عدم وجود هاتين الآيتين فيما يتلى من القرآن[1].

فالآثار الصحيحة، وأقوال الأئمة السابقة، صريحة في أن آية الرجم كانت مما أنزل الله ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها.

وبالتالي فهي تدل على جواز هذا النوع ووقوعه.

ثالثاً: ما نسخ حكمه ورسمه.

منه ما روي أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة في الطول، ومنه حديث العشر رضعات، فإنها غير موجودة الآن في القرآن.

وقد أجمع العلماء – القائلين بالنسخ – عليه[2].

يقول الشوكاني: (والحاصل أن نسخ التلاوة دون الحكم، أو الحكم دون التلاوة، أو نسخهما معاً لم يمنع منه مانع شرعي ولا عقلي، فلا وجه للمنع منه؛ لأن جواز تلاوة الآية حكم من أحكامها، وما تدل عليه من الأحكام حكم آخر لها، ولا تلازم بينهما، وإذا ثبت ذلك فيجوز نسخهما، ونسخ أحدهما، كسائر الأحكام المتباينة، ولنا أيضاً :الوقوع، وهو دليل الجواز، كما عرفت مما أوردناه)[3].

([1]) ناسخ القرآن ومنسوخه، ابن الجوزي، (ص ١٤٠)، والإيضاح، لمكي، (ص٥٠)، والبرهان، الزركشي، (١٦٦/٢).

([2]) الإيضاح، مكي، (ص٥٠)، ناسخ القرآن ومنسوخه، ابن الجوزي، (ص١٣٦).

([3]) إرشاد الفحول، (ص٦٢٧).

إلا أن الشوكاني تناول وفصل هذه الأقسام الثلاثة فجعلها ستة، تداخلت فيما بينها في المعنى إلا أن تقسيم جمهور الأصوليين أدق.

الأول: ما نسخ حكمه وبقي رسمه، كنسخ آية الوصية للوالدين والأقربين بآية المواريث ونسخ العدة حولاً بالعدة أربعة أشهر وعشرًا.

فالمنسوخ ثابت التلاوة مرفوع الحكم والناسخ ثابت التلاوة والحكم وإلى جواز ذلك ذهب الجمهور، بل ادعى بعضهم الإجماع عليه.

وقد حكى جماعة من الحنفية، والحنابلة عدم الجواز عن بعض أهل الأصول، قالوا :لأنه إذا انتفى الحكم فلا فائدة في التلاوة، وهذا قصور عن معرفة الشريعة، وجهل كبير بالكتاب العزيز، فإن المنسوخ حكمه، الباقية التلاوة في الكتاب العزيز مما لا ينكره من له أدنى قدم في العلم.

الثاني: ما نسخ حكمه ورسمه، وثبت حكم الناسخ ورسمه، كنسخ استقبال بيت المقدس، باستقبال الكعبة ونسخ صيام عاشوراء بصيام رمضان.

قال المروزي: (ومنهم من جعل القبلة من نسخ السنة بالقرآن، وزعم أن استقبال بيت المقدس بالسنة لا بالقرآن).

الثالث: ما نسخ حكمه وبقي رسمه، ورفع رسم الناسخ، وبقي حكمه، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعٗا مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ النساء: ١٥.

بقوله تعالى: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله) وقد ثبت في الصحيح أن هذا كان قرآنا يتلى، ثم نسخ لفظه وبقي حكمه[1].

الرابع: نسخ حكمه ورسمه، ونسخ الناسخ وبقي حكمه، كما ثبت في الصحيح عن عائشة أنها قالت: (كان فيما أنزل عشر رضعات متتابعات يحرمن فنسخهن بخمس رضعات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يتلى من القرآن).

قال البيهقي: فالعشر مما نسخ رسمه وحكمه، والخمس مما نسخ لرسمه وبقي حكمه، بدليل أن الصحابة حين جمعوا القرآن لم يثبتوها رسماً، وحكمها باق عندهم[2].

ومنع قوم من نسخ اللفظ مع بقاء حكمه وبه جزم شمس الأئمة السرخسي[3]؛ لأن الحكم لا يثبت بدون دليله، ولا وجه لذلك، فإن الدليل ثابت موجود محفوظ ونسخ كونه قرآناً لا يستلزم عدم وجوده، ولهذا رواه الثقات في مؤلفاتهم.

الخامس: ما نسخ رسمه لا حكمه، ولا يعلم الناسخ له، وذلك كما يثبت في الصحيح (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)[4].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب المحاربين ، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت (٦٤٤٢)، بنحوه مطولا ، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود ، (١٦٩١) بنحوه عن ابن عباس – رضي الله عنهما –. فأصل الحديث مخرّج في الصحيحين بدون ذكر آية الرجم بالنص .

(2) معرفة السنن والآثار، البيهقي، (٩١/٦).

(3) هو: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المعروف بشمس الأئمة، من أئمة الحنفية، كان حجة ثبتاً، مناظراً أصولياً، له: المبسوط في الفقه، وشرح مختصر الطحاوي، وأصول السرخسي، توفي: ٤٨٣هـ وقيل ٤٩٠هـ .

(4) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب ما يتقى من فتنة المال،(٦٠٧٥] عن أنس ﷺ بنحوه.

فإن هذا كان قرآناً ثم نسخ رسمه.

قال ابن عبدالبر في التمهيد: قيل: إنه في سورة ص[1].

وكما ثبت في الصحيح أيضاً أنه نزل في القرآن حكاية عن أهل بئر معونة أنهم قالو: بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا[2].

وكما أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قرأ عليه : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾ البينة: ١، وقرأ فيها (إن ذات الدين عند الله الحنفية، لا اليهودية ولا النصرانية، ومن يعمل خيراً فلن يكفره) قال الحاكم: صحيح الإسناد[3].

فهذا مما نسخ لفظه، وبقي حكمه.

وعده ابن عبدالبر في " التمهيد " مما نسخ خطه وحكمه، وحفظه ينسى مع رفع خطه من المصحف، وليس حفظه على وجه التلاوة، ولا يقطع بصحته عن الله، ولا يحكم به اليوم أحد، قال: ومنه قول من قال: إن سورة الأحزاب كانت نحو سورة البقرة[4].

السادس: ناسخ صار منسوخاً، وليس بينهما لفظ متلو، كالمواريث بالحلف والنصرة، فإنه نسخ بالتوارث بالإسلام والهجرة، ونسخ التوارث بالإسلام والهجرة بآية المواريث.

---

(1) التمهيد (٤/٢٧٤).

(2) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة الرجيع (٣٨٦٢)عن أنس ﷺ.

(3) مستدرك الحاكم (٢/٥٧٩) بزيادة : (ولا المجوسية) ، وأخرجه الترمذي في السنن ، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي .. ،(٣٧٩٣)، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(4) التمهيد (٤/٢٧٤-٢٧٥).

ثم قال الشوكاني:(والحاصل: أن نسخ التلاوة دون الحكم، أو الحكم دون التلاوة، أو نسخهما معاً لم يمنع منه مانع شرعي ولا عقلي، فلا وجه للمنع منه؛ لأن جواز تلاوة الآية حكم من أحكامها، وما تدل عليه من الأحكام حكم آخر لها، ولا تلازم بينهما، وإذا ثبت ذلك فيجوز نسخهما، ونسخ أحدهما، كسائر الأحكام المتباينة، ولنا أيضاً: الوقوع، وهو دليل الجواز كما عرفت مما أوردناه)[1].

(1) إرشاد الفحول، الشوكاني، (ص٦٢٣).

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

أورد ابن جزي والشوكاني في تفسيرهما – كغيرهما من المفسرين – ما ذُكر في الآيات من النسخ، ونقل الخلاف في ذلك، كما بيّنَا الراجح من الأقوال في بعض المواضع، وردّ دعوى النسخ في بعضها.

الناسخ والمنسوخ الذي ذكره ابن جزي والشوكاني في سورة الأحزاب حسب المقرر:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ الأحزاب: ٤٩.

ذكر ابن جزي والشوكاني القول بأن المتعة المذكورة في الأحزاب ، منسوخة بالآية التي في البقرة :﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ البقرة: ٢٣٧.

قال ابن جزي: (وقد اختلف: هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها؟ ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه مخصصة لعمومها)[1].

قال الشوكاني: (وقيل: المتعة هنا أعم من أن تكون نصف الصداق، أو المتعة خاصة إن لم يكن قد سمي لها، فمع التسمية للصداق تستحق نصف المسمى عملاً بقوله :(فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) سورة البقرة :٢٣٧، ومع عدم التسمية تستحق المتعة عملاً بهذه الآية . ..وهذا الجمع لابد منه، وهو مقدم على الترجيح، وعلى دعوى النسخ ..)[1].

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٦/٣).

ذهب إلى القول بالنسخ في الآية قتادة وسعيد بن المسيب[٢].

والذي عليه أكثر العلماء هو أن الآية محكمة[٣]، ويحمل ماجاء عن بعض السلف بأن آية الأحزاب منسوخة بآية البقرة على النسخ بمعناه عند المتقدمين، فيراد به تخصيص العموم وعليه يكون عموم المتعة في آية الأحزاب مخصص بمن لم يسم لها صداق[٤].

والراجح مارجحه ابن جزي والشوكاني أنه لا تعارض بين الآيتين والجمع ممكن، ولا يوجد نص يثبت النسخ في الآية، وأن الآية محكمة وهو مذهب جمهور أهل العلم.

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ الأحزاب: ٥٢.

ذهب ابن جزي والشوكاني إلى القول بنسخ الآية وهو قول قوي[٥].

قال ابن جزي: (واختلف في حكم هذه الآية، فقيل: إنها منسوخة بقوله إنا أحللنا لك أزواجك على القول بأن المراد جميع النساء، وقيل: إن هذه الآية ناسخة لتلك على

---

(١) فتح القدير، الشوكاني(٣٤٨/٤).

(٢) تفسير الطبري، (١٤٦/١٩-١٥٠)، تفسير ابن كثير(٢١٦/٦).

(٣) أحكام القرآن، الجصاص،(١٣٧/٢)، ناسخ القرآن ومنسوخه، ابن الجوزي، (ص ٤٩٠).

(٤) تفسير الطبري، (١٥٠/١٩)، الناسخ والمنسوخ، النحاس، (٩٣/٢)، الإيضاح، لمكي، (ص ٣٨٤).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٩/٣-١١٨٠)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٥١/٤-٣٥٣)، وهو ترجيح الطبري في تفسيره، (١٥٠/١٩)، وابن عطية ، (٩٣/٢)، وجوده ابن كثير، (٢١٧/٦-٢١٨).

القول بأن المراد من كان في عصمته، وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس، ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته...)[1].

والقول الآخر في الآية هو أنها محكمة، والمعنى: لا يحل لك النساء من بعد هذه الصفة، وهو مروي عن بعض الصحابة منهم أبي بن كعب ﷺ وغيره[2].

وذهب إلى القول بالإحكام مكي وابن العربي وغيرهما، على معنى: أن الله حرّم على رسول الله ﷺ أن يتزوج عليهن؛ لأنهن اخترن الله والدار الآخرة[3].

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٩/٣-١١٨٠).

([2]) الناسخ والمنسوخ، النحاس، (٥٩١/٢).

([3]) الإيضاح، لمكي، (ص ٣٨٦)، وأحكام القرآن، ابن العربي، (٦٠٨/٣).

المبحث الخامس: المحكم والمتشابه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المحكم والمتشابه.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المطلب الأول: تعريف المحكم والمتشابه.

المحكم والمتشابه لفظان متقابلان إذا ذكر أحدهما استدعى الآخر ضرورة وهما من مباحث علوم القرآن كما هما من مباحث أصول الفقه.

تعريف المحكم لغة:

المحكم اسم مفعول من الفعل أحكم، وأصله الثلاثي حكم، الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع.

ويأتي في اللغة على معنيين:

الأول: الإتقان، يقولون: أَحْكَم الأمر إذا أتقنه، وأَمْرٌ مُحْكَم أي متقن.

الثاني: المنع، تقول العرب حكمت وأحكمت بمعنى منعت ورددت، ومنه قيل للحاكم بين الناس حاكم؛ لأنه يمنع الظالم من الظلم.

وكلا المعنيين قريب من المعنى الاصطلاحي، فالمحكم: متقن يمنع اختلاط واشتباه غيره به[1].

تعريف المتشابه لغة:

المتشابه اسم فاعل من الفعل تشابَه، وأصله الثلاثي شبه، الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً[2].

ولما كان التماثل بين الأشياء يؤدي إلى الشك والحيرة، ويُوقع في الالتباس، توسعوا في اللفظ، وأطلقوا عليه اسم " المتشابه ".

يقال: اشتبه الأمر عليه، أي التبس عليه[3].

([1]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٩١/٢)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٧٠/٣) مادة حكم.

([2]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢٤٣/٣).

([3]) العين، الخليل الفراهيدي، (٤٠٤/٣).

المحكم والمتشابه عند علماء الأصول:

عرف الأصوليون المحكم والمتشابه بعدة تعاريف أذكر منها:

عرفه الإمام الغزالي[١] بتعريفين:

الأول: المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال والمتشابه ما تعارض فيه الاحتمال.

الثاني: أن المحكم ما انتظم وترتب ترتيبا مفيدا على ما ظاهر أو على تأويل ما لم يكن فيه متناقض ومختلف[٢].

وعرفه الكَلْوَذَاني[٣]: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه: ما احتاج إلى بيان[٤].

وعرفه ابن عقيل البغدادي الظفري[١]: ما استقلَّ بنفسه، وكان أصلاً يحتاج إلى بيان بغيره، ولذا اتفقت الأمة على معناه وحكمه؛ لاتفاقِهم في علمِه لمَّا كان ظهورُ حكمِه

---

(١) هو: أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الشافعي، كان فقيهاً وأصولياً، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب "حجّة الإسلام" وإمام الحرمين، وله ألقاب أخرى، صاحب كتاب المستصفى، وإحياء علوم الدين وغيرهما، توفي: ٥٠٥هـ. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، (٦/٢٠٢-٢٠٣)، سير أعلام النبلاء، الذهبي،(١٩/٣٢٧)، وفيات الأعيان، ابن خلكان،(١/٩٨).

(٢) المستصطفى، الغزالي، (١/٨٥) وتابعه على هذا التعريف الآمدي، الإحكام، (١/٢١٨).

(٣) هو: أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن بن حسن العراقي الكلواذاني البغدادي الأزجي الحنبلي، شيخ الحنابلة في عصره، وتلميذ القاضي أبو يعلى بن الفراء، توفي: ٥١٠هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي،(١٩/٣٤٨).

(٤) التمهيد في أصول الفقه، أبو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي، (٤/٥).

من لفظِه، والمتشابِهُ: مالم يستقلَّ بنفسه واحتاج إلى البيان بغيره، ووقع الخلافُ فيه، لاشتباه المعنى فيه، وغموض المقصود به[٢].

عرفه ابن مفلح[٣]: المحكم: ما اتضح معناه، فلم يحتج إلى بيان، والمتشابه: عكسه؛ لاشتراك أو إجمال[٤].

فمجموع الأقوال متقاربة في التعريف، فيكون المحكم ما يتحمل وجهاً واحداً، ويكون العمل به على ظاهره دون حاجة إلى جهد وتكلف، وعكسه المتشابه.

المحكم والمتشابه عند المفسرين:

اختلف المفسرين في تعريف المحكم والمتشابه نظرا لاختلافهم في المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ آل عمران: ٧.

فمعنى التأويل:

١ – التفسير والبيان: قال تعالى :﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾.

---

(١) هو: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، من بغداد، شيخ الحنابلة، إمام علامة، وصاحب تصانيف، من كبار الأئمة، توفي ٥١٣هـ. ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، (١٢٩/٣) سير أعلام النبلاء الذهبي(٤٤٣/١٩)، لسان الميزان، ابن حجر،(٢٤٣/٤).

(٢) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الظفري ، تحقيق عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، (٥/٤).

(٣) هو: أبو عبدالله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الراميني المقدسي الدمشقي الصالحي، هو أحد أبرز تلامذة ابن تيمية، المزي والذهبي وأحد أبرز فقهاء الحنابلة، له كتاب الفروع، والآداب الشرعية، توفي: ٧٦٣ هـ. ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، (١٥٥/١) (٣٣١/٢)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر(١٤/٦).

(٤) أصول الفقه والقواعد الفقهية، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ، تحقيق فهد السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، (٣١٦/١).

٢ – الحقيقة التي يؤول إليها الكلام: قال تعالى:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴿٥٣﴾﴾ الأعراف: ٥٣. وقال تعالى:﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴿٣٩﴾﴾ يونس: ٣٩.

٣ – العاقبة والمصير والمآل: قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ النساء: ٥٩.

٤ – تعبير الرؤيا: قال تعالى:﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴿٦﴾﴾ يوسف:٦. وقال تعالى :﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ ﴿١٠٠﴾﴾ يوسف:١٠٠.

فإن أريد بالتأويل المعنى الأول وهو التفسير والبيان، فيكون تأويل المتشابه يعلمه الراسخون في العلم؛ لأنه يتعلق بالمعنى، والراسخون يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، والواو في (والراسخون) للعطف.

وإن أريد بالتأويل المعنى الثاني وهو ماتؤول إليه حقيقة الشيء فيكون الوقف على لفظ الجلالة. وتكون الواو استئنافية.

وقد قرأ بالوقف نافع والكسائي ويعقوب.

وقرأ الباقون بالوصل.

ورجح ابن جزي والشوكاني الوقف على لفظ الجلالة، وأن المتشابه لا يعلمه الراسخون في العلم.

فتحصل من خلاف العلماء في معنى التأويل تعريف المحكم والمتشابه:

فالذين قالوا: إن المتشابه لا يعلمه إلا الله، عرفوا المحكم والمتشابه بما يلي:

١–المحكم ما عرف تأويله وفهم معناه، والمتشابه مالم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، كحقائق المغيبات، ووقت وقوعها، ومثله تفسير وقت قيام الساعة، وتعيين أوقات ظهور الآيات، وكطلوع الشمس من مغربها، والدابة التي تخرج في آخر الزمان لايعلم كيفها وحقيقتها إلّا الله، ولا يعلم وقت

خروجها إلّا الله، وهكذا سائر الغيبيات ومن ادّعى علمه بها فقد كذب[1].

٢- المحكم هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة، إما باعتبار نفسه أو اعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح معناه أو لا تظهر دلالته لا باعتبار نفسه، ولا باعتبار غيره، وهذا الذي يراه الشوكاني.

وعد أصحاب هذا القول الأحرف المقطعة من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله[2].

والذين قالوا: إن المتشابه يعلمه الراسخون في العلم، جاء تعريفهم للمحكم والمتشابه بما يلي:

١-المحكم: ناسخه وحرامه وحلاله وفرائضه، وما نؤمن به ونعمل به، والمتشابه منسوخه وأمثاله وأقسامه وما نؤمن به ولا نعمل به، ويشمل هذا ماتشابه منه على عامة الناس، وما يستنبط منه من فوائد وأحكام، ويكون مما يتعدى فهمه ومعرفته الدلالة القريبة من الألفاظ مما يشترك فيه الخاصة والعامة، ويتوقف على تحصيل مقدمات من الدراية والعلم والآلة .

٢-المحكم ماكان قائماً بنفسه لا يحتاج إلى أن يرجع فيه إلى غيره، والمتشابه مالا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.

٣-المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه مااحتمل من التأويل أوجهاً.

وذهب أصحاب هذا القول إلى بيان المراد من المحروف المقطعة.

ويذكر السيوطي أن ما لم يأت في القرآن بلفظه البتة مما يقصده علماء القرآن، من وقوع النظم الواحد على صور شتى، تتشابه في أمور وتختلف في أخرى، يطلقون عليه متشابه النظم أو متشابه اللفظ[3]، يقول الزركشي في البرهان عن المتشابه من هذا

---

(1) الطبري في تفسيره، (١/٧٤-٧٥)و(١/٩٢).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (١/٥٥)،(٤/٥٧١).

(3) الإتقان، السيوطي، (٣/١٠).

النوع: (ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرر)[1].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ البقرة: ٤٨، مع قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ البقرة: ١٢٣.

و يطلق المتشابه كصفة مدح لجميع القرآن، ولفظ المتشابه بهذا المعنى هو الوارد في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ٢٣﴾ الزمر: ٢٣.

أما تبيان كيف أن المتشابه بهذا الإطلاق نعت كمال لجميع القرآن، فإنه من الجلي أن صوغ مادة التشابه في هذه الآية يقضي بأن الكتاب الكريم ذو أجزاء، كلها يشبه بعضها بعضا من حيث الصحة والإحكام، والبناء على الحق والصدق ومنفعته الخلق، وتناسب ألفاظه وتناسقهما في التخير والإصابة، وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت[2].

والتشابه بهذا المعنى الذي يعم جميع القرآن على نحو ما رأينا، لا يتنافي بحال مع وصف الإحكام المذكور في قول الله تعالى :

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ هود: ١.

والذي يعم هو الآخر القرآن الكريم بأسره، بل يجب الأخذ بكلا الوصفين جميعا في كتاب الله عز وجل، دون أن يأتي كلام الحق في ذلك باطل من بين يديه أو من خلفه، وذلك بأن التناقض إنما يلزم إذا كان بين المادتين في هاتين الآيتين تقابل التضاد، وكيف وكل منهم صفة مدح، لا يمكن أن تدل على ما يضاد الأخرى، وإنما على ما

---

(1) البرهان، الزركشي، (١/١١٢).

(2) الكشاف، الزمخشري، (٤/٩٥).

يؤيدهما ويشد من أزرهما، وبانطوائهما معا في صفته شاهد صدقه وآية تنزيل رب العالمين.

وأما الإحكام فمعناه أن آي القرآن كلها قد نظمت نظما محكما لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ولا من جهة الهدف والغاية، أو أنها أحكمت بالحجج والدلائل، أو جعلت حكمة، فنقول: حُكِم إذا صار محكما، لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية، وإذن فالقرآن بهذا المعنى محكم في تشابهه، متشابه في إحكامه[1].

وقد يرد لفظ المتشابه في القرآن مقولا على بعض منه مخصوص، مقابلا وقسيما للبعض الآخر الذي يقال عليه وصف المحكم، وبحيث لا يجتمع هذان الوصفان المتقابلان في شيء واحد، وذلك هو ما جاء في قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ٧﴾ آل عمران: ٧، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه لفظ المتشابه عند الإطلاق، والتجرد من القرينة، وإن الناظر في هذين الوصفين المتقابلين، واللذين لا يصدق واحد منهما على ما يصدق عليه الآخر من القرآن، ليرى اختلافا عظيما بين العلماء في تبيان هذا المعنى، وهذا ما يهمنا في هذا البحث.

القرآن من حيث الإحكام والتشابه يمكن اعتبار القرآن محكماً كله أو متشابهاً كله أو اعتبار بعضه محكماً وبعضه متشابهاً وتفصيله التالي[2]:

القرآن كله محكم: بمعنى إحكام ألفاظه وعدم وجود خلل فيه، المراد بإحكامه أيضاً: إتقانه، وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه. قال تعالى:

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ هود: ١.

---

(1) تفسير القرآن، البيضاوي، (٣/٢١٩).

(2) تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي (ص١٣٠٧-١٣٧٦).

١- القرآن كله متشابه: بمعنى أن آياته متشابهة في الحق والصدق، والإعجاز، والهداية إلى الخير، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴿٢٣﴾﴾ الزمر: ٢٣.

٢- بعض القرآن محكم وبعضه متشابه: بمعنى أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب أي أن هذه الآيات جماع الكتاب وأصله، فهي بمنزلة الأم له، لا غموض فيها ولا التباس، كآيات الحلال والحرام التي هي أصل التشريع، بخلاف الآيات المتشابهة التي تختلف فيها الدلالة، على كثير من الناس، فمن رد المتشابه إلى المحكم الواضح فقد اهتدى. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴿٧﴾﴾ آل عمران: ٧.

مثال رد المتشابه إلى المحكم: قال تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الزمر: ٥٣.

هذه الآية متشابهة تحتمل معنيين:

المعنى الأول: غفران الذنوب جميعاً لمن تاب.

المعنى الثاني: غفران الذنوب جميعاً لمن لم يتب.

رد الآية المتشابهة إلى المحكمة: وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ طه:٨٢. تبين من الآية المحكمة أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وهو مؤمن واتبع طريق الهدى.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

ذكر ابن جزي والشوكاني أن المحكم والمتشابه لهما معنيان في اصطلاح المفسرين المتقدمين، فتارة يراد بالمحكم ما يكون في مقابل المتشابه، وتارة يراد بالمحكم مايكون مقابل المنسوخ[1].

والمراد في هذا المطلب هو المحكم مقابل المتشابه.

يرى ابن جزي آيات الصفات من المتشابه الذي يجب التسليم والإيمان به وعلمه عند الله، ويظهر من كلام ابن جزي أنه يذهب إلى التفويض، وحقيقته إجراء النصوص ألفاظاً، من غير فهم لمعناها، وسيأتي ذكر كلامه في الأمثلة والتطبيقات.

ويرى الإمام الشوكاني أن من المتشابه الأحرف المقطعة، كما تقدم.

آيات الصفات

آيات الصفات هي من الآيات التى ذكرها ابن جزي أنها من المتشابه، وخالفه الشوكاني وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: بأن آيات الله ليست من المتشابه.

القول الثاني: أنها من المتشابه، فإن قصد بها عدم العلم بالكيفية، وهذا لم يطلقه أحد من السلف، وإن كان السلف أجمعوا على أن كيفية الصفات لا يعلمها إلا الله.

كلامهم غير القول أن آيات الصفات من المتشابه.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/٣٣٨-٣٣٩)، وفتح القدير، الشوكاني، (١/٤٢٦-٤٣٢)، أطال الشوكاني الكلام بشرح الأقوال والرد عليها، فكان ناقداً ومقرراً في آن واحد، وهذا يدل على مقدار تعقله وفهمه، ويناقش في اللغة ويذكر كلام الخطابي الذي يرد على مجاهد..، ثم قال: واعلم أن هذا الاضطراب الواقع في مقالات أهل العلم... لايمكن ترجح أحدهما على الآخر باعتبار نفسه ولا باعتبار أمراً آخر يرجحه...إلخ، وبهذه المناقشة يكون الشوكاني قد عرض الأقوال والأدلة لكل طائفة من المفسرين.

فليست آيات الصفات كلها من المتشابه وليست كلها من المحكم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ٧﴾ آل عمران: ٧.

محكمة لكونها صفات الله تعالى، متشابهة بالنسبة لنا من حيث كيفيتها مثل صفة: الاستواء على العرش، فهي معلومة في معناها، ولكن الكيف مرفوع كما قال الإمام مالك: الإستواء معلوم، والكيف مرفوع، والسؤال عنه بدعة، أي معنى الاستواء معلوم، ولا نثبت له كيفية، فصفات الله منزّهة عن الكيف، والسؤال عن الآيات المتشابهات.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

ذكرت سابقاً أن ابن جزي والشوكاني اختلفا في مفهوم المحكم والمتشابه، ويتبين ذلك جليا عند دراسة الآيات في الجزء المقرر من البحث.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ يس: ٧١.

قال ابن جزي: (مقصد الآية تعديد النعم وإقامة الحجة، والأيدي هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة، وعند أهل التسليم من المتشابه الذي يجب الإيمان به وعلمه عند الله)[1].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ الزمر: ٦٧.

قال ابن جزي:(ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات، فقالت المتأولة: إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة وقال ابن الطيب إنها صفة زائدة على صفات الذات، وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله، ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته إلا الله..)[2].

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ص: ٧٥.

قال ابن جزي: (الضمير في قال لله عز وجل، وبيديّ من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأوّلون: هو عبارة عن القدرة، وقال القاضي أبو بكر بن الطيب [الباقلاني] : إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٢٨/٣).

([2]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٩٦/٣).

المتقرّرة، قال ابن عطية: وهذا قول مرغوب عنه، وحكى الزمخشري: أن معنى خلقت بيدي خلقت بغير واسطة)[1].

القول في آيات الصفات أنها من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليم علم حقيقته إلى الله؛ هو قول المفوضة، والتفويض والتأويل مذهبان لنفاة الصفات، كلها أو بعضها، فأهل السنة يثبتون صفات الله كما أثبتها لنفسه وأثبتها له نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل.

والقول أنها عبارة عن القدرة، وإلى هذا القول ذهب الشوكاني[2]، وهذا القول قول أهل التأويل كالذي سبقه.

وأما القول الذي حكاه ابن جزي عن الباقلاني من أن اليد والعين والوجه صفات ذات زائدة على الصفات المتقررة كالقدرة والعلم وغير ذلك من صفات الله تعالى.

فالذي ذكره الباقلاني يوافق مذهب أهل السنة في إثبات صفة اليدين لله عزوجل.

وأما قول الزمخشري خلقت بغير واسطة، فهو يجنح عن الحقيقة وهي إثبات اليدين لله عزوجل وأنه خلق آدم بيديه، هروباً من التشبيه، فهم لما قام التشبيه في أذهانهم هربوا منه للتعطيل والتحريف والتأويل.

فطريقة أهل السنة هي طريقة القرآن يثبتون الصفة حقيقة وينفون المثلية كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١.

بل يجب إثبات الصفات على ما يليق به سبحانه، وأنه لا يماثله العباد، وليست آيات الصفات من المتشابه؛ لأن معناها معقول، وكيفيتها مجهولة، والله أعلم.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٧٧/٣).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٥٢٩/١).

ويرى الشوكاني كما تقدم أن الحروف المقطعة في القرآن من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

الفصل الثالث: مقارنة بين التفسيرين في آيات العقائد، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بآيات العقيدة.

المبحث الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب.

المطلب الرابع: الإيمان بالرسل.

المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المطلب السادس: الإيمان بالقدر.

المبحث الأول: التعريف بآيات العقيدة.

تعريف الآيات في اللغة:

الآيات جمع آية، والآية: العلامة، والإمارة والجماعة، والجمع آيات وآيٌ وآيايٌ.

والآية: من التنزيل ومن آيات القرآن العزيز، وسميت بذلك لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام ويفضي منها إلى غيرها، وقيل سميت بذلك لأنها جماعة من الحروف، وآيات الله عجائبه.

والآية كذلك العبرة والعبر، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧﴾ يوسف: ٧، أي أمور وعبر مختلفة[1].

وتطلق الآية على المعجزة[2]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ المؤمنون: ٥٠.

والآية في القرآن تطلق على معنيين:

الأول: إطلاق الآية على الشرعية الدينية، كآيات هذا القرآن العظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٢٥٢﴾ البقرة: ٢٥٢.

الثاني: إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠﴾ آل عمران:

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي،(١/١١٦)و(٣/١٢٣٥).

(2) لسان العرب، ابن منظور،(١/١٨٥)، وتاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن الزبيدي،(٣٧/١٢٢).

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية،(١١/ ٣٢٢ – ٣٢٣)، وأضواء البيان، الشنقيطي، (٧/٣٣٩).

١٩٠، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فصلت: ٣٧.

وأضاف بعضهم إطلاق ثالث وهو: إطلاق الآية على المعجزات التي يؤتيها الله رسله لإثبات صدق بلاغهم عن الله، مثل انشقاق البحر لموسى-عليه السلام-، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى - بإذن الله- لعيسى -عليه السلام-، قال تعالى:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ آل عمران: ٤٩.

وهذه المعجزات لا تخرج عن كونها آيات كونية قدرية.

العقيدة لغة:

مأخوذة من الفعل عقد، بفتح العين، العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها، من ذلك عقد البناء، والجمع أعقاد وعقود، قال الخليل: ولم أسمع له فعلا، ولو قيل عقّد تعقيدا، أي بنى عقدا لجاز، وعقدت الحبل أعقده عقدا، وقد انعقد، وتلك هي العقدة.

والعقد هو الربط والشدّ بقوة، منه الإحكام والإبرام، والتماسك والرصانة والإثبات والتوثق[١].

العقيدة في الاصطلاح:

كلمة العقيدة لم ترد في الكتاب والسنة، ولم توجد في أمهات المعاجم القديمة، وإن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها(عقائد) هو القشيري[١] في كتابه (الرسالة)، وهي كلمة مولدة لم تكن في الصدر الأول[٢].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (٢٩٥/٣)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٨٦/٤).

المراد بها في الاصطلاح: الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب وتطئن إليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك[٣].

فالعقيدة هي الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيّته وربوبيّته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة في أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ولرسوله ﷺ، وبالطاعة والتحكيم والاتباع[٤].

والعقيدة في الإسلام تقابل الشريعة؛ إذ الإسلام عقيدة وشريعة تعني التكاليف العملية التي جاءت في القرآن والسنة النبوية في العبادات والمعاملات، والعقيدة هي أمور علميّة يجب على المسلم أن يؤمن بها؛ لأن الله أخبرنا بها بطريق كتابه، أو بطريق وحيه إلى رسوله -ﷺ- وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها هي التي حددها الرسول - ﷺ - في حديث جبريل المشهور بقوله: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى)[٥].

فالعقيدة في ديننا هي التي تدور حول قضايا معينة، التي أخبرنا بها الله ورسوله، وليست اعتقاد أي شيء وحتى تصبح هذه عقيدة لابد أن تصدق بها تصديقاً جازماً لا

---

(١)هو: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري صاحب الرسالة والتفسير وغيرهما صحب أبا علي الدقاق وغيره، وأخذ الفقه فأتقنه، ثم الأصول على ابن فورك والأستاذ أبي إسحاق ولد سنة ٣٧٧ هـ وتوفي سنة: ٤٦٥هـ - تاريخ بغداد (١١/ ٨٣).

(٢) معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، (ص٢٤٢).

(٣) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبدالله بن عبدالحميد الأثري، طبع وزارة الأوقاف السعودية، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ، مادة عقد(٢٤/١).

(٤) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر العقل، (ص٩).

(٥) مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب الإيمان بالقدر، رقم (٨) (٣٨/١).

ريب فيه، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة[1]، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ الحجرات: ١٥.

والمسائل التي يجب اعتقادها أمور غيبية، ليست مشاهدة منظورة، وهي التي عناها الله بقوله عندما مدح المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ البقرة: ٣، فالله غيب، وكذلك الملائكة واليوم الآخر، أما الكتب والرسل فقد يتبادر أنها تشاهد وتنظر، لكن المراد هو الإيمان أن الرسل مبعوثين من عند الله، وأن الكتب منزلة من عند الله، وهذا أمر غيبي.

ولعلم العقيدة ألقاب كثيرة تمييز علم العقيدة عن غيره، حتى صارت تلك الألقاب أعلاماً على هذا العلم وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ومن تلك الأسماء: الإيمان، والتوحيد، والسنة، وأصول الدين، والفقه الأكبر، والشريعة.

([1]) العقيدة في الله، عمر الأشقر، (ص٩-١٠).

المبحث الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

العقيدة كما هو معلوم إنما تؤخذ من مصدري الكتاب والسنة؛ ولذلك فإن من يتعرض لكتاب الله وتفسيره لا بد وأن يتعرض للكلام عن العقيدة ويتحدث عنها.

ومما لا شك فيه أن الإمامين قد تعرضا لقضايا العقيدة والتوحيد، وقد تقدم الكلام في الترجمة عن عقيدتهما، وكانا -رحمهما الله تعالى- مدافعين عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان اهتمامهما واضحاً سواء في سبيل تقريرها أو الدفاع عنها والتحذير من الخارجين عليها.

وتكلم الإمامان في تفسيرهما عن تعريف الإيمان وفضله وأركانه، وأنه يزيد وينقص، ودعوة القرآن إليه من خلال عرض الآيات التي تتكلم عنه، أو الدعاء أو ذكر الشرك والرد على المشركين ومعتقداتهم، قد اتفقا في بيان آيات العقائد من الإيمان والدعوة إليه والتحذير من الشرك والكفر وإقامة الحجة على المشركين، وتأكيد البعث والنشور وأنه حق لا شك فيه، والرد على من أنكر البعث بالأدلة العلمية والعقلية، وبينا معاني الآيات جملة و مجزأة معنى إجمالياً.

إلا أن ابن جزي يختصر بالمعنى العام من مضمون الآية وهذا هو منهجه في تفسيره، والشوكاني أحياناً يتوسع في الآيات التي تتكلم عن التوحيد والعبادة والشرك وغيرها.

وذكر الإمام ابن جزي في مقدمة كتابه أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين، وأن مقصود القرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وأنه المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن المقصد الذي ترجع معاني القرآن إليه يقتضي العبادة، والبواعث التي تبعثهم على الدخول فيها، والعبادة تنقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال، والبواعث عليها هو الترغيب والترهيب؛ علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد والوعيد، والقصص، وهي معاني القرآن السبعة.

وسلك ابن جزي والشوكاني طريقة الاستدلال بالآيات على وجود الله بأدلة عقلية صحيحة، وشرعية دل عليها القرآن بالآيات التي تتعلق بالكون وما فيه من مخلوقات، وإما تتعلق بالإنسان نفسه، **قال الله تعالى:** ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ الذاريات: ٢٠، **وقال تعالى:** ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ فصلت: ٥٣.

وسيأتي الكلام موضحاً -إن شاء الله تعالى-.

ومما يجدر التنبيه عنه هنا أن العقيدة لا تختص بالأسماء والصفات كما يظن؛ وإنما هي تشمل التوحيد والتحذير من الشرك، والدعوة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والإيمان بالبعث والنشور وعذاب القبر، وخلق أفعال العباد، والشفاعة، وحكم مرتكب الكبيرة، ومصير أهل الكبائر من المسلمين، وخلود الكفارفي نار جهنم.

ولدراسة منهج الإمامين ومقارنتهما في آيات العقائد لا بد من معرفة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد جعلت ذلك بالموضوعات لأن طبيعة بحث العقائد والأحكام الفقهية -كما سيأتي إن شاء الله- يصعب تجزئته فكان الأفضل يكون بالموضوعات وليس على حسب ترتيب المصحف لأنها تختلف عن سابقاتها.

وسأتحدث عن كلام الإمامين في أركان الإيمان في ستة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالله.

تعريف الإيمان لغة:

مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن[1]، الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق.

وهو بمعنى الإقرار لا مجرد التصديق؛ فإن الإيمان يتضمن أمرين:

أحدهما: الإخبار.

ثانيهما: الالتزام.

والتصديق إنما يتضمن الأول دون الثاني، بخلاف الإقرار فإنه يتضمنهما جميعاً، ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار يتضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد"[2].

الإيمان في الشرع:

الإيمان قول وعمل، إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالأركان[3].[4]

قال الشوكاني: والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل[1].

---

(1) تهذيب اللغة (١/ ٢٠٩)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (١/١٣٣)، الصحاح (٥/ ٢٠٧١)، لسان العرب (١٣/ ٢١)، والقاموس المحيط (ص ١٥١٨).

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٧/ ٥٣٠-٥٣٨).

(3) الإيمان، لابن أبي شيبة، (ص ٤٦)، والإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام، (ص ٦٦)، الإيمان، لابن مندة، (٢/ ٥)، وشرح السنة، البربهاري (ص ٦٧)، ومسائل الإيمان، لأبي يعلى (١٥٢)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، (١/٢٩٥).

(4) وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم: وكيع بن الجراح، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والبخاري، والبغوي، وابن عبد البر، رحمهم الله جميعاً.

- كتاب الإيمان للعدني (ص ٩٦)، والإيمان لابن سلام (ص ٦٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٨٨٦)، شرح السنة (١/ ٣٨ - ٣٩)، والتمهيد (٩/ ٢٣٨).

الآيات التي وردت في الإيمان بالله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴿٣٥﴾﴾ الأحزاب: ٣٥.

يرى ابن جزي والشوكاني أن الإيمان هو التصديق، والإسلام هو الانقياد والاستسلام لأمر الله، والإسلام أعم، والإيمان أخص، واستدل الشوكاني على التفريق بينهما بحديث جبريل الطويل أن النبي ﷺ لما سأله جبريل عن الإسلام قال هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان، قال: فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت... الحديث[٢].

ويرى ابن جزي والشوكاني: أن الإيمان يزيد وينقص[٣].

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص.

ويرى ابن جزي والشوكاني إن الإسلام هو الانقياد، والإيمان هو التصديق، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف المعنى كقوله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴿١٤﴾﴾ الحجرات: ١٤، وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ الذاريات: ٣٥، وبالعموم فيكون الإسلام أعم، لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخص لأنه بالقلب خاصة، وهذا هو الأظهر في هذا الموضع[٤].

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٦٤/١).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧١/٣) ، فتح القدر، الشوكاني،(٦٤/١) و(٨٢/٥-٨٤).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣٨٥/١)، فتح القدر، الشوكاني، (٥٣٧/١)و(٣٦٣/٢).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧١/٣) فتح القدر، الشوكاني،(٨٢/٥).

اختلف أهل العلم رحمهم الله في الإيمان والإسلام هل هما بمعنى واحد، أم معان متغايرة؟ والخلاف جار بين أهل السنة والجماعة على قولين:

أحدهما: أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد[1].

وثانيهما: أن الإيمان والإسلام مفترقان، وهو قول كثير من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم[2].

واختلف القائلون بالتفريق بينهما في تحديد وجهه، والأكثر على أنه إذا قرن بينهما فإن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة والإيمان يفسر بالأعمال الباطنة، كما في حديث جبريل وغيره من الآيات والأحاديث التي قرنت بينهما.

وأما إذا أفرد أحدهما فيدخل فيه الآخر، كما في حديث وفد عبد القيس[3] حيث فسر الإيمان بما فسر به الإسلام، وكما في حديث عمرو بن عبسة[1] حيث فسر الإسلام بما فسر به الإيمان.

---

(1) وممن قال بهذا القول: البخاري، ومحمد ابن نصر المروزي، وابن مندة، وابن عبد البر ،رحمهم الله جميعاً.

- صحيح البخاري (١/ ٢٧)، وفي شرح فتح الباري (١/ ١١٤)، وتعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٠٦ - ٥٣١)، الإيمان، ابن مندة (١/ ٣٢١)، والتمهيد (٩/ ٢٤٧، ٢٥٠).

(2) واختار هذا القول الخلال، والخطابي، واللالكائي، وأبو يعلى، والبغوي، وابن الصلاح، وابن تيمية، وابن كثير، وابن رجب، رحم الله الجميع.

- السنة، الخلال (٣/ ٦٠٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، (٤/ ٨١٢)، معالم السنن، الخطابي، (٤/ ٣١٥)، مسائل الإيمان، أبو يعلى، (ص ٤٢١ - ٤٣٦)، جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (١/ ١٠٥ - ١٠٨)، تفسير ابن كثير، (٤/ ٢٣٠).

(3) قال - ﷺ -: (آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان ...) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (١/ ٤١) برقم (٥٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله - ﷺ - (١/ ٤٧ - ٤٨) برقم (١٧).

يقول ابن رجب – رحمه الله –: " اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه الآخر بانفراده ودل الآخر على الباقي، وقد صرح بهذا جماعة من الأئمة"[٢].

إن الإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بوجود الله، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

الربوبية: مصدر رَبَّ يَرُبُّ رَبَابَةً ورُبُوبية[٣].

يقول ابن فارس: " الراء والباء يدل على أصول: فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه ... والآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه ...والثالث: ضم الشيء للشيء.

ومتى أمعن النظر كان الباب كله قياساً واحداً"[٤].

والرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيّم، والمنعم[٥].

وجميع هذه المعاني ترجع إلى ثلاثة هي: المالك، والسيد، والمصلح.

---

(١) قال عمرو بن عبسة – رضي الله عنه –: أي الإسلام أفضل: قال – ﷺ –: (الإيمان)، قال: وما الإيمان؟ قال: (تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ١٢٧) برقم (٢٠١٠٧)، وأحمد (٢٨/ ٢٥١ – ٢٥٢) برقم (١٧٠٢٧)،وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ٥٩) (٣/ ٢٠٧) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٩٠٣).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (١/ ١٠٦).

(٣) اشتقاق أسماء الله تعالى، الزجاجي (ص ٣٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (/).

(٥) لسان العرب، ابن منظور(١/ ٣٩٩)، تهذيب اللغة (٢/ ١٣٣٥)، الصحاح (١/ ١٣٠)، القاموس المحيط (ص ١١١).

وذكر ابن جزي المعنى اللغوي لـ "رب" كما ذكره أهل اللغة: الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم، ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح. وكلها في رب العالمين، إلّا أن الأرجح معنى الإله:لاختصاصه لله تعالى[1].

وكذلك الشوكاني وافق ما نقل عن أهل اللغة في معنى "رب" قال الشوكاني: قال في الصحاح الرب اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره إلا بالإضافة وقد قالوه في الجاهلية للملك وقال في الكشاف الرب المالك ومنه قول صفوان لأبي سفيان لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن ثم ذكر نحو كلام الصحاح قال القرطبي في تفسيره والرب السيد ومنه قوله تعالى:﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴿٤٢﴾﴾ يوسف: ٤٢، وفي الحديث (أن تلد الأمة ربها) والرب المصلح والمدبر والجابر والقائم[2].

ويطلق الرب في الشرع ويراد به عين معناه في اللغة.

توحيد الربوبية: "بأنه توحيد الله – تعالى– بأفعاله، والإقرار بأنه خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير.

فهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الذي يرسل الرسل، ويشرع الشرائع، ليحق الحقّ بكلماته، ويقيم العدل بين عباده شرعاً وقدراً إلى غير ذلك مما لا يُحصيه العدّ، ولا تحيط به العبارة.

قال ابن جزي: فأما علم الربوبية: فمنه إثبات وجود الباري ﷻ، والاستدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خلقة الأرض والسموات، والحيوان والنبات، والريح والأمطار، والشمس والقمر، والليل والنهار، وغير ذلك من الموجودات، فهو دليل على خالقه، ومنه إثبات الوحدانية، والردّ

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/١٨٠).

([2]) فتح القدير، الشوكاني، (١/٤٣).

على المشركين، والتعريف بصفات الله: من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، وغير ذلك من أسمائه وصفاته، والتنزيه عما لا يليق به[1].

وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه الفطر؛ وكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، ووبَّخهم منكراً عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده، لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده؛ والآيات بنحو هذا كثيرة جداً، ولأجل ذلك فكل الأسئلة المتعلِّقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار، لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة[2].

والآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الزخرف: ٨٧.

وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله حتى يصير به العبد مسلماً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ يوسف: ١٠٦؛ لأن الله تبارك وتعالى حكى عن المشركين القدامى إقرارهم بهذا التوحيد، كما قال تعالى: : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الزخرف: ٨٧، فلم يكونوا بهذا الإقرار مسلمين، وذلك لعدم إخلاصهم العبادة لله وحده[3].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/٧٠).

(2) أضواء البيان، الشنقيطي (٣/ ٤٨٨ – ٤٩٣)، والقول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، العباد (ص ١٧ – ١٨، ٢٢ – ٤٩).

(3) أضواء البيان، الشنقيطي (٣/ ٤٨٨)، القواعد الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص ١٦٨).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب: ٣٦.

ذكر ابن جزي والشوكاني أن هذه الآية من اتصف بالإيمان الإسراع في مرضاة الله ورسوله وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما، ومن لوازم توحيد الربوبية؛ الاعتقاد أن التشريع حق لله سبحانه، وهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول، بل يجب عليه أن يذعن للقضاء، ويوقف نفسه تحت ما قضاه الله عليه واختاره له[1].

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ الأحزاب: ٦٣.

الكافرون والمنافقون والمرجفون لما توعدوا بالعذاب سألوا عن الساعة استبعاداً، وتكذيباً للساعة[2].

قال الشوكاني: { وَمَا يُدْرِيكَ } يا محمد، أي ما يعلمك ويخبرك { لَعَلَّ الساعة تَكُونُ قَرِيباً } أي في زمان قريب، وانتصاب { قريباً } على الظرفية، والتذكير لكون الساعة في معنى اليوم أو الوقت مع كون تأنيث الساعة ليس بحقيقي، والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبيان أنها إذا كانت محجوبة عنه لا يعلم وقتها وهو: رسول الله، فكيف بغيره من الناس؟ وفي هذا تهديد لهم عظيم[3].

الاعتقاد أن الله وحده يعلم الغيب، فالنبي ﷺ لا يعلم الغيب رغم مكانته عند الله وهو خير البشر، وهذه الخيرية تشمل كل الخيرات المطلقة، ومع هذا فليس له حق في خصائص الربوبية، فليس يعلم الغيب وليس يملك الضرر والنفع ولا يملك ذلك لغيره.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٢/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٣٣٩/٤).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٨٥/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٦/٤).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٦/٤).

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ فاطر: ٢.

الاعتقاد أن الله سبحانه هو المتصرف وحده في تدبير الكون من إيجاد وإحياء وإماتة وجلب الخيرودفع شر، كل ذلك من معاني الربوبية.

كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨﴾ الزمر: ٣٨.

فالآيات التي تتحدث عن أحوال الخلق والكون وبديع الصنعة كلها تدل على وجود الله وتفرده بالكمال والجلال، والفطرة والإيمان بوجود الله أمر بدهي فطري لا يحتاج إلى إقامة الدليل فالفطرة السليمة مجبولة على الإقرار بوجود الخالق سبحانه.

لقد قرر الإمامان المقصود بتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد دون سواه، كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل وغيرها من العبادات القلبية، وإفراده بالعبادات البدنية كالصلاة والصيام والحج وغيرها، فمن صرف شيئا من العبادات لغير الله فقد أشرك مع الله في الألوهية كما سيأتي في الأمثلة، وقد تنوعت طرق الاستدلال عند الإمامين، تارة الاستدلال بتوحيد الربوبية كأفعال الله مثل الخلق، وخلق الله والنهار، والإحياء والإماتة والرزق وإنزال الأمطار، وغير ذلك، وتارة بالاستدلال بعجز آلهة المشركين على توحيد الألوهية، وتارة يستدل بأمر الله بعبادته ونهيه عن عبادة غيره، وغيرها من الأدلة التي يستدل بها على توحيد الله ونفي العبودية لغيره.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠﴾ فاطر: ٤٠.

ذكر ابن جزي عند تفسيره لهذه الآيه احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم[١].

وقال الشوكاني: أن الله سبحانه أمر نبيه ﷺ أن يوبخهم ويبكتهم وأن يخبروه عن الشركاء الذين اتخذوهم آلهة وعبدوهم من دون الله، أخبروني عن شركائكم ماذا خلقوا من الأرض، أم لهم شرك في السماوات أى أم لهم شركة مع الله فى خلقها أو ملكها أو التصرف فيها حتى يستحقوا بذلك الشركة في الإلهية[٢].

قرر الإمامان توحيد الألوهية بإثبات العبادة لله وحده ونفي الشريك.

والعبادة تطلق في اللغة على معان متعددة منها: الخضوع والذلة، والقوة والصلابة، والأنفة والكراهة، والطاعة والتنسك والمملوكية[٣].

أما العبادة في الشرع: فإن معانيها تتنوع بحسب اعتبارات سياقاتها، فالعبادة باعتبار أصلها هي مصدر بمعنى التعبد، وهي بهذا المعنى التذلل لله والخضوع له بفعل أوامره واجتناب نواهيه، مع المحبة والتعظيم.

والعبادة باعتبار أفرادها هي اسم بمعنى المتعبد به، وهي بهذا المعنى اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[٤].

وعبارات أهل العلم في تعريف العبادة وبيان معناها وإن تعددت فهي لا تخرج عما سبق.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢١٤/٣).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٤٢٣/٤).

(٣) تهذيب اللغة (٣/ ٢٢٩٩ – ٢٣٠٥)، الصحاح (٢/ ٥٠٢ – ٥٠٤)، لسان العرب (٣/ ٢٧٢ – ٢٧٣)، القاموس المحيط (ص ٣٧٨ – ٣٧٩).

(٤) العبودية لابن تيمية (ص ٥ – ٦)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص ٣٥)، معارج القبول لحافظ الحكمي (١/ ٨٤).

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ البينة: ٥.

قال - ﷺ - لمعاذ - رضي الله عنه - حين بعثه إلى اليمن: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...) الحديث، وفي رواية: (فادعهم إلى عبادة الله)، وفي رواية: (فادعهم إلى أن يوحدوا الله)[1].

قال ابن حجر: " وجه الجمع بينهما: أن المراد بالعبادة: التوحيد، والمراد بالتوحيد: الإقرار بالشهادتين"[2].

وذكر الشوكاني معنى العبادة في اللغة الذل والخضوع والانقياد.

وفي الاصطلاح: أقصى غايات الالخضوع والتذلل، وقال: وعبادة الله إثبات توحيده وتصديق رسله والعمل بما أنزل في كتبه[3].

وردت آيات كثيرة توجب على العباد أن يفردوا الله بتوحيد العبادة، ويخصوه بها وحده دون سواه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢﴾ فاطر: ١٢.

قال ابن جزي والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا برقم (١٤٩٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام برقم (٢٩) من حديث ابن عباس.

(2) فتح الباري (١٣/ ٣٥٤).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (١٥٨/١) و(١١١/٥).

عباده... إلى أن قال: ولاينبئك مثل خبير أي لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر عالم، يعني نفسه تعالى، في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدهم[1].

وقال الشوكاني: الله ربكم له الملك أي هذا الذى من صنعته ما تقدم هو الخالق المقدر والقادر المقتدر المالك للعالم والمتصرف فيه...إلى أن قال: ثم بين سبحانه حال هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله بأنهم لا ينفعون ولا يضرون ولو سمعوا على طريقة الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن ذلك ...المعنى لو جعلنا لهم سماعا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ولم يستجيبوا لكم إلى ما دعوتموهم إليه من الكفر،ويوم القيامة يكفرون بشرككم أى يتبرءون من عبادتكم هم ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون[2].

قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يس: ٣٣.

قال الشوكاني: ثم ذكر سبحانه البرهان على التوحيد والحشر مع تعدد النعم وتذكيرها[3].

وقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يس: ٣٧.

قال الشوكاني: والمعنى أن ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب إلهيته[4].

قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ يس: ٦١.

قال الشوكاني: أي عبادة الله وتوحيده أو الإشارة إلى دين الإسلام[5].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٠٧-١٢٠٨).
(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٠٩).
(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٣٩).
(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٤٠).
(5) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٥٠).

قال الله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ ص: ٥ – ٦.

قال ابن جزي: هذا إنكار منهم للتوحيد، ...إلى أن قال: وأن امشوا: معناه يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا محمدا فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده[١].

وقال الشوكاني: ثم أنكروا ما جاء به ﷺ من التوحيد وما نفاه من الشركاء لله فقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا أي صيرها إلها واحدا وقصرها على الله سبحانه[٢].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ الزمر: ٤٥.

ذكر ابن جزي والشوكاني: أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به، وانقبضت قلوبهم من شدة الكراهية للتوحيد، وإذا ذكرت أصنامهم يفرحون ويبتهجون بها[٣].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٦﴾ الزمر: ٦٥ – ٦٦.

ذكر ابن جزي والشوكاني أن هذا الخطاب من باب التعريض لغير الرسل لأن الله قد عصمهم عن الشرك، ووجه إيراد الخطاب على هذا الوجه التحذير والإنذار للعباد من الشرك لأنه إذا كان موجبا لإحباط عمل الأنبياء على الفرض والتقدير فهو

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٥٦/٣-١٢٥٧).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٥٠٠/٤).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٩١/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٥٦/٤).

محبط لعمل غيرهم من أممهم من بطريق الأولى[1].

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِىِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ غافر: ١٢.

قال الشوكاني: ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده فى الدنيا دون غيره كفرتم به وتركتم توحيده، وإن يشرك به غيره من الأصنام أو غيرها تؤمنوا بالإشراك به وتجيبوا الداعى إليه فبين سبحانه لهم السبب الباعث على عدم إجابتهم إلى الخروج من النار وهو ما كانوا فيه من ترك توحيد الله وإشراك غيره به فى العبادة التى رأسها الدعاء، فالحكم لله وحده دون غيره وهو الذى حكم عليكم بالخلود فى النار وعدم الخروج منها، إلى أن قال: هو الذي يريكم آياته أي دلائل توحيده وعلامات قدرته.. وما يتذكر ويتعظ بتلك الآيات الباهرة فيستدل بها على التوحيد وصدق الوعد والوعيد إلا من ينيب أى يرجع إلى طاعة الله بما يستفيده من النظر فى آيات الله[2].

قال تعالى: ﴿۞ قُلۡ إِنِّى نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٦﴾ غافر: ٦٦.

قال الشوكاني: أمر الله سبحانه رسوله أن يخبر المشركين بأن الله نهاه عن عبادة غيره وأمره بالتوحيد فقال قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله وهى الأصنام ثم بين وجه النهى فقال لما جاءني البينات من ربي وهى الأدلة العقلية والنقلية فإنها توجب التوحيد، وأمرت أن أسلم لرب العالمين أي أستسلم له بالانقياد والخضوع[3].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٩٦/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٦٤/٤).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٥٧٥/٤-٥٧٦).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٥٩٥/٤).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت: ٣٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني: أي لا أحد أحسن قولا منه، ويدخل في ذلك كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته[1].

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فصلت: ٣٧.

قال الشوكاني: شرع سبحانه فى بيان بعض آياته البديعة الدالة على كمال قدرته وقوة تصرفه للاستدلال بها على توحيده فقال ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ثم لما بين أن ذلك من آياته نهاهم عن عبادة الشمس والقمر وأمرهم بأن يسجدوا لله عز وجل فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لأنهما مخلوقان من مخلوقاته فلا يصح أن يكونا شريكين له فى ربوبيته،واسجدوا لله الذي خلقهن أي خلق هذه الأربعة المذكورة[2].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ الزمر: ٢ – ٣. **وقال تعالى:** ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ الزمر: ١١ – ١٢.

ذكر ابن جزي والشوكاني شروط العبادة: الإخلاص؛ أن يقصد العبد بعمله

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٣٢١/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٦١٢/٤).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٦١٥/٤).

وجه الله سبحانه والدين العبادة والطاعة ورأسها توحيد الله وأنه لا شريك له، والدين الخالص هو الإسلام الذي شرعه الله لعباده ولا يقبل غيره، والخالص الصافي من شوائب الشرك، وفي الآية دليل على وجوب النية وإخلاصها عن الشوائب [1].

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب: ٢١.

ذكر ابن جزي والشوكاني الشرط الثاني للعبادة: المتابعة، وهي الاقتداء بالنبي ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل[2].

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ غافر: ٦٠.

ذكر ابن جزي والشوكاني الدعاء هنا- وهو من أنواع العبادة-: هو الطلب والرغبة والسؤال بجلب النفع ودفع الضر، وهذا وعد مقيّد بالمشيئة، وهي موافقة القدر لمن أراد أن يستجيب له، وقيل: ادعوني هنا: وحدونى واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم بدليل قوله بعده: إن الذين يستكبرون عن عبادتي وقوله ﷺ: الدعاء هو العبادة[3].

إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (أى ذليلين صاغرين وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله وفيه لطف بعباده عظيم وإحسان إليهم جليل حيث توعد من ترك طلب الخير منه واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة فيا عباد الله وجهوا رغباتكم وعولوا فى كل طلباتكم على من أمركم بتوجيهها إليه وأرشدكم إلى التعويل عليه وكفل لكم الإجابة به بإعطاء الطلبة فهو

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٧٩/٣) و(١٢٨٤/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٤/٤) و(٥٤٠/٤-٥٤١).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٦٦/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٣٢٤/٤).

(3) أخرجه أبو داود في سننه، رقم (١٢٦٤) والترمذي (٢٨٩٥).

الكريم المطلق الذى يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع ما يحتاجه من أمور الدنيا والدين قيل وهذا الوعد بالإجابة مقيد بالمشيئة أى أستجب لكم إن شئت كقوله سبحانه) فيكشف ما تدعون إليه إن شاء[1].

استظهر ابن جزي والشوكاني القول أن الدعاء هنا الطلب والرغبة، والجمع أولى فلا تعارض بين القولين، والله أعلم[2].

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾ الأحزاب: ٣٩.

ذكر ابن جزي والشوكاني في هذه الآية من أنواع العبادة الخوف والرجاء، وأنهما من صفات الأنبياء السابقين التي امتدحها الله في كتابه أنهم يبلغون ماأرسلهم الله به إلى عباده وخشيته سبحانه في كل فعل وقول ولا يخشون سواه ولا يبالون بقول الناس ولا بتغييرهم بل خشيتهم مقصورة على الله[3].

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ الزمر: ٩.

قال الشوكاني: ثم لما ذكر سبحانه صفات المشركين وتمسكهم بغير الله عند اندفاع المكروهات عنهم ذكر صفات المؤمنين فقال: أمن هو قانت آناء الليل وهذا إلى آخره من تمام الكلام المأمور به رسول الله ﷺ.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٣١٠-١٣١١)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٩١-٥٩٢).

(2) رجح هذا القول الزمخشري وابن عاشور والسعدي والشنقيطي.

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٧٤)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٤٢).

والمعنى ذلك الكافر أحسن حالا ومآلا، أمن هو قائم بطاعات الله في السراء والضراء في ساعات الليل، مستمر على ذلك، غير مقتصر على دعاء الله سبحانه عند نزول الضرر به...إلى أن قال: فيجمع بين الرجاء والخوف، وما اجتمعا في قلب رجل إلا فاز[1].

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ الصافات: ١٢.

تقدم كلام الإمامين والمقارنة بينهما في آيات الصفات في معتقدهما وكذلك في مبحث المتشابه.

وأكتفي هنا بذكر مثال لم أذكره فيما تقدم وأشرت أنه سيأتي في آيات العقيدة.

وهو قول الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾.

ذكر ابن جزي والشوكاني لهذه الآية قراءتين، وأن قراءة حمزة والكسائي تثبت صفة العجب لله، قرأ الجمهور "عَجِبْتَ" بفتح التاء، أي عجبت يا محمد، وقرأ حمزة والكسائي خلف البزار "عَجِبْتُ" بضم التاء[2].[3]

فاختلاف القرائتين لها أثر في بيان مسألة من مسائل العقيدة وهي إثبات صفة العجب لله سبحانه يليق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فتكون الآية من آيات الصفات على قراءة حمزة والكسائي، وجاء عن أبي هريرة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : (عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد عجب الله عز وجل – أو ضحك – من فلان وفلانة» فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۝٩﴾

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٩/٤).

(2) السبعة، ابن مجاهد، (ص ٥٤٧)، والنشر، ابن الجزري، (ص٦٢٢)، والحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٥٣/٦)، وحجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٦٠٦).

(3) التسهيل، ابن جزي، (١٢٣٤/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٦٣/٤).

(4) رواه البخاري في صحيحه باب الأسارى في السلاسل(٦٠/٤).

الحشر: ٩ [١]. وقد استدل ابن جزي والشوكاني بقراءة الضم على إثبات صفة العجب وهي صفة فعلية وبحديث عقبة بن عامر: (إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة)[٢].

فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الأسماء والصفات، فتبين بهذا أن الأنواع الثلاثة مرتبطة ومتلازمة يكمل بعضها بعضا ولا ينفع أحدهما بدون الآخر.

فكما لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية فكذلك لا يصح توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية ولا يكمل توحيد الألوهية والربوبية بدون توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير (١٤٨/٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥١/٤)، وأبو يعلى رقم (١٧٤٣)، وابن عدي، في الكامل، (١٤٧/٤)، والحديث في سنده ابن لهيعة وهو ضعيف، وضعفه ابن حجر.

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة.

تعريف الملائكة:

المَلَكُ من الملائكة: أصل الملك مفرد وجمعه الملائكة من الفعل الثلاثي ألك، الهمزة والكاف واللام أصل واحد وهو تحمل الرسالة، وأصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك، وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك، ... ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل مَلكَ فلما جمعوه ردّوها إليه فقالوا ملائكة وملائك[1].

أما التعريف الاصطلاحي:

فالملائكة هي: " أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكُّل بأشكالٍ مختلفة مسكنها السموات خلقت من النور "[2].

يرى الإمامان أن الملائكة عباد الله المكرمون، يعبدونه ويسبحونه ويطيعونه ولا يعصونه، وأن لهم أعمالاً؛ منهم حملة العرش وسكان السموات وحفظة على بني آدم.. ولا يعرف عددهم إلا الله.

قال ابن جزي: ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم، والردّ على من كفر بشيء من ذلك..[3].

الآيات التي تتحدث عن الملائكة

وقد ذكر ابن جزي والشوكاني مايبين حقيقة الملائكة، ويوضح أوصافهم، في آيات كثيرة، وأحاديث متعددة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ فاطر: ١.

---

(1) لسان العرب (١٠/ ٤٩٦)، القاموس المحيط (ص ١٢٣٢)، الصحاح (٤/ ١٦١١)، تفسير الطبري (١/ ٤٤٤ – ٤٤٧).

(2) فتح الباري، ابن حجر، (٦/ ٣٥٣)، منهاج السنة، ابن تيمية(٢/ ٥٣٣).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٧١/١).

ومن السنة: قوله – ﷺ –:(خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)[1].

قال ابن جزي: جاعل الملائكة رسلا أي وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين في أمر الله[2].

وقال الشوكاني: والرسل من الملائكة هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل[3].

ذكر ابن جزي والشوكاني عند قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ سبأ:٢٣، أن الملائكة إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفزعون لذلك فزعاً عظيماً فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق.

فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله: كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم

---

(1) أخرجه مسلم، في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة برقم (٢٩٩٦) من حديث عائشة – رضي الله عنها –.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٠٤/٣).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٢/٤)، اشتهر أن اسم ملك الموت عزرائيل، إلا أنه لم ترد تسمية ملك الموت بهذا الاسم في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الصحيحة، وإنما ورد ذلك في بعض الآثار والتي قد تكون من الإسرائيليات وعلى هذا، لا ينبغي الجزم بالنفي ولا بالإثبات، فلا نثبت أن اسم ملك الموت عزرائيل، ولا ننفي ذلك، بل نفوض الأمر إلى الله تعالى ونسميه بما سماه الله تعالى به "ملك الموت" قال الله تعالى:﴿۞قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ السجدة: ١١، وقال ابن كثير: "وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، والله أعلم"، وقال السندي: "لم يرد في تسميته حديث مرفوع" ، وقال المناوي – بعد أن ذكر أن ملك الموت اشتهر أن اسمه عزرائيل–، قال: "ولم أقف على تسميته بذلك في الخبر".

قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال: الحقّ وهو العليّ الكبير» الحديث[1]، وفي معناه أحاديث[2].

يرسل الله الملائكة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن هؤلاء الملائكة من له جناحان ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة أجنحة، ينزلون بها إلى الأرض ويعرجون بها من الأرض إلى السماء.

ثم ذكر الإمامان الخلاف في المراد "**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ**" على خمسة أقوال:

القول الأول: المراد بزيادة الخلق حسن الصوت، مروي عن الزهري وابن جريج والحسن.

القول الثاني: المراد بزيادة الخلق أي حسن الوجة.

القول الثالث: المراد أي حسن الحظ.

القول الرابع: المراد بزيادة الخلق أي في أجنحة الملائكة.

القول الخامس: أن هذا على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين.

والراجح ما رجحه ابن جزي والشوكاني أن الآية تعود على أجنحة الملائكة والخلق عموماً داخل في ذلك على وجه التضمين، والعموم أولى[3].

فالملائكة خلق من خلق الله تعالى، خلقهم لعبادته، واصطفاهم لقربه، واختصهم بتدبير أمره، وجعلهم سفراءه ورسله إلى خلقه.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ غافر: ٧.

الملائكة يؤمنون بالله وبكل ما له من صفات الجلال والكمال، ويقدسونه عما لا يليق به وامتدح الله إيمان خواص الملائكة أنهم يؤمنون به.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٢٢) ومسلم، برقم (٥٩٥٦).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٩٥/٣-١١٩٦)، فتح القدير، الشوكاني، (٣٨٩/٤).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٠٤/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٣/٤).

قال ابن جزي: ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله فالجواب أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه.. [1]

قال الشوكاني: ثم ذكر أحوال حملة العرش، ومن حوله... والمعنى: أن الملائكة الذين يحملون العرش، وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش ينزهون الله ملتبسين بحمده على نعمه، ويؤمنون بالله، ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به[2].

والإيمان بهم هو الركن الثاني من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، وهو ينتظم أموراً أربعة:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه كجبريل، وميكال، ومالك، فقد أخبر الله عنهم، وسماهم بأسمائهم في كتابه فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ البقرة: ٩٨، وقال: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ الزخرف: ٧٧؛ ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم.

والقرآن مملوء بذكرهم، وأصنافهم، وأعمالهم، ومراتبهم ... بل لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحاً، أو تلويحاً، أو إشارة؛ وأما ذكرهم في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر، ولهذا كان الإيمان بالملائكة – عليهم السلام – أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان[3].

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٣٠٠).

([2]) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٧٣).

([3]) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٥ – ١٣١)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٣٧).

وإجابة النبي – ﷺ – على سؤال جبريل عن الإيمان ببيان أركانه الستة، وإخباره بأن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، دليل واضح على أن وجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يتطرق إليه شك.

ومن هنا كان إنكار وجود الملائكة كفر، لمخالفته نص كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين، فمن كفر بهم أو حاول التشكيك في وجودهم فهو كاذب كافر لا حظ له في الإسلام لتكذيبه لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الواردة في شأن الملائكة وصفاتهم–: "وفي هذا وما ورد من القرآن رد على من أنكر وجود الملائكة من الملاحدة"[1].

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ الصافات: ١٤٩ – ١٥٩.

وبخ الله سبحانه قريش وقبائل من العرب الذين يزعمون أن الملائكة بنات باستفتائهم على طريقة التقريع والتوبيخ، ثم زاد في توبيخهم، وتقريعهم، فقال: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ فأضرب عن الكلام الأوّل إلى ما هو أشدّ منه في التبكيت، والتهكم بهم، أي: كيف جعلوهم إناثاً، وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ الزخرف: ١٩، فبيّن سبحانه: أن مثل ذلك لا يعلم إلا بالمشاهدة، ولم يشهدوا، ولا دلّ دليل على قولهم من السمع، ولا هو مما يدرك بالعقل حتى ينسبوا إدراكه إلى عقولهم[2].

---

(1) فتح الباري (٦/ ٣٠٦).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢٥٠)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٩٢).

أعمال الملائكة:

بالنسبة إلى الأعمال التي كلف الله بها الملائكة وأمرهم بالقيام بها، فهي على قسمين:

أعمال عامة يشتركون جميعاً فيها، وتتمثل في عبادة الله سبحانه، وتسبيحه ليلاً ونهاراً، بلا ملل ولا فتور، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦﴾ الصافات: ١٦٥ – ١٦٦، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ الأنبياء: ٢٠، وقال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۝٣٨﴾ فصلت: ٣٨[1].

ب- أعمال خاصة لبعض الملائكة، أمرهم الله بالقيام بها.

والأعمال الخاصة بالملائكة كثيرة، دلّ القرآن الكريم، والسنة الشريفة المطهرة على بعضٍ منها، وهي ممّا يجب على المؤمن الإيمان بها طبقاً لما بيّنه الله ورسوله؛ والملائكة بالنسبة إلى الأعمال التي يقومون بها أصناف[2]:-

١ – فمنهم حَمَلةُ العرش، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧﴾ غافر: ٧ ، وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۝١٧﴾ الحاقة: ١٧[3].

٢ – ومنهم الموكلون بالجنان وإعداد الكرامة لأهلها.

٣ – ومنهم الموكلون بالنارِ وتعذيبِ أهلها، وهم الزبانية، ومُقَدَّموهم تسعة عشر، وخازنها مالك، وهو مُقَدَّم الخزنة، كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ المدثر: ٣٠،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٣٢٢)، فتح القدير، الشوكاني، (٦١٦/٤).

(2) هذه الأصناف ليس على سبيل الحصر، – الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص ٤٩٠) وما بعدها، إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١٢٥) وما بعدها، شرح الطحاوية (٢/ ٤٠٥) وما بعدها، معارج القبول (١/ ٦٣) وما بعدها.

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٣٠٠)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٧٣/٤).

وقوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ الزخرف: ٧٧، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ غافر: ٤٩، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ التحريم: ٦.

٤ – ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم في الدنيا، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ ﴿١١﴾﴾ الرعد: ١١، أي معه ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى: تخلّوا عنه.

٥ – ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد وكتابتها، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ ق: ١٧ – ١٨، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ الانفطار: ١٠ – ١١، وقال – ﷺ –: (يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار)[1]، فمع الإنسان ملائكة يحفظونه من المؤذيات، وملائكة يحفظون عليه أعماله وما يصدر منه.

٦ – ومن الملائكة من هو موكلٌ بالرحم وشأن النطفة، كما في حديث ابن مسعود – رضي الله عنه –: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملَكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقيٌّ أو سعيد)[2].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، برقم (٥٥٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٦٣٢) عن أبي هريرة – رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم (٣٢٠٨)، ومسلم، في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه ... (٢٦٤٣).

٧ – ومنهم ملائكة موكلون بقبض الأرواح، قال تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ الأنعام: ٦١، وقال تعالى:﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ السجدة: ١١، وملَكُ الموت له أعوانٌ من الملائكة، يستخرجون روحَ العبد من جسمه حتى تبلغ الحلقوم، فيتناولها ملك الموت.

فيدبر الله سبحانه بالملائكة أمر السموات والأرض، فهم الذين يحركون الهواء ويجرون السحاب، وهم المدبرات أمراً، والمقسمات أمراً، التي أقسم الله تعالى بها في كتابه الكريم.

قال ابن القيم – رحمه الله –: " ... فكل حركة في السموات والأرض من حركات الأفلاك، والنجوم، والشمس، والقمر، والرياح، والسحاب، والنبات، والحيوان، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض ... وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكلّ بالجبال ملائكة، ووكلّ بالسحاب والمطر ملائكة، ووكلّ بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ... "[1].

قال الله تعالى:﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الزمر: ٦٨.

ذكر ابن جزي والشوكاني عند تفسيرهما لهذه الآية **هل الملائكة الموكلون بالإنسان يموتون بموته؟**

من عظمة الله تعالى وكمال ربوبيته سبحانه تفرده سدد خطاكم بالبقاء قال سبحانه:﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ القصص: ٨٨، وقال تعالى:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ الرحمن: ٢٦ – ٢٧.

---

(1) إغاثة اللهفان (٢/ ١٥٣ – ١٦١).

قال ابن كثير– رحمه الله –: " يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات إلا ما شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب تعالى لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً"[1].

وقد نقل الإمامان الاختلاف في الملائكة هل يموتون أم هم ممن استثنى الله؟

ذكر الإمامان أن المستثنى جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يميتهم الله بعد ذلك، وقيل: استثناء رضوان وحملة العرش وخزنة الجنة والنار، وقيل:استثناء الأنبياء، وقيل: استثناء الشهداء[2].

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – في شرحه لحديث ابن عباس أن النبي – ﷺ – كان يقول: (أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون)[3]: قوله (والجن والإنس يموتون) استدل به على أن الملائكة لا تموت، ولا حجة فيه ... ولا اعتبار له، وعلى تقديره فيعارضه ما هو أقوى منه، وهو عموم قوله تعالى:﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ القصص: ٨٨، مع أنه لا مانع من دخولهم في مسمى الجن؛ لجامع ما بينهم من الاستتار عن عيون الإنس".

والملائكة من مخلوقات الله، يجوز عليهم الموت والهلاك، شأنهم شأن سائر المخلوقات "ولكن جعل الله لهم أمدا بعيدا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه"[4].

والقول بموت الملائكة هو الذي عليه أكثر الناس.

---

(1) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٧).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢٩٧)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٦٥/٤).

(3) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} برقم (٧٣٨٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم (٢٧١٧).

(4) فتح الباري (١٣/ ٣٧٠).

سُئل شيخ الإسلام – رحمه الله –: هل جميع الخلق حتى الملائكة يموتون، فأجاب: " الذي عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة وحتى عزرائيل ملك الموت ... والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه ... والله سبحانه قادر على أن يميتهم ثم يحييهم كما هو قادر على إماتة البشر والجن ثم إحيائهم وقد قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ الروم: ٢٧، وقد ثبت عن النبي– ﷺ – من غير وجه وعن غير واحد من الصحابة أنه قال: (إن الله إذا تكلم بالوحي أخذ الملائكة مثل الغشي)، وفى رواية: (إذا سمعت الملائكة كلامه صعقوا)[1]، وفى رواية: (سمعت الملائكة كجر السلسلة على الصفوان فيصعقون فإذا فزع عن قلوبهم – أي أزيل الفزع عن قلوبهم– قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق فينادون الحق الحق)[2]، فقد أخبر في هذه الأحاديث الصحيحة أنهم يصعقون صعق الغشي فإذا جاز عليهم صعق الغشي جاز صعق الموت...

وصعق الغشي هو مثل صعق موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴿١٤٣﴾﴾ الأعراف: ١٤٣، والقرآن قد أخبر

---

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة في باب ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك برقم (٥١٥)، وابن خزيمة في التوحيد في باب صفة تكلم الله بالوحي ... وصعق أهل السماوات ... برقم (٢٠٦)، إسناده ضعيف لأن في الإسناد الوليد بن مسلم القرشي مدلس ولم يصرح بالسماع من شيخه وفي الإسناد كذلك نعيم بن حماد الخزاعي وهو صدوق يخطئ كثيرا.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في القرآن برقم (٤٧٣٨)، ابن حبان في صحيحه في كتاب الوحي برقم (٣٧)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٠٧)، في هذا الخبر أبي معاوية، إسناده ضعيف، وللحديث شواهد صحيحة فقد أخرج البخاري في كتاب تفسير سورة سبأ، باب: (حتى إذا فزع عن قلوبهم) برقم (٤٨٠٠) شاهداً للحديث السابق.

بثلاث نفخات نفخة الفزع ذكرها في سورة النمل في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ النمل: ٨٧.

ونفخة الصعق والقيام ذكرهما في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الزمر: ٦٨، وأما الاستثناء فهو متناول لمن دخل في الجنة من الحور العين فإن الجنة ليس فيها موت ومتناول لغيرهم ولا يمكن الجزم بكل من استثناه الله فإن الله أطلق في كتابه[١]، وقد ثبت في الصحيح أن النبي – ﷺ – قال: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى آخذا بساق العرش فلا أدرى هل أفاق قبلي أم كان ممن استثناه الله)[٢]، وهذه الصعقة قد قيل إنها رابعة وقيل إنها من المذكورات في القرآن.

وبكل حال النبي – ﷺ – قد توقف في موسى وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه أم لا فإذا كان النبي لم يخبر بكل من استثنى الله لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال مما لم يخبر به وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر؛ والله أعلم"[٣].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢٩٧)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٦٥/٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، برقم (٢٤١١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، برقم (٢٣٧٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٩ – ٢٦٠ – ٢٦١)، وينظر: البعث والنشور للبيهقي (ص ٣٢٥) وما بعدها، العظمة لأبي الشيخ الأصفهاني (٣/ ٨٢٢)، البداية والنهاية (١٩/ ٣١١)، فتح الباري (١١/ ٣٦٨)، الدر المنثور (٥/ ٣٣٩).

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب.

تعريف الكتب:

الكتب في اللغة: جمع كتاب، بمعنى مكتوب.

يقول ابن فارس: " الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتباً"[1].

وهي الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله، رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة.

يرى الإمامان الإيمان بالكتب وإثبات الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء، وأن الله أنزل القرآن بواسطة جبريل على نبينا محمد ﷺ ، كما أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، وأنزل صحفا على غيرهم من الأنبياء.

الآيات التي تتحدث عن الإيمان بالكتب السماوية

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١﴾ سبأ: ٣١.

يرى ابن جزي والشوكاني أن المراد بقوله: "وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ" يعني الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل، وإنما قال الكفار هذه المقالة، حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة، من ذكر محمد ﷺ[2].

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤﴾ سبأ: ٤٤.

---

(1) معجم مقاييس اللغة (/)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٠٩٧)، والصحاح (١/ ٢٠٨ – ٢٠٩)، لسان العرب (١/ ٦٩٨ – ٧٠٢)، القاموس المحيط (ص ١٦٥).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢٩٧)، فتح القدير، الشوكاني، (٣٩١/٤).

الشوكاني: فمعناه: كذبوا الكتب المنزلة، والرسل المرسلة، والمعجزات الواضحة، وتكذيب الرسل أخص منه[1].

قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ فاطر: ٢٥.

قال الشوكاني: أي: كذب من قبلهم من الأمم الماضية أنبياءهم { جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بالبينات } أي: بالمعجزات الواضحة، والدلالات الظاهرة { وبالزبر } أي: الكتب المكتوبة كصحف إبراهيم { وبالكتاب المنير } كالتوراة، والإنجيل، قيل: الكتاب المنير داخل تحت الزبر، وتحت البينات، والعطف لتغاير المفهومات، وإن كانت متحدة في الصدق، والأولى تخصيص البينات بالمعجزات، والزبر بالكتب التي فيها مواعظ، والكتاب بما فيه شرائع، وأحكام[2].

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ يس: ١٥.

قال الشوكاني: قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا، أي: مشاركون لنا في البشرية، فليس لكم مزية علينا تختصون بها. ثم صرحوا بجحود إنزال الكتب السماوية فقالوا: وما أنزل الرحمن من شيء مما تدعونه أنتم ويدعيه غيركم ممن قبلكم من الرسل وأتباعهم إن أنتم إلا تكذبون أي: ما أنتم إلا تكذبون في دعوى ما تدعون من ذلك، فأجابوهم بإثبات رسالتهم بكلام مؤكد[3].

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾﴾ غافر: ٥٣ – ٥٤.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٣٩٨/٤).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤١٣/٤).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤٣٤/٤).

قال الشوكاني: إن الله سبحانه لما أنزل التوراة على موسى بقيت بعده فيهم، وتوارثوها خلفاً عن سلف، وقيل: المراد بالكتاب: سائر الكتب المنزلة على أنبياء بني إسرائيل بعد موت موسى[1].

قال الله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢﴾ الزمر: ١ – ٢.

قال ابن جزي: والكتاب هنا القرآن أو السورة واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة وأما الكتاب الثاني فهو القرآن باتفاق[2].

والإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، **والكتب المنزلة من عند الله تعالى قسمان:**

الأول: ما لم يرد تسميته في القرآن والسنة، وهي أكثرها، فهذه يجب الإيمان بها إجمالاً.

الثاني: ما ورد تسميته في القرآن والسنة، وهي:

١ – التوراة: المنزل على موسى – عليه الصلاة والسلام –.

٢ – الإنجيل: المنزل على عيسى – عليه الصلاة والسلام –.

٣ – الزبور: المنزل على داود – عليه الصلاة والسلام –.

٤ – صحف إبراهيم – عليه الصلاة والسلام –.

٥ – صحف موسى – عليه الصلاة والسلام –.

٦ – القرآن العظيم المنزل على نبينا محمد – ﷺ –، وهو آخرها.

فهذه يجب الإيمان بها على التعيين، ويزيد القرآن عليها –خاصة– بعد نزوله ونسخه لها بوجوب تصديقه والعمل بما فيه[1].

([1]) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٩٠).

([2]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢٧٩).

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (١/ ٢٩٣)، والمنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣١٧ – ٣٢٣)، وشعب الإيمان (١/ ٤٤٧)، شرح الطحاوية (٢/ ٤٢٤ – ٤٢٥)، وفتح الباري (١٢/ ١٧٢)، ومعارج القبول (٢/ ٦٧٥)، وأضواء البيان (١/ ١٤٨ – ١٤٩).

المطلب الرابع: الإيمان بالرسل.

الرسول لغة: مأخوذ من الإرسال بمعنى البعث والتوجيه، يقال، أرسلت فلاناً في رسالة: أي بعثته، فهو مرسل ورسول؛ ويجمع الرسول على أرْسُل، ورُسُل ورُسْل، ورُسَلاَءَ، وسُمُّوا الرُّسُل بذلك لأنهم مبعوثون وموجهون من قبل الله –عز وجل–، لتبليغ الخلق أمر الله ووحْيه[1].

والنبي لغة: مأخوذ من النبأ بمعنى الخبر، أو (النَّبَاوَة) أو (النَّبْوَة) بمعنى العلو والرفعة[2].

والربط بين النبي والمعنى اللغوي واضح ذلك أن النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء كما هو معلوم أشرف خلق الله وهم الأعلام التي يهتدي بها العباد فيما يكون فيه صلاح دينهم ودنياهم[3].

يرى الإمامان أن من أركان الإيمان الإيمان بالرسل، أنهم مبعوثون للدعوة إلى عبادة الله وحده، وأنهم مرسلون صادقون، بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، فلا يعتبر الإنسان مسلماً ولا مؤمناً حتى يؤمن بهم جميعاً لا يفرق بين أحد منهم، وأن الله أرسلهم مبشرين ومنذرين ويبيون للناس الحق.

قال ابن جزي: وأما النبوّة: فإثبات نبوّة الأنبياء عليهم السلام على العموم، ونبوة محمد صلّى الله عليه واله وسلّم على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم،... والردّ على من كفر بشيء من ذلك، وينخرط في سلك هذا ما ورد في القرآن من تأنيس

---

(1) تهذيب اللغة (٢/ ١٤٠٧)، معجم مقاييس اللغة (ص ٤٠٢)، الصحاح (٤/ ١٧٠٨)، لسان العرب (١١/ ٢٨٣)، القاموس المحيط (ص ١٣٠٠).

(2) تهذيب اللغة (٤/ ٣٤٨٩)، معجم مقاييس اللغة (ص ١٠٠٩)، الصحاح (١/ ٧٤)، لسان العرب (١/ ١٦٢)، القاموس المحيط (ص ١٧٢٢).

(3) المصباح المنير، الفيومي (٢/ ٥٩١).

النبي صلّى الله عليه وسلّم وكرامته والثناء عليه، وسائر الأنبياء صلّى الله عليه وعليهم أجمعين[1].

الآيات التي تتحدث عن الإيمان بالرسل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١﴾ غافر: ٥١.

ذكر ابن جزي عند تفسيره لهذه الآية مسألة الفرق بين النبي والرسول، فقال ابن جزي: قال: قيل: إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار، وليس بعام لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى، والصحيح أنه عام، والجواب عما ذكروه أن زكريا ويحيى لم يكونا من الرسل، إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين، وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة، لا نصر الأنبياء كلهم[2].

اختلف العلماء في تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما على قولين كما بينها ابن جزي – رحمه الله –:

أحدهما: أنهما بمعنى واحد، ولا فرق بينهما[3].

ثانيهما: أنهما متغايران[4].

والقول بالمغايرة بينهما، وثبوت الفرق فيهما هو قول الجمهور، وإن اختلفوا في تحديد وجهه.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/٧١).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٣٠٩).

(3) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (ص ٥٦٧)، أعلام النبوة للماوردي (ص ٧٠)، غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص ٣١٧)، المواقف في علم الكلام لعبدالرحمن الإيجي (ص ٣٣٧).

(4) أعلام الحديث، للخطابي (١/ ٢٩٨)، والمنهاج للحليمي (١/ ٢٣٩)، والدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم (ص ٣٨٠)، والفصل له (٥/ ١١٩ – ١٢٠)، والنبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٤)، شرح الطحاوية (١/ ١٥٥)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩)، أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).

وعليه فالنبي والرسول بينهما عموم وخصوص مطلق، وكذا النبوة والرسالة، فالرسالة أعم من جهة نفسها؛ إذ النبوة داخلة في الرسالة، كما أنها أخص من جهة أهلها؛ إذ كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، والرسالة أفضل من النبوة، والرسول أفضل من النبي [1].

وقال ابن جزي عند قول الله تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ فاطر: ٢٣.

معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة فإن قيل كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة ألا ترى أن بين عيسى ومحمدا ﷺ ستمائة سنة لم يبعث فيها نبي فالجواب أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة فإن قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم وأيضا فإن المراد بقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أن نبوة محمد ﷺ ليست ببدع فلا ينبغي أن تنكر لأن الله أرسله كما أرسل من قبله والمراد بقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما[2].

الإيمان بالأنبياء والرسل عموماً:

يجب الإيمان برسالة كل من ثبتت رسالته بالقرآن أو السنة الصحيحة فمن آمن ببعضهم وكفر ببعض فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾﴾ البقرة: ٢٨٥، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ

---

(1) الإيمان لابن تيمية (ص ٦ – ٧)، شرح الطحاوية (١/ ١٥٥)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩ – ٥٠).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢١٠-١٢١١).

بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ النساء: ١٥٠ – ١٥٢.

الإيمان بأنبياء الله ورسله ركنٌ من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، وهذا الركن لا بد له من أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، ومن لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً فإن لله رسلاً وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا هو سبحانه.

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد – ﷺ – المرسل إلى جميع الناس[1].

قال ابن كثير – رحمه الله –: " ... والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية"[2].

فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعضهم أو كلهم لا غبار على وضوح كفره لأن كفره بالرسل كفر بالله تعالى.

---

(1) تعظيم قدر الصلاة لمحمد المروزي (١/ ٣٩٣)، المنهاج للحليمي (١/ ٢٣٧ – ٢٣٨)، شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٣٧١)، جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٢)، فتح الباري (١/ ١١٨)، معارج القبول (٢/ ٦٧٧)، مباحث العقيدة في سورة الزمر لناصر الشيخ (ص ٤٧١).

(2) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥).

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ الأحزاب: ٤٠.

خصائص النبي ﷺ هي ما اختص به ﷺ عن سائر الناس من الأنبياء وغيرهم.

وما اختص به عن غيره من الأنبياء[١]، أو هي الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي ﷺ وامتاز بها إما عن إخوانه الأنبياء، وأما عن سائر البشر[٢].

أما عدد الخصائص فكثيرة، ومما اختص به في ذاته في الدنيا، كونه خاتم النبيين وأفضلهم، والإسراء والمعراج.

قال ابن جزي: وقرئ بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم، فإن قيل: إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام، فالجواب أن النبوّة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة والسلام، وأيضا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام، فكأنه واحد من أمته[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي..الحديث[٤]، وحديث: أنا العاقب الذي ليس بعده نبي[٥].

---

(١) السيرة الحلبية من سيرة الأمين، علي بن برهان الحلبي، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، (٣/٣٧٢).

(٢) خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، الصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، (ص ٢٤).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١١٧٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر في بني إسرائيل، برقم (٣٤٥٥)(٤/١٦٩).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب علمه ﷺ بالله، (٢٣٥٤).

ومما لا شك فيه أن كل أمة بحاجة لرسول أو نبي ليبين لها الحق من الباطل، فأرسل الله أنبيائه لهداية الناس، واستمر بعث الأنبياء والرسل حتى شاء الله أن تكون نبوة محمد ﷺ خاتمة للنبوات، وذلك لأنه بعثه إلى الناس كافة إلى أن تقوم الساعة، **قال الله تعالى:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ سبأ: ٢٨، وقال عليه الصلاة والسلام: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي المغانم، وبعثت إلى الناس كافة[1].

اختصه الله بالنداء له بأعز أوصافه، وهو الشاهد على أمته، والمنذر لهم، والمبشر للمؤمنين بالجنة، الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧﴾ الأحزاب: ٤٥ – ٤٧، **وقال تعالى:** ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ فاطر: ٢٣ – ٢٤.[2].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ الأحزاب: ٥٧.

في هذه الآية اقتران أذية الله بأذية الرسول ﷺ.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ الأحزاب: ٦٩.

جاءت هذه الآيات خطاباً لمؤمني هذه الأمة في هذه الآية وجوب توقير الأنبياء والرسل، وفيه تأديب للمؤمنين وزجر لهم عن أن يدخلوا في شيء من الأمور التي تؤذي رسول الله، قال مقاتل: وعظ الله المؤمنين: أن لا يؤذوا محمداً ﷺ كما آذى بنو

([1]) أخرجه البخاري برقم (٣٢٨) ومسلم (١١٩١).

([2]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١١٧٤)، فتح القدير، الشوكاني، (٣٩١/٤).

إسرائيل موسى، وقد وقع الخلاف فيما أوذي به نبينا محمد ﷺ حتى نزلت هذه الآية ، فحكى النقاش: أن أذيتهم محمداً قولهم: زيد بن محمد، وقال أبو وائل: إنه ﷺ قسم قسماً، فقال رجل من الأنصار: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، وقيل: نزلت في قصة زيد بن حارثة، وزينب بنت جحش وما سمع فيها من قالة الناس.. [1].

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ غافر: ٧٨.

لا يعلم عدد الأنبياء والرسل إلا الله؛ والمعروف منهم من ذكروا في القرآن أو صحت بخبره السنة.

فيجب الإيمان بما سمى الله تعالى في كتابه منهم، والإيمان بأن لله تعالى سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا هو سبحانه.

وقد أورد ابن جزي في تفسيره حديث أبي ذر في تحديد عدد الأنبياء والرسل والأحاديث مختلف في ثبوتها، منها ما ذكر في سؤال أبي ذر للنبي – ﷺ –، عن عدد الأنبياء، فقال: (مائة ألف وعشرون ألف)، وفي رواية: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وفي رواية: ثلاثمائة وخمسة عشر)[2]. [3]

قال ابن كثير بعد ذكره الحديث: جعله ابن الجوزي في الموضوعات، فالأحاديث لا تصح فلذا لا يعلم عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلا الله[4].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١١٨٤)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٦٨/٤).

(2) تقدم تخريجه عند ذكر مصادر ابن جزي، والحديث قد أخرجه ابن حبان في الإحسان (٢/ ٧٦ – ٧٩)، برقم (٣٦١)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٤٤)، وابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٣)،وهذا الحديث معلول كما ذكر العلماء، وقال الذهبي: متروك.

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٣١٣).

(4) ابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٣).

المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر

قال ابن جزي: وأما المعاد فإثبات الحشر، وإقامة البراهين، والردّ على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار، والحساب والميزان، وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال، ونحو ذلك[1].

يرى الإمامان أن من الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالبرزخ وعذاب القبر، والإيمان بالحشر إلى الحساب والثواب والعقاب، والجزاء للكفار وتخليدهم في نار جهنم، وجزاء عصاة المسلمين أنهم لا يخلدون في جهنم، والإيمان بالشفاعة ومعنى الشفاعة وشروطها.

والإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، وهو يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بما يكون قبله مما هو مقدمة له كالموت، وعذاب القبر، وأشراط الساعة.

والثاني: الإيمان بالبعث.

والثالث: الإيمان بالحساب والجزاء، وأحوال اليوم الآخر.

والرابع: الإيمان بالجنة والنار[2].

والأمور الغيبية لا مجال للاجتهاد فيها، إلا ما ثبت عن المعصوم.

ومعنى الإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بكل ما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه وأخبر به رسوله – ﷺ – مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وأحوال يوم القيامة وما فيها من البعث والحشر والصحف والميزان والحساب والحوض والصراط

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (1/ 71).

(2) تعظيم قدر الصلاة (1/ 393)، المنهاج في شعب الإيمان (1/ 336)، شعب الإيمان (2/ 5)، مجموع الفتاوى (2/ 703).

والجنة والنار، وغيرها من الأمور الثابتة في الكتاب أو السنة وسمي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا[1].

الآيات التي تتحدث عن الإيمان بيوم الآخر

قال الله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ سبأ: ٨ – ٩.

ذكر ابن جزي والشوكاني أن الآية رداً على منكرين للبعث وأنهم لا يؤمنون بالآخرة فصاروا بذلك في العذاب الدائم، ثم وبخهم سبحانه بما اجترءوا عليه من التكذيب بسبب التفكر والتدبر في خلق السوات والأرض، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم، لأنهما محيطتان بهم، والمعنى ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلمون أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم، ثم فسره بقوله: إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء: أي أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم، فيعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً الإشارة إلى إحاطة السماء بهم، أو إلى عظمة السماء والأرض بأن فيهما آية تدل على البعث[2].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ فاطر: ٥.

قال الشوكاني: أي وعده بالبعث، والنشور، والحساب، والعقاب، والجنة، والنار.. [3].

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ فاطر: ٢٢.

---

(1) العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص ١٤٢)، الفتاوى السعدية، عبد الرحمن السعدي (ص ١٦).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١١٩٠)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٧٤/٤).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٤/٤).

قال ابن جزي: وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم، وقيل: المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون، فليس عليك أن تسمعهم، وإنما بعثت للأحياء[1].

قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يس: ٣٣.

قال الشوكاني: فنبههم الله بهذا على إحياء الموتى، وذكرهم نعمه، وكمال قدرته، فإنه سبحانه أحيا الأرض بالنبات.. [2].

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يس: ٧٧ – ٨٣.

هذه الآيات إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة، ورد على من أنكر البعث وللتعجب من جهله، والنطفة هي نطفة المني التي خلق الإنسان منها، ولا شك أن الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث، ... وَنَسِيَ خَلْقَهُ أي نسي الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه، ... قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ استدلال بالخلقة الأولى على البعث وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ أي يعلم كيف يخلق كل شيء، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها...أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ هذا دليل آخر على البعث، بأن الإله الذي قدر على خلق السموات والأرض على عظمهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها، والضمير في مثلهم يعود على الناس وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ذكر في هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث، ... فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢١٠).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٣٩).

مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ في هذا استدلال على البعث، وتنزيه لله عما نسبه الكفار إليه من العجز عن البعث، فإنهم ما قدروا الله حق قدره، وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى[1].

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾﴾ الصافات: ١١.

مقصد الآية: إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة كأنه يقول: هذه المخلوقات أشد خلقا منكم، فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم[2].

قال تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ الصافات: ١٦.

معناها استبعادهم البعث وهذا الإنكار منهم هو السبب الذي لأجله كذبوا الرسل وما نزل عليهم واستهزءوا بما جاءوا به من المعجزات... قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ داخِرُونَ أي قل: تبعثون صاغرون ذليلون، ويقع بعثهم بزَجْرَة واحِدَة هي النفخة في الصور للقيام من القبور[3].

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ غافر: ١١.

هذه الآية كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ البقرة: ٢٨، فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدما، أو كونهم في الأصلاب، أو في الأرحام، والموتة الثانية الموت المعروف، والحياة الأولى حياة الدنيا، والحياة الثانية حياة البعث

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢٢٩-١٢٣١)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٥٦-٤٥٨).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢٣٤)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٦٢).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٢٣٤)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٦٤).

في القيامة... فكانوا كافرين بالبعث، فلمّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكرر عليهم، علموا أن الله قادر على البعث فاعترفوا بذنوبهم، وهي إنكار البعث[1].

قال سبحانه: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ غافر: ٥٧.

المراد الاستدلال على البعث، لأن الإله الذي خلق السموات الأرض على كبرها، قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها[2].

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ فصلت: ٣٩.

الاحتجاج على صحة البعث، أي أنه يقدر على الإحياء والإماتة[3].

قال الله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ غافر: ٤٥ – ٤٦.

يرى ابن جزي والشوكاني أن عرضهم عليها في البرزخ من حين موتهم إلى يوم القيامة وذلك في مدة البرزخ بدليل قوله ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واستدل أهل السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر[4].

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي – ﷺ –: (كان يستعيذ في صلاته من عذاب القبر ويأمر أصحابه بذلك)[5]، واستعاذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات في

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٣٠٢)، وفتح القدير، الشوكاني، (٥٧٧/٤).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٣١٠)، وفتح القدير، الشوكاني، (٥٩١/٤).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٣٢٢)، وفتح القدير، الشوكاني، (٦١٦/٤).

(4) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١٣٠٨)، وفتح القدير، الشوكاني، (٥٨٨/٤).

(5) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب ما يتعوذ من الجن برقم (٢٨٢٢)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة برقم (٥٨٨).

بقيع الغرقد حينما كان يلحد لميت من أصحابه[1]، ولو لم يكن عذاب القبر ثابتاً لم يستعذ بالله ولا أمر أصحابه به".

فعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله – ﷺ –، فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال: (أعوذ بالله من عذاب القبر) ثلاث مرات، ثم قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ... الحديث) وسيجيء ذلك في حديث البراء بن عازب – رضي الله عنه –، ومن أدلة عذاب القبر أيضاً ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس م أن النبي – ﷺ – مر بقبرين فقال: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة) فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وغرز على كل قبر واحدة وقال: (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)[2].

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله – ﷺ – في ثبوت سؤال الميت في قبره وثبوت نعيمه فيه أو عذابه حسب عقيدته وعمله بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك، ولم يعرف عن الصحابة ن في ثبوت ذلك خلاف؛ ولذا قال بثبوته أهل السنة والجماعة، ومما ورد في ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والحاكم في صحيحه عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله – ﷺ –، فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال: (أعوذ بالله

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٨١٤٠)، وعبد الرزاق في مصنفه برقم (٦٧٣٧)، والآجري في "الشريعة" (ص ٣٦٧ – ٣٧٠)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر برقم (٢٠، ١، ٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الحاكم (١/ ٣٧ – ٤٠)، وقال الشيخ الألباني في أحكام الجنائز وبدعها (ص ١٩٨): القسم الأول منه إلى قوله: وكأن على رؤوسنا الطير صحيح على شرط الشيخين.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب الجريد على القبر وباب عذاب القبر من الغيبة والنميمة برقم (١٣٦١، ١٣٧٨)، ومسلم في كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه برقم (٢٩٢).

من عذاب القبر) ثلاث مرات، ثم قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ... الحديث)[1].

وقد ثبت عذاب القبر ونعيمه بالكتاب والسنة والإجماع وقد تقدم جزءاً منها، والأحاديث تواترت عن النبي – ﷺ – في هذه الفتنة من حديث البراء ابن عازب، وأنس بن مالك، وأبي هريرة وغيرهم – رضي الله عنهم –[2].

وأجمعت الأمة على وقوعها، والتعوذ بالله – عز وجل – منها[3].

وهي عامة لكل ميت مقبور وغير مقبور، وإضافتها للقبر للغالب[4].

فهذه الآيات، ذكرت لتنزيه الله تعالى وتقديسه عما ظنه به منكرو البعث، وسيقت لإثبات قدرته على المعاد.

والإيمان بالبعث أمر معلوم من الدين بالضرورة، ومنكره خارج عن الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ سبأ: ٢٣.

الشفاعة لغة: الشفع خلاف الوتر، وهي الوسيلة والطلب.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٨١٤٠)، وعبد الرزاق في مصنفه برقم (٦٧٣٧)، والآجري في "الشريعة" (ص ٣٦٧ – ٣٧٠)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر برقم (٢٠، ١، ٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الحاكم (١/ ٣٧ – ٤٠)، وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٩٦).

(2) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٧)و(٤/ ٢٨٥)، والروح لابن القيم (١/ ٣٨٤)، وشرح الطحاوية (٢/ ٥٧٨)، ونظم المتناثر للكتاني (ص ١٢٥).

(3) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (ص ٢٧٩).

(4) الروح، ابن القيم، (١/ ٢٩٩)، وشرح الطحاوية (٢/ ٥٧٩)، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للسيوطي (ص ١٤٣)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٩)، جمع الشتيت في شرح أبيات التثبيت للصنعاني (ص ٨٢).

قال ابن فارس: (الشين والفاء والعين، أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، والشفع خلاف الوتر .. وشَفَعَ فلانٌ لفلانٍ إذا جاء ثانِيه ملتمساً مطلبه ومُعِيناً له)[1].

والشفاعة في الاصطلاح: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[2].

وذكر ابن جزي والشوكاني معنى الشفاعة وشروطها، وهل الإذن للشافع أم للمشفوع له؟

القول الأول: أن الإذن من الله للشافع فلا يشفع أحد إلا بإذنه لا نبي مرسل ولا ملك مقرب.

القول الثاني: أن الشفعاء لا يشفعون إلا لمن أذن الله فيه.

وأن الشفاعة يوم القيامة لها شرطان:

١-إذن الله تعالى للشافع أن يشفع.

٢-رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه.

وعليه فإن الآية محمولة على كلا القولين فهي محتملة لهما جميعاً.

فإن الشافع يوم القيامة لا يشفع إلا إذا أذن الله تعالى له حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشفع حتى يقول له ربه:(يامحمد ارفع رأسك واشفع تشفع)[3]، ولا تكون الشفاعة من الشافعين إلا لمن رضي الله بالشفاعة له؛ ويدل على ذلك القراءات، فقد قرأ أبو عمرو والكسائي وحمزة: "إلا لمن أُذِنَ له" بضم الألف وكسر الذال، وقرأ الباقون بفتح الألف، فقراءة الضم تدل على القول الثاني، وقراءة الفتح تدل على القول الأول[4].

---

(1) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٠١).

(2) النهاية، ابن الأثير، (٢/ ٣٩٩)، لوائح الأنوار (٢/ ٢٤٦).

(3) أخرجه البخاري في كتاب باب برقم (٤٧١٢)، ومسلم في كتاب برقم ( ).

(4) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/ ١١٩٥-١١٩٦)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٨٧-٣٨٨).

وشفاعة النبي – ﷺ – وشفاعة الصالحين يوم القيامة ثابتة في القرآن، وقد وردت فيها أحاديث صحيحة تفسر ما جاء في القرآن، ومنها قوله – ﷺ –: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) [1]، والشفاعة أنواع.

والشفاعة المثبتة: هي الشفاعة التي استجمعت شروطها، وانتفت موانعها، كما تقدم من كلام ابن جزي والشوكاني.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: " الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله ... وهو لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول، فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها"[2].

والشفاعة قسمان:

أحدها: الشفاعة العامة الثابتة للنبي – ﷺ – ولغيره كالملائكة والنبيين والمؤمنين.

ثانيهما: الشفاعة الخاصة بالنبي – ﷺ –، والتي لا يشاركه فيها أحد.

والشفاعة بقسميها أنواع، اختلف أهل العلم في عدها تبعاً لاختلافهم في أدلتها من حيث الصحة والدلالة.

وأدلة هذه الأنواع، والكلام في ثبوتها ودلالتها مبسوط في مواضعه من كتب أهل العلم[3].

---

(1) أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٠) برقم (١٢٨١٠)، وأبو داود في كتاب السنة باب في الشفاعة برقم (٤٧٣٩)، والترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب ما جاء في الشفاعة برقم (٢٤٣٥، ٢٤٣٦)، وابن حبان في الصحيح برقم (٢٥٩٦، موارد)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة برقم (٨٣٠).

(2) مدارج السالكين (١/ ٣٤١).

(3) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٨٨)، الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٥٩ – ٥٦٤)، الدرة فيما يجب اعتقاده (ص٢٩٤ – ٢٩٧)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٨٩)، التذكرة (٢/ ٥٦ – ٧٨)، شرح صحيح مسلم (٣/ ٣٥ – ٣٦)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٧)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٨٢)، فتح الباري (١١/ ٤٢٦ – ٤٢٨)، الشفاعة للدكتور ناصر الجديع (ص ٣٨) وما بعدها.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ فاطر: ٣٢.

إن من الإيمان باليوم الآخر: الاعتقاد الجازم والتصديق التام بالجنة والنار، فأهل السنة والجماعة يعتقدون:

أ- أن الجنة والنار موجودتان معدّتان لأهلهما ولا تفنيان، فالجنة دار كرامة الله أعدها لأوليائه المقربين والأبرار، والنار دار عذابه أعدّها دار هوان لأعدائه المشركين والمنافقين والكفار.

ب- أن أهلهما لا يموتون كما جاء النص فيه، يقال لأهل كل منهما: خلود ولا موت، وكما قال سبحانه عن أهل كل منهما: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ البقرة: ٣٩.

ج- أن أهل الجنة في نعيم أبدي متجدد، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ البقرة: ٢٥.

وقال تعالى في نعيمهم: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ هود: ١٠٨، وأهل النار في عذاب أبدي سرمدي دائم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ النساء: ٥٦، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ الجن: ٢٣.

ذكر ابن جزي والشوكاني الخلاف في معنى: ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ الآية:...الظالم لنفسه أصحاب الكبائر من أهل التوحيد، والمقتصد الذي لم يصب كبيرة، والسابق الذي سبق إلى الأعمال الصالحة ، وقيل: أن الظالم صاحب الكبائر، والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيآته وجميعهم يدخلون الجنة[1].

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢١٢/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤١٦/٤-٤١٧).

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ الصافات: ٤١ -٦١.

الجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته في الدنيا الذين قال لهم آمنوا بي واكفروا بالطاغوت، فأطاعوه وكفروا بالطاغوت وعملوا اعمالاً صالحة.

وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، وما حدثنا الله به عنها، وما أخبرنا به الرسول ﷺ يحير العقل ويذهله، لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه.

وتأمل في قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال الرسول ﷺ اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ السجدة: ١٧[1].

وتظهر عظمة النعيم بمقارنته بمتاع الدنيا، فإن متاع الدنيا بجانب نعيم الآخرة تافه حقير، لا يساوي شيئاً، عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: " موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها"[2].

---

(1) البخاري في " صحيحه " كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٢٤٤) (٥٣٤/٧)، وكتاب التفسير، باب فلاتعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين، رقم (٤٧٧٩) و(٤٧٨٠) (٤٦٥/١٠) ، ومسلم في " صحيحه " كتاب الجنة ونعيمها، باب صفة الجنة، رقم (٧٠٦٣) و(٧٠٦٤) و(٧٠٦٥) و(٧٠٦٦)(١٦٤_١٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب مثل الدنيا في الآخرة ، رقم (٦٤١٥) (٤٩٤/١٤).

وعن المستورد بن شداد أن رسول الله ﷺ قال: " ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع"[1].

ولذا كان دخول الجنة والنجاة من النار في حكم الله وتقديره هو الفلاح العظيم، والفوز الكبير، والنجاة العظمى قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ آل عمران:١٨٥.

وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ التوبة: ٧٢.

قال الله سبحانه: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ الصافات: ٦٢ – ٦٨.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ فاطر: ٣٦.

لما فرغ سبحانه من ذكر جزاء عباده الصالحين، ذكر جزاء عباده الطالحين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴿٣٦﴾﴾ أي: لا يقضي عليهم بالموت، فيموتوا، ويستريحوا من العذاب﴿ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ بل ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ ﴿٥٦﴾﴾ النساء: ٥٦، وهذه الآية هي مثل قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ الأعلى: ١٣[2].

قال سبحانه: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ الزمر: ١٥.

---

(1) مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة ونعيمها ، باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة ، رقم (٧١٢٦) (١٨٩/١٧).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤٢٢/٤).

قال الشوكاني: إن الكاملين في الخسران هم هؤلاء، لأن من دخل النار، فقد خسر نفسه، وأهله.. وهذا يعني به الكفار، فإنهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار، وخسروا أهليهم، لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة[1].

إن الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام وسمعوا بالنبي ﷺ، ولم يؤمنوا به فهؤلاء مخلدون في النار في الآخرة إن ماتوا على كفرهم، فقد عاشوا حياتهم الدنيوية في كفر بالله تعالى فاستحقوا أن يعيشوا الحياة الأخروية كلها في عذاب الله، وهذا من تمام عدل الله تعالى، حيث لم يسو بين المسلم المقر بالتوحيد والنبوات الذي تقع منه المعاصي وبين الكافر المنكر لاستحقاق ربه الخالق العبودية والمنكر لرسالات رسله، وقد أشار بعض العلماء إلى الجواب عن نصوص الشبهة التي طرأت للبعض عن الخلود؛ وحاصل الجواب أن الكفار لو عمروا ما عمروا فإنهم سيعيشون على الكفر ، بل لو ردوا إلى الحياة رجعوا إلى ما كانوا عليه كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله:

﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الأنعام: ٢٨، ولذلك استحقوا ذلك الجزاء على وجه التأبيد، والأدلة على تأبيدهم في النار كثيرة، من ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ البينة: ٦، وقوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ المائدة: ٧٢.

وحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:(والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)[2].

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٥٤٢/٤).

(2) مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة، رقم (٣٨٣) (٣٦٤/٢).

وقوله ﷺ في حديث طويل: (إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر، أو غبرات أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: من تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا ياربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول) [1].

قال الله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ الأحزاب: ٧٣.

الكبيرة في اللغة: ضد الصغيرة.

يقول ابن فارس: " الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصِّغَر"[2].

وهي مشتقة من الكُبْرِ وهو لا يخرج عن معنيين:

أحدهما: العظمة.

وثانيهما: الإثم الكبير[3].

وأما في الاصطلاح:

---

(1) البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب: إن الله لا يظلم مثقال ذرة، رقم (٤٥٨١) (١٠/٤٧_٤٨)، ومسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة،رقم (٤٥٣) (٣/٢٩_٣١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/ ١٥٣).

(3) تهذيب اللغة (٤/ ٣٠٩٠)، الصحاح (٢/ ٨٠١)، لسان العرب (٥/ ١٢٥)، القاموس المحيط (ص ٦٠١).

فقد اختلف أهل العلم في تعريفها اختلافاً كثيراً، وتعددت أقوالهم فيها، حتى زادت على العشرين[1].

يقول ابن القيم – رحمه الله –: "وأما الكبائر فقد اختلف السلف فيها اختلافاً لا يرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقاربة"[2].

وجملة هذه الأقوال ترجع إلى أحد أمرين:

أحدهما: تعريفها بالعد؛ وقد اختلفوا في عدها.

ثانيهما: تعريفها بالحد؛ وقد اختلفوا في حدها.

وعرفها الشوكاني: الكبائر كل ذنب توعد الله عليه بالنار أو ذم فاعله ذما شديدا[3].

وأولى الأقوال بالصواب تعريف الكبيرة بالحد، وحدها: بأنها كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب. وما قاربه في المعنى[4].

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ الأحزاب: ٧٣.

ليعذّب الله العاصي ويثيب المطيع.. فدلّ على أن المؤمن العاصي خارج من العذاب { وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} أي كثير المغفرة والرحمة للمؤمنين من عباده إذا قصروا في شيء مما يجب عليهم[5].

---

(1) تفسير البغوي (٢/ ٢٠١ – ٢٠٤)، شرح صحيح مسلم (٢/ ٨٥ – ٥٧)، مجموع الفتاوى (١١/ ٣٥٠) وما بعدها، مدارج السالكين (١/ ٣٢١ – ٣٢٧).

(2) مدارج السالكين (١/ ٣٢٠).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٥/١٣٥).

(4) وهذا القول هو المأثور عن أكثر السلف، واختاره جمع من المحققين من أهل العلم.

– مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٠)، مدارج السالكين (١/ ٣٢٧)، الكبائر للذهبي (ص ٢٢)، الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٤٢)، شرح الطحاوية (٢/ ٥٢٥)، فتح الباري (١٢/ ١٨٨)، الذخائر (ص ١٢١).

(5) وهذا القول هو المأثور عن أكثر السلف، واختاره جمع من المحققين من أهل العلم.

اختلفت الفرق في صاحب الكبيرة من المسلمين هل يخلد في نار جهنم أم لا[1]؟

فذهبت الوعيدية[2]، وهم القائلون: بإنفاذ الوعيد والتخليد في النار لمن دخلها، ولا يرون اعتقاد خروج أهل الكبائر من المسلمين من النار، ولا قبول الشفاعة عنهم[3].

لأنهم غلبوا نصوص الوعيد على نصوص الوعد.

ويقابل الوعيدية المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع من الكافر طاعة، والإيمان عندهم مجرد التصديق بالقلب، والأعمال ليست من الإيمان، لأنهم غلبوا نصوص الرجاء على نصوص الوعيد[4].

فهذه مذاهب باطلة ومخالفة للكتاب والسنة .

فأهل السنة وسط بين الفرق؛ وسط بين نفاة الوعيد من المرجئة، وبين موجبيه من المعتزلة والخوارج، فمن مات على كبيرة عندهم؛ فأمره مفوض إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، وإذا عاقبه بالنار فإنه لا يخلد خلود الكفار، بل يخرج من النار ويدخل الجنة[5].

– مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٠)، مدارج السالكين (١/ ٣٢٧)، الكبائر للذهبي (ص ٢٢)، الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٤٢)، شرح الطحاوية (٢/ ٥٢٥)، فتح الباري (١٢/ ١٨٨)، الذخائر (ص ١٢١).

(١) الملل والنحل (١/ ١٣٩ – ١٤٠)، شرح السنة، البربهاري (ص ٧٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٦٢، ١٧٥، ١٧٦)، شرح السنة للبغوي (١/ ١٠٣)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١، ٣٧٤) (٤/ ٣٠٧)، شرح الطحاوية (٢/ ٥٢٤).

(٢) الوعيدية: نسبة للوعيد، والوعيد في اللغة التهديد، والوعيدية يوجبون إنفاذ الوعيد في أصحاب الكبائر من أهل القبلة، فهم الخوارج والمعتزلة ." الملل والنحل " للشهرستاني (١٠٦/١_ وما بعدها) ، " الفرق بين الفرق " للبغدادي (١١٧/١_ وما بعدها) .

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، (٤٥٤/٢)، وشرح الطحاوية، ابن أبي العز (٤٣٢/١_٤٣٤) .

(٤) الفرق بين الفرق، البغدادي، (٢٠٢/١)، والملل والنحل، الشهرستاني، (١٣٧/١) .

(٥) شرح الطحاوية، ابن أبي العز، (٥٢٤/٢_٥٢٨) .

فعصاة المؤمنين لا يخلدون في النار، وإذا ماتوا قبل أن يتوبوا إلى الله تعالى فإن أمرهم إليه سبحانه وتعالى، إن شاء عذبهم بدخول النار واللبث فيها ما شاء الله، ولا بد أن يأتي يوم يخرج فيه جميع من في قلبه مثقال ذرة من إيمان من النار، لما في حديث الصحيحين في الشفاعة لمن دخل النار أن النبي ﷺ يقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول الله:(وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله[1].

وإن شاء عفا عنهم من أول الأمر، فهم تحت مشيئته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ النساء: ٤٨، ولكن الذنوب التي لها تعلق بحق العباد لا بد من استيفائها لأصحابها أو إرضائهم من قبل الله عز وجل عن عباده الذين عليهم الحقوق.

وأما من أخلص التوبة لله تعالى فلا يتناوله الوعيد المذكور لأن الله تعالى يغفر ذنوبه جميعاً بالتوبة النصوح وتواترت على ذلك نصوص الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ الشورى: ٢٥.

وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ طه: ٨٢.

ودخول عصاة المؤمنين الجنة وإخراجهم من النار وإدخالهم الجنة بالشفاعة لحديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه ، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود فلا

([1]) البخاري في " صحيحه " كتاب التوحيد، باب كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم (٧٥١٠) (١٧/٥١٧_٥١٨)، ومسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان، باب حديث الشفاعة، رقم (٤٧٨) (٣/٥٧_٦٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

موت، و يا أهل النار، خلود فلا موت"، ثم يقرأ:

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ_ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا _ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ مريم: ٣٩.[١]، ولمسلم من حديث جابر بن عبد الله يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أقواما يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم، حتى يدخلون الجنة"[٢].

وهؤلاء الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة يسميهم أهل الجنة بالجهنميين، فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: " يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ، فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين"[٣]، والأحاديث في هذا كثيرة.

---

(١) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب وأنذرهم يوم الحسرة ، رقم (٤٧٣٠) (١٠/٣٤٦_٣٤٧) ، و مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة ونعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، رقم (٧١١٠) (١٧/١٨٢_١٨٣) .

– أي جماعات من الناس ، يقال رأيتهم ضبائر أي جماعات في تفرقة. " النهاية في غريب الحديث والأثر " لأبي السعادات ابن الأثير ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م (٣/٧١) .

(٢) مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (٤٧١) (٣/٥٠).

(٣) البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٥٦٦) (١٥/٨٥).

المطلب السادس: الإيمان بالقضاء والقدر.

معنى القضاء لغة:

هو بالمدّ، ويقصر، أصله: قَضَايٌ؛ لأنّه من قضيت، إلا أنّ الياء لَمّا جاءت بعد الألف همزت.

يقول ابن فارس: " القاف والضّاد والحرف المعتلّ أصل صحيح يدلّ على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه"[١].

ويتبين مما تقدم أن معنى القضاء في اللغة هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، وهذا هو أصل معنى القضاء الواردة في اللغة، وقد يأتي بمعنى القدر[٢].

ويطلق القضاء على معان عدّة منها: الأمر، والأداء، والحكم، والفراغ، والإعلام، والموت؛ وهذه هي أهم معاني (القضاء) في اللغة، وهناك اشتقاقات أخرى ذكرَتها كتب اللغة[٣].

معنى القدر لغة:

والقدر في اللغة: مصدر قَدَرَ يَقدر قَدَراً.

يقول ابن فارس: "القاف والدّال والرّاء أصل صحيح يدلّ على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته"[٤].

ويطلق القدر على معان عدّة منها: الحكم، والقضاء، والطّاقة، والتّضييق، والتّقدير[٥].

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٩٩/٥).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (صـ ٤٢٢) .

(٣) في مادة (قضى): الصحاح (٦/ ٢٤٦٣)، وتهذيب الصحاح (٣/ ١٠٥١)، ولسان العرب (١٥/ ١٨٦)، وتاج العروس (١٠/ ٣٩٦)، وأساس البلاغة للزمخشري (ص ٥١٣)، وغيرها.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٦٢/٥).

(٥) تهذيب اللغة (٣/ ٢٨٩٦)، الصحاح (٢/ ٧٨٦)، لسان العرب (٥/ ٧٤)، القاموس المحيط (ص ٥٩١).

معنى القضاء والقدر شرعاً:هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ماقدرها وخلقه لها[1].

يرى الإمامان أن القضاء والقدر هو أحد الأركان الستة للإيمان؛ ولا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بالقضاء والقدر، فكل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدره، وكل ما يجري في الأنفس والآفاق من خير وشر فهو مقدر من الله، ومكتوب قبل خلق الخليقة، وكل شيء بإرادة الله ومشيئته، ورجح ابن جزي والشوكاني في مسألة خلق أفعال العباد: أن الله خالق أفعال العباد، والعباد فاعلون حقيقة، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.

ومراتب القدر أربع، وهي إجمالاً:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكلّ شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك مِمّا يتعلّق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأنّ الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى:﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ الحج: ٧٠.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السّماوات والأرض بخمسين ألف سنة)[2].

---

(1) شرح السنة (١/ ١٤٢)، معالم السنن (٤/ ٢٩٧)، شرح صحيح مسلم (١/ ٢١٧)، جامع الرسائل (٢/ ٣٥٥)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨ – ١٤٩)، وشفاء العليل في القضاء والقدر، ابن القيم ، تحقيق مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م ، (١/٣٣_٤٤).

(2) مسلم في " صحيحه " كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٦٦٩٠) (١٦/٤١٩) .

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلّق بفعله أم مما يتعلّق بفعل المخلوقين.

قال الله تعالى فيما يتعلّق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ القصص: ٦٨، وقال﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ إبراهيم: ٢٧، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ آل عمران: ٦.

وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ﴿٩٠﴾﴾ النساء: ٩٠، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ الأنعام: ١١٢.

الرابع: الإيمان بأنّ جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركتها.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ الزمر: ٦٢، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ الفرقان: ٢[1].

وللإيمان بالقدر أهمية كبرى بين أركان الإيمان، يدركها كل من له إلمام ولو يسير بقضايا العقيدة الإسلامية وأركان الإيمان؛ ولذلك ورد التنصيص في السنة النبوية على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره.

ويتبين مما سبق ما بين المعنى اللغوي لكل من القضاء والقدر والمعنى الشرعي من ربط قوي، فكل منهما يأتي بمعنى الآخر، ومعاني القضاء ترجع إلى إحكام الأمر وإتقانه وإنفاذه، كما أن معاني القدر ترجع إلى التقدير، والله سبحانه وتعالى قدر مقادير الخلق، فعلمها وكتبها وشاءها وخلقها، وهي مقتضية ومقدرة فتقع حسب أقدارها، ويتبين من خلال ذلك ما بين معنى القضاء والقدر في اللغة والشرع من ترابط[2].

---

(1) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذهب الناس فيه،لعبد الرحمن المحمود (ص ٣٩).

(2) شرح السنة (١/ ١٤٢)، معالم السنن (٤/ ٢٩٧)، شرح صحيح مسلم (١/ ٢١٧)، جامع الرسائل (٢/ ٣٥٥)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨ – ١٤٩)، وشفاء العليل، ابن القيم،(١/٣٣_٤٤).

انقسم العلماء في الفرق بالمعنى الشرعي للقضاء والقدر، إلى فريقين:

منهم فرق بينهما، والآخرون لم يفرقون بينهما، لعدم وجود دليل بالتفريق بينهما[1].

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ الأحزاب: ٣٨.

قال الشوكاني: {وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً } أي كان قضاء الله في زينب أن يتزوّجها رسول الله ﷺ قضاء ماضياً مفعولاً لا محالة... مَّا كَانَ عَلَى النبي مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ الله لَهُ، أي: فيما أحلّ الله له وقدّره وقضاه ، يقال فرض له كذا ، أي قدّر له... { وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَراً مَّقْدُوراً } أي قضاء مقضياً.

فعقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأنه كتب في اللوح المحفوظ كل ما سيكون وأن كل ما علمه وكتبه فهو كائن لا محالة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ القمر: ٤٩، وحديث جبريل في أركان الإسلام والإيمان والإحسان وفيه: (فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[2].

فهذه النصوص دالة على أن أركان الإيمان ستة، وتدل على وجوب الإيمان بها كلها.

ففي الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، فقد ترك أصلاً من أصول الدين وجحده، فيشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ البقرة: ٨٥.

---

(1) فتح الباري (١١/ ١٤٩، ٤٧٧)، وعمدة القاري للعيني (٢٣/ ١٤٥)، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذهب الناس فيه،لعبد الرحمن المحمود (ص ٤٠-٤٤).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإسلام ... برقم (٨).

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ فاطر: ١١.

ذكر ابن جزي والشوكاني في معنى "بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ" أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، وذكرا في ذلك عدة أقوال[1]:

القول الأول: أن معنى الآية: ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمر آخر.

القول الثاني: أن معنى ذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلاناً إن تصدق فعمره ستون سنة، وإن لم يتصدق فعمره أربعون، واستدلوا بحديث:" من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه"[2].

القول الثالث: أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر، والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ وذلك حق في كل شخص.

وما ذهب إليه ابن جزي صحيح، ولكن القول الأول لا يعني عدم صحة القول الثاني بل إن العمر يزيد ببعض الطاعات كما في الحديث.

وقد جمع الشوكاني بينهما فقال: والأولى أن يقال: ظاهر النظم القرآني أن تطويل العمروتقصيره: هما بقضاء الله، وقدره لأسباب تقتضي التطويل، وأسباب تقتضي التقصير[3].

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ الصافات: ٩٦.

ذكر الإمامان في تفسيرهما لهذه الآية مسألة خلق أفعال العباد:

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٠٦-١٢٠٧)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٠٧-٤٠٨).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٦٧) ومسلم برقم (٢٥٥٧).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٠٨).

قال ابن جزي: والله خلقكم وما تعملون ذهب قوم إلى أن ما مصدرية والمعنى الله خلقكم وأعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد وقيل إنها موصولة بمعنى الذي والمعنى الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام وقيل إنها نافية وقيل إنها استفهامية وكلاهما باطل[1].

وقال الشوكاني: و«ما» في { وَمَا تَعْمَلُونَ } موصولة، أي: وخلق الذي تصنعونه على العموم ويدخل فيها الأصنام التي ينحتونها دخولاً أولياً، ويكون معنى العمل هنا: التصوير، والنحت، ونحوهما، ويجوز أن تكون مصدرية، أي: خلقكم، وخلق عملكم، ويجوز أن تكون استفهامية، ومعنى الاستفهام: التوبيخ، والتقريع، أي: وأي شيء تعملون، ويجوز أن تكون نافية، أي: إن العمل في الحقيقة ليس لكم، فأنتم لا تعملون شيئاً، وقد طول صاحب الكشاف الكلام في رد قول من قال: إنها مصدرية، ولكن بما لا طائل تحته، وجعلها موصولة أولى بالمقام وأوفق بسياق الكلام[2].

ووقع الخلاف بين الفرق في القدر على أقوال، وهي:

القول الأول : يقولون إنّ العباد مجبورون على أعمالهم، لا قدرة لهم ولا إرادة ولا اختيار، والله وحده هو خالق أفعال العباد، وأعمالهم إنما تنسب إليهم مجازاً[3].

وهذا القول هو قول الجبرية[4](الجهمية).

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٤٣/٣).

([2]) فتح القدير، الشوكاني، (٤٧٩/٤).

([3]) الفرق بين الفرق، البغدادي (صـ ٢١١)، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز،(٧٩٦/٢).

([4]) الجبر لغة: خلاف الكسر، والملك، والرجل الشجاع، وخلاف القدر. " القاموس المحيط" لفيروزآبادي صـ ٤٦٠.

أما الجبر في الاصطلاح: فمعناه نفي الفعل عن العبد، وإضافته إلى الرب، أي أن الله يجبر العباد على أعمالهم، والعباد مجبورون على أفعالهم، ليس لهم أي دور فيها، إذ هم كورقة الشجر تحركها الرياح، وإنما تضاف الأعمال إلى العباد على جهة المجاز فقط.

استدل الجبرية بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ الأنعام: ١٠٢، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ الرعد: ١٦،وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ القصص: ٦٨، وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ الإنسان: ٣٠ [1].

القول الثاني: إنّ أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها. وهذا القول قول القدرية[2](المعتزلة).

فهم ينكرون مرتبة الإرادة والخلق، فينفونها عن الله، ويثبتونها للإنسان.

استدل القدرية(المعتزلة) بأدلة عقلية، ثم أتبعوها بأدلة السمع، منها:

الأدلة العقلية: أن هناك فرق بين الأمور الاختيارية والأمور الأضطرارية، ومنها: أن فعل العبد لو كان بخلق الله لما كان متمكناً من الفعل البتة؛ لأنه إن خلقه الله فيه كان

والجبرية قسمان: جبرية خالصة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، وإنما هو كالريشة في مهب الريح.

وجبرية متوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، ومن أهم فرق الجبرية هم الجهمية.

–الفرق بين الفرق، البغدادي (صـ ٢١١)، والملل والنحل، الشهرستاني (٧٢/١)، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٢/ ٧٩٦_٧٩٧).

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٦٤١/٢_٦٤٣).

(٢) القدرية: اسم للذين ينفون القدر عن الأفعال الاختيارية من أفعال الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات، خيراً كانت هذه الأفعال أو شراً، وأقوالاً كانت أو حركات أو اعتقادات أو إرادات . ويقولون: إن هذه الأفعال كلها لا تدخل تحت قدر الله تعالى.

والقدرية قسمان: قدرية أولى: وهي التي تنفي صفة العلم لله.

وقدرية ثانية: وهي التي تثبت لله العلم بلا علم، مع نفيها للقدر، وهم المعتزلة.

– الفرق بين الفرق، البغدادي، (صـ ١٨ و١١٤_ ١١٦)، والملل والنحل، الشهرستاني (٣٨/١_٣٩).

واجب الحصول، وإن لم يخلقه الله فيه كان ممتنع الحصول، ومنها: لو كان الله خالقاً لأفعال العباد لبطل الثواب والعقاب.

أدلة السمع: بقول الله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴿٢٩﴾﴾ الكهف: ٢٩، وقوله: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ المدثر: ٣٦ – ٣٧، وقوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ التوبة: ٨٢[1].

وقوله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ التوبة: ٩٥.

القول الثالث: يقولون إن الله تعالى خالق أفعال العباد، وبهذا الأصل خالفوا المعتزلة القائلين بأن الله لا يخلق أفعال العباد، بل هم الخالقون لها.

وهذا قول الماتردية[2] والأشاعرة [3].

الخلاصة:

جاءت أدلة الجبرية لتثبت أن الله خالق أفعال العباد، وأن العباد لا قدرة لهم، بل مجبورون على أعمالهم، وهذا فيه حق من جانب وباطل من جانب آخر، وأدلتهم إنما تؤيد ما في مذهبهم من حق، وهو أن الله خالق أفعال العباد، أما دعوى جبر العباد، فهو مردود بالأدلة الأخرى، التي استدل بها المعتزلة.

وبالمقابل، جاءت المعتزلة لتثبت أن العباد خالقون لأفعالهم، وأن الله غير خالق لأفعال العباد، وهذا أيضاً فيه حق وباطل، فإثبات أن العباد لهم إرادة ومشيئه داخلة تحت

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٢/٦٤١_٦٤٣).

(2) هم أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، وهو من أئمة الكلام، له مؤلفات كثيرة؛ منها: تفسيره المسمّى تأويلات أهل السنة، و بيان وهم المعتزلة، توفي ٣٣٣هـ .

– الأعلام، الزركلي، (٧/٢٤٢) ، ومعجم المؤلفين، كحالة، (١١/٣٠٠).

(3) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز،(١/٣٢١) و(٢/ ٦٤٣)و(٢/٦٣٩_ ومابعدها).

مشيئة الله، وأن أعمالهم هي أفعالهم هذا حق، تؤيده أدلتهم، أما دعوى أن الله غير خالق لأفعال العباد، فهو باطل، ترده أدلة الجبرية.

أما الماتردية والأشاعرة وإن توسطوا بين الفريقين فقالوا: إن الله خالق أفعال العباد وهي منهم كسب، وهم أقرب إلى مذهب السلف إلا أنهم اثبتوا للعبد قدرة غير مؤثرة، وسموها كسباً، وهذا هو الإشكال؟

المذهب الحق هو خلاصة القول الحق من كل مذهب من هذه المذاهب.

أن الله خالق أفعال العباد، والعباد فاعلون حقيقة، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم[1].

([1]) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (٣/٣٠٣_٣٠٦)، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (١/٣٣١_٣٣٦)و(٢/٦٤٠_٦٤١).

الفصل الرابع: مقارنة بين التفسيرين في آيات الأحكام الفقهية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بآيات الأحكام الفقهية.

المبحث الثاني: أحكام العبادات.

المبحث الثالث: أحكام المعاملات.

المبحث الأول: التعريف بآيات الأحكام الفقهية.

يعتبر الفقه الإسلامي ذو أهمية كبرى في حياة المسلم فهو: العلم بخطاب الله تعالى المتعلق بأفعال العبد في عباداته ومعاملاته.

والقرآن المصدر الأول في التشريع ومحل استنباط الأحكام الشرعية، وفيه من الآيات التي تتضمن الأحكام الفقهية من العبادات والمعاملات، لذا كان لا بد لكل مفسر أن يتعرض لما له علاقة بالأحكام الفقهية المستنبطة من الآيات القرآنية.

وللفقه مكانة لا تجهل، لا سيما في حق من يتناول كتاب الله بالتفسير والبيان، فكثير من الآيات متعلقة بالأحكام الفقهيه.

تعريف الحكم لغةً: ومن خلال الرجوع إلى المعجم اللغوي تبين أن الحكم يأتي بعدة معانٍ، منها العلم، والفقه، والقضاء، والعدل، والمنع والرد[١].

اصطلاحاً: الحكم الشرعي عند الأصوليين: (خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[٢].

والفقه: هو العلم بالشيء والفهم له، وأطلق على علم الدين على طريق التغليب؛ لمنزلته وشرفه بين العلوم[٣].

وفي الاصطلاح: هو عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية العملية المستدل على أعيانها بحيث لا يعلم كونها من الدين بالضرورة[٤].

وقد تناول المفسرون هذه الموضوع بين مطول في ذكر الأحكام، وبين مختصر لذلك، فلا يتعرض إلا لما كان ظاهراً، ومتوسط بينهما يذكر أهم المسائل التي

---

(١) لسان العرب، ابن منظور مادة حكم

(٢) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، محمود الأصبهاني، (٣٢٥/١).

(٣) لسان العرب، (٥٢٢/١٥) مادة فقه.

(٤) الفخر الرازي(٦/١).

لها علاقة بتفسير الآية.

فتفسير ابن جزي والشوكاني يعتبر من المتوسطين في ذكر الأحكام الفقهية؛ كونهما مختصرين.

عرف عن ابن جزي أنه مالكي المذهب، والشوكاني مرعاة الدليل وعدم التقييد بمذهب وهذه ميزة لهما في تفسيرهما.

ذكر ابن جزي الأحكام الفقهية في مقدمة تفسيره فقال: وأما الأحكام: فهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع: واجب، ومندوب، وحرام، ومكروه، ومباح. ومنها ما يتعلق بالأبدان: كالصلاة والصيام، وما يتعلق بالأموال كالزكاة، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك[1].

فكان رحمه الله يبين الأقوال الفقهية ويرجح أحياناً بينها، ويذكر مذهب مالك في المسائل الفقهية باعتباره مذهبه، وقد التزام الاختصار كما شرط على نفسه في ذكر الأقوال والأدلة.

فقد اتفق الإمامان في تفسيرهما على بيان الأحكام الفقهية عند تفسير الآيات المتعلقة بها، واتفقا على بيان ما يتعلق بالحكم المذكور في الآية من مسائل فرعية وذكرا الخلاف في المسائل وبيان القائلين، لكن يختلف ترجيح المسائل بينهما لأن الإمام ابن جزي مالكي المذهب ويرجح المسائل على مذهب الإمام مالك، بينما الإمام الشوكاني لا يتقيد بمذهب معين بل يرجح على حسب مايؤديه إليه اجتهاده؛ فيذكر آراء الصحابة والتابعين، وآراء علماء الأمصار والمذاهب الأربعة ويذكر حجة كل واحد منهم ثم يختار منها ما يراه راجحاً مختاراً.

ويختلف كل إمام عن الآخر في عرض المسائل الفقهية وتفصيل الأقوال ونسبتها إلى قائلها، وهذامنهج كافة المفسرين مابين مقل ومكثر في عرض المسائل

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/٧١).

الفقهية وإنزال الأحكام الشرعية.

قال ابن جزي: وأما أحكام القرآن فهي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي، والمسائل الفقهية، وقال بعض العلماء إنّ آيات الأحكام خمسمائة آية، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها، وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة، ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها: تأليف إسماعيل القاضي[1] وأبي الحسن الكيا[2].[3]

وحصر ابن جزي آيات الأحكام بعدد معين وأنها خمسمائة آية، وقد تزيد، وقيل خمسمائة آية وعليه ألف مقاتل بن سليمان كتابه، وهذا ذكره الغزالي و الرازي والأصوليون من الشافعية وغيرهم، وقيل: ثمانمائة آية كقول ابن العربي، وقيل مائتا آية قاله الصنعاني، وقيل مائة وخمسون آية، قاله ابن القيم، وقيل غير ذلك.

قال الشوكاني في معرض مناقشته لدعوى حصر آيات الأحكام بخمسمائة آية: (ودعوى الانحصار في هذا المقدار إنما هي باعتبار الظاهر، للقطع بأن في الكتاب العزيز من الآيات التي تستخرج منها الأحكام الشرعية أضعاف أضعاف ذلك، ممن له فهم صحيح وتدبر كامل يستخرج الأحكام من الآيات الواردة لمجرد القصص والأمثال)[4].

والصحيح أنها غير محصورة، ولا يمكن ادعاء حصرها، ولعل من مراد من حصر الآيات: الصريح منها.

---

(1) هو: أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن درهم الجهضمي البصري المالكي، له مؤلفات كثيرة، توفي ٢٠٢هـ، – الديباج، (٢٨٣/١)، – طبقات المفسرين، الدوادي، (١٠٨/١).

(2) هو: أبو الحسن علي بن محمد الطبري الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي، فقيه شافعي مفسر، توفي ٥٠٤هـ، الأعلام، الزركلي، (٣٢٩/٤).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٧٥/١-٧٦).

(4) إرشاد الفحول ص٢٠.

وذكر ابن جزي كذلك أهم المؤلفات في آيات الأحكام، وقد وصف كتاب أحكام القرآن لأبي بكر الشهير بابن العربي المالكي بأنه من أحسن تفاسير أهل الأندلس، فقال: "وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة، ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها تأليف إسماعيل القاضي، وأبي الحسن الكيا الهراسي، ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي، والقاضي الحافظ بن محمد بن عبدالمنعم بن عبدالرحيم، المعروف بابن الفرس"[1]. [2]

هناك عدة مؤلفات في آيات الأحكام فمنها كتب تفسير عنيت بآيات الأحكام دون اقتصار عليها مثل تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ومن العلماء من وسع مفهوم آيات الأحكام ليدخل فيها المسائل العقدية والأخلاقية وغيرها.

وقد كان للمالكية قصب السبق في التأليف في آيات الأحكام، حيث بلغ عدد مؤلفاتهم (١٨) ثمانية عشر مؤلَّفاً، وبلغ عدد كتب الحنفية ثمانية كتب، وللشافعية كتابان، وللحنابلة كتابان.

وفي موضوع الدراسة سأذكر منهج الإمامين والمقارنة بينهما، وذلك في آيات الأحكام في العبادات والمعاملات في المباحث والمطالب والمسائل، نسأل الله الإعانة والتوفيق.

---

(١) هو: أبو عبدالله محمد بن عبدالرحيم بن محمد بن الفرج الخزرجي، توفي ٥٩٧هـ، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣٦٤/٢١).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٧٦/١).

المبحث الثاني: أحكام العبادات

بين الفقهاء في تطبيقهم تقسيم التكاليف الشرعية أنها تقسم إلى أربعة أقسام:

التكاليف التي هي حق خالص لله تعالى؛ كالإيمان وتحريم الكفر، والتكاليف التي هي حق خالص للعباد: كالديون والأثمان، والتكاليف التي يجتمع فيها الحقان، ويكون فيها حق الله غالباً، والتكاليف التي يجتمع فيها الحقان، ويكون فيها حق العبد غالباً.

ويقسم الفقهاء الحقوق إلى: حقوق مالية وحقوق أبدان، أو شخصية.

وفرق الأصوليون والفقهاء بين نوعين من أنواع الحق، وهما: حق الله وحق العبد وبينوا: أن معيار التفريق بينهما هو: أن حق العبد: عبارة عما يسقط بإسقاط العبد: كضمان المتلفات، وحق الله ما لا يسقط بإسقاط العبد: كالصلاة والصوم.

قال ابن القيم:(والحقوق نوعان: حق الله وحق الآدمي، فحق الله لا مدخل للصلح فيه: كالحدود والزكوات والكفارات ونحوها، وأما حقوق الآدميين: فهي التي تقبل الصلح والإسقاط والمعاوضة عليها)[1].

فقسمت هذا الفصل إلى عبادات ومعاملات، والمقصد بالعبادات هنا هي: الأحكام والتكاليف الشرعية التي تتعلق بين العبد وربه، مما يبنى على المسامحة.

الآيات التي تتحدث عن آيات الأحكام في العبادات:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ الأحزاب: ٧٢.

ذكر الإمامان الأقوال في معنى الأمانة:

القول الأول: هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي.

([1]) أعلام الموقعين، ابن القيم، (١/ ١٠٨)، القواعد، الزركشي، (ص ١٠٥).

القول الثاني: أنها الأمانة في الأموال.

القول الثالث: أنها غسل الجنابة.

والقول الأول رجحه ابن جزي والشوكاني، وهو قول جمهور المفسرين، وهو أعم الأقوال وأوسعها وهو الأليق بالآية[1].

أما الأقوال الباقية فداخلة تحته فالأمانة بالأموال نوع من أنواع التكاليف المأمور بها، وكذا غسل الجنابة فمن ذكرها من العلماء يذكرها من باب التنصيص على بعض أفراد العام[2].

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الزمر: ٦٥.

قال ابن جزي: دليل على إحباط عمل المرتد مطلقاً خلافاً للشافعي في قوله لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر.. [3].

ويرى الشوكاني أن الردة تحبط العمل، وأن الآية مقيدة بالموت على الشرك[4].

فمن مبطلات الطهارة والحج الردة، والردة هي خروج المسلم عن الإسلام وكفره به والعياذ بالله.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ الأحزاب: ٤٣.

عرف الإمام ابن جزي الصلاة بقوله: إذا كانت من الله فمعناها رحمة، وإذا

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٨٦-١١٨٧)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٦٩-٣٧٠).

(2) تفسير الطبري، (١٩/٢٠٤-٢٠٥)

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٩٦).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٦٤).

كانت من المخلوق فلها معنيين: الدعاء، والأفعال المعلومة[1].

وقال الشوكاني: والصلاة أصلها في اللغة : الدعاء من صلى يصلي إذا دعا . وقد ذكر هذا الجوهري، وغيره، وقال قوم: هي مأخوذة من الصلا، وهو عرق في وسط الظهر، ويفترق عند العُجْب، ومنه أخذ المصلي في سبق الخيل؛ لأنه يأتي في الحلبة، ورأسه عند صلوى السابق، فاشتقت منه الصلاة؛ لأنها ثانية للإيمان فشبهت بالمصلي من الخيل، وإما لأن الراكع يثني صلويه، والصلا مغرز الذنب من الفرس، والاثنان صلوان، والمصلي تالي السابق؛ لأن رأسه عند صلوه، ذكر هذا القرطبي في تفسيره، وقد ذكر المعنى الثاني في الكشاف هذا المعنى اللغوي، وأما المعنى الشرعي: فهو هذه الصلاة التي هي ذات الأركان، والأذكار، وقد اختلف أهل العلم هل هي مبقاة على أصلها اللغوي أو موضوعة وضعاً شرعياً ابتدائياً، فقيل بالأوّل، وإنما جاء الشرع بزيادات هي الشروط والفروض الثابتة فيها،وقال قوم بالثاني[2].

تعرف الصلاة لغة بالدعاء، وتأتي بمعنى: الرحمة، والصلاة: العبادة، والصلاة: النافلة، والصلاة: التسبيح، والصلاة: القراءة، والصلاة: بيت يصلى فيه، وقد قيل إن الصلاة اسم علم وضع للعبادة...

فهذا تعريف الصلاة عند الشوكاني فقد ذكر ما ذكره أهل اللغة، وذكر معانيها وجمعها وذكر دليلا من القرآن على كل معنى، وناقش ورجح وتوسع في تفاصيلها وهذا هو منهجه.

وابن جزي ذكر معنى الصلاة في اللغة والشرع مختصراً وهذا هو منهجه في تفسيره.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٤٨/١).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٦٥/١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ الأحزاب: ٥٦.

هذا خطاب للمؤمنين، والصلاة من الله رحمته لهم وبركته عليهم، والصلاة من الملائكة الدعاء والاستغفار لهم، ثم ذكر الإمامان معنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيغها وفضلها، وحكم الصلاة عليه في الصلاة وحكمها؟[1]

ومعنى الصلاة من الله تعالى على نبيه تمجيده والثناء، وقال آخرون: المراد بالصلاة على النبي رحمته ومغفرته، وقيل: المراد بها البركة والكرامة.

وحكى البخاري عن أبي العالية أن صلاة الله سبحانه ثناؤه عليه عند ملائكته، وصلاة الملائكة الدعاء[2].

وأما صلاة الملائكة فمعناها: الدعاء له عليه السلام والاستغفار لأمته، وعلى كلٍ فالصلاة من الله غير الصلاة من الملائكة.

ومن صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ التي وردت فيها طرق كثيرة في السنة النبوية المطهَّرة، وقد ذكرت فيها صور مختلفة عن كيفية الصلاة عليه من المؤمنين، واختلافُها يشعر بأن الغرض ليس تحديد (كيفية خاصة) وإنما هي ألوان من التعظيم والثناء له عليه السلام، وسنقتصر على بعض ما صحّ من هذه الكيفيات.

أولاً: روى الشيخان عن كعب بن عُجْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قال: قال رجل يا رسول الله: أمّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال قل: «اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٨٣/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٦٠/٤-٣٦٤).
(2) البخاري في صحيحه، كتاب التفسير (٥٩٩٦).

محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[1].

ثانياً: وروى مالك وأحمد والشيخان عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أنهم قالوا يا رسول الله: كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولوا: «اللهمّ صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[2].

ثالثاً: وأخرج الجماعة عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أنه قال: أتانا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن في مجلس (سعد بن عُبادة) فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ فسكت حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال قولوا: «اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم»[3].

وفي بعض رواياته: «اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد» .

وهناك روايات أخرى دون هذه في الصحة وتخالفها بالزيادة والنقص في مواضع كثيرة.

وما دام المراد تعظيم النبي ﷺ فأي عبارة تكون واردة من طريق صحيح كان لك أن تأخذ بها.

أمر الله سبحانه المؤمنين بالصلاة على نبيه الكريم، وهذا لأمر للوجوب فتكون الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة، ويكاد العلماء يجمعون على وجوب الصلاة والتسليم عليه مرّة في العمر، بل لقد حكى (القرطبي) الإجماع على ذلك، عملاً

---

(1) البخاري في صحيحه، ومسلم.

(2) البخاري في صحيحه، ومسلم.

(3) البخاري في صحيحه، ومسلم.

بما يقتضيه الأمر (صلّوا) من الوجوب، وتكون الصلاة والسلام في ذلك كالتلفظ بكلمة التوحيد، حيث لا يصح إسلام الإنسان إلا بالنطق بها.

وقد اختلف العلماء في حكم الصلاة على النبي ﷺ هل تجب في كل مجلس، وكلما ذكر اسمه الشريف ﷺ ؟ أم هي مندوبة؟ وذلك بعد اتفاقهم على أنها واجبة في العمر مرة.

القول الأول: أنها واجبة كلَّما ذُكر اسم النبي عليه السلام.

القول الثاني: تجب في المجلس مرة واحدة ولو تكرَّر ذكره عليه السلام في ذلك المجلس مرات.

القول الثالث: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد أو مجلس، ولا يكفي أن يكون في العمر مرة.

وحجة القائلين بالوجوب في المجلس، أو كلما ذكر اسم الرسول ﷺ، أن الله سبحانه أمر بها، والأمر يفيد التكرار، ثم ما ورد من الوعيد الشديد لمن لم يصل على رسول الله ﷺ، كقوله: «البخيل الذي من ذُكِرتُ عنده فلم يُصلِّ عليّ» رواه الترمذي. وقوله عليه السلام: «ما من قوم يجلسون في مجلسٍ ثم يقومون منه لا يذكرون الله ولا يصلُّون على نبيه إلاّ كان تِرَةً عليهم يوم القيامة».

وقول جبريل للنبي عليه السلام: «بَعُدَ من ذكرتَ عنده فلم يصلّ عليك، فقلت آمين». فهذه تفيد الوجوب عندهم.

وذهب جمهور العلماء إلى أن الصلاة على النبي ﷺ قربة وعبادة، كالذكر والتسبيح والتحميد، وأنها واجبة في العمر مرة، ومندوبة ومسنونة في كل وقت وحين، وأنه ينبغي الإكثار منها لما صحّ عنه ﷺ أنه قال: «من صلى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً» وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الشهيرة في فضل الصلاة على النبي عليه السلام، فهي مطلوبة ولكن لا على سبيل (الوجوب) بل على سبيل (الندب)

والاستحباب.

هل تجب الصلاة على النبي عليه السلام في الصلاة؟

اختلف الفقهاء في حكم الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد أنها واجبة في الصلاة ولا تصح الصلاة بدونها.

المذهب الثاني: مذهب الإمام أبي حنيفة والإمام مالك أنها سنّة مؤكدة في الصلاة وتصح الصلاة بدونها مع الكراهة والإساءة.

قال الشوكاني بعد مناقشته للأقوال: وقد جمعت في هذه المسألة رسالة مستقلة ذكرت فيها ما احتج به الموجبون لها وما أجاب به الجمهور، وأشفّ ما يستدلّ به على الوجوب الحديث الثابت بلفظ: إن الله أمرنا أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك في صلاتنا ، فقال : « قولوا » الحديث،فإن هذا الأمر يصلح للاستدلال به على الوجوب، وأما على بطلان الصلاة بالترك ووجوب الإعادة لها فلا، لأن الواجبات لا يستلزم عدمها العدم كما يستلزم ذلك الشروط والأركان[1].

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ الأحزاب: ٤١ – ٤٢، **وقوله تعالى:** ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝٥٥﴾ غافر: ٥٥.

يرى الإمامان أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره[2].

وقيل البكرة أول النهار، والأصيل هو مابين العصر إلى الليل، وفيه إشارة إلى صلاة الصبح وصلاة العصر.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦١/٤).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٥/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٤٤/٤).

والذي ذهب إليه الإمامان أن المراد بذلك أمر مطلق التسبيح في أول النهار وآخره، وكأنه أراد حصوله في كل الأوقات وحدد الزمان بطرفي النهار وليله.

والآية محتملة لكلا المعنيين غير أن القول الأول يدخل دخولاً أولياً في الآية، وإذا علمت أن الصلاة متضمنة للتسبيح علمت أن القول الثاني داخل في القول الأول والجمع أولى.

ذكرا رحمهما الله تعالى الأقوال في معنى العشي والإبكار:

القول الأول: العشي صلاة العصر، والإبكار صلاة الصبح.

القول الثاني: العشي بعد العصر إلى الغروب، والإبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

قال الشوكاني: وقيل: المراد صل في الوقتين: صلاة العصر، وصلاة الفجر. قاله الحسن وقتادة، وقيل: هما صلاتان: ركعتان غدوة، وركعتان عشية، وذلك قبل أن تفرض الصلوات الخمس[1].

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ فصلت: ٣٧ -٣٨.

اختلف في مواضع السجود في القرآن، فهي عند مالك إحدى عشرة سجدة وليس في المفصل منها شيء وهذا قول ابن جزي لأنه مالكي المذهب[2]، وقال الشافعي هي أربع عشرة سجدة في المفصل ثلاثة، ولا يرى في ص سجدة لأنها سجدة شكر، وقال أحمد هي خمس عشرة سجدة لأنه أثبت الثانية في الحج والتي في ص،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٣١٠)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٩١).

(2) القوانين الفقهية، ابن جزي، (ص ١٨٩-١٩٠).

وله رواية أن التي في ص، ليس من العزائم، وقال أبو حنيفة هي أثنتا عشرة سجدة[1].

فأقصى ما قيل في عددها خمس عشرة سجدة وهي معلومة في المصاحف. لقول عبد الله بن عمرو بن العاص: " إن النبي – ﷺ – قرأ خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي الحج سجدتان[2].

قال الشوكاني: وهذه الآية من آيات السجود بلا خلاف، وإنما اختلفوا في موضع السجدة، فقيل موضعه عند قوله: إن كنتم إياه تعبدون لأنه متصل بالأمر، وقيل عند قوله: وهم لا يسأمون لأنه تمام الكلام فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون أي: إن استكبر هؤلاء عن الامتثال فالملائكة يديمون التسبيح لله سبحانه بالليل والنهار وهم لا يملون ولا يفترون[3].

ذكر الشوكاني أن هذه الآية من آيات السجود بلا خلاف، ثم عقب بذكر الاختلاف في بتحديد موضع السجود فيها، سورة فصلت ولم يتطرق لها ابن جزي[4]:

القول الأول: أن ذلك عند قوله:﴿ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾.

ذهب إليه الحنفية، وبعض المالكية، والشافعية في الأصح، وأحمد في رواية

---

(1) هذا ما ذكره ابن رشد، إرشاد المسترشد (فقه مقارن) لمحمد بن المنذر الأنصاري ص ٢٢٠.

(2) أخرجه أبو داود وغيره حسنه بعضهم، وقال الألباني في تمام المنة : كلا ليس بحسن .... وضعفه عبد الحق وابن قطان وفيه عبد الله بن منين وهو مجهول والراوي عنه الحارث بن سعيد العتقي وهو لا يعرف أيضاً وبالجملة فالحديث مع ضعف إسناده قد شهد له اتفاق الأمة على العمل بغالبه ومجيء الأحاديث الصحيحة شاهدة لبقيته إلا سجدة الحج الثانية فلم يوجد ما تشهد لها من السنة والاتفاق إلا أن عمل بعض الصحابة على السجود فيها قد يستأنس بذلك على مشروعيتها ولاسيما ولا يعرف لهم مخالف والله أعلم ... أهـ (تمام المنة للألباني ٢٧٠).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٦١٥/٤).

(4) ذكر ابن جزي الخلاف في ذلك، في كتابه القوانين الفقهية، (ص ١٩٠).

عنه؛ وهي المذهب[1].

وهذا إتمام الكلام، مع الأخذ بالاحتياط، وهو تأخير يسير لا يضر عند الجميع.

القول الثاني: أن ذلك عند قوله: ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

ذهب إليه الإمام مالك، وهو المذهب المشهور، والشافعية في مقابل الأصح، وبعض الحنابلة، وابن حزم[2].

وللعلماء **قول ثالث:** أنه مخير إن شاء سجد في الآية الأولى، وإن شاء سجد في الثانية.

ذهب إليه الإمام أحمد في رواية عنه، وهو قول ابن وهب من المالكية[3].

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ ص: ٢٤ – ٢٥.

ذكر ابن جزي أن هذه الآية من المواضع السجود التي اختلف العلماء فيها، وأن مذهب مالك يسجد فيها خلافاً للشافعي، ثم عقب بذكر اختلاف القائلين بمشروعية

---

(1) المبسوط (٢/ ٧) البناية (٢/ ٧١١) بدائع الصنائع (١/ ١٩٤) المنتقى (١/ ٣٠٢) الشرح الصغير (١/ ٥٧٠) المهذب (١/ ٩٢) روضة الطالبين (١/ ٣١٩) المجموع (٤/ ٦٠) المغني (٢/ ٣٥٧) المستوعب (٢/ ٢٥٧) الإنصاف (٢/ ١٩٧) المبدع (٢/ ٣١).

(2) المدونة (١/ ١١٠) المنتقى (١/ ٣٥٢) بداية المجتهد (١/ ٢٢٣) الشرح الصغير (١/ ٥٧١) شرح الخرشي (١/ ٣٥٠) المعونة (١/ ٢٨٤) المجموع (٤/ ٦٠) مغني المحتاج (١/ ١٢٥) الحاوي (٢/ ٢٠٢) روضة الطالبين (١/ ٣١٩) المستوعب (٢/ ٢٥٨) الإنصاف (٢/ ١٩٧) المبدع (٢/ ٣١) المحلى (٥/ ١٥٩).

(3) الإنصاف (٢/ ١٩٧) المبدع (٢/ ٣١) المنتقى (١/ ٣٥٢).

السجود في سورة ص وهو مذهب مالك ومن وافقهم بموضع السجود على قولين[1]، ولم يذكرها الشوكاني:

القول الأول: أن موضع السجود ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾.

ذهب إليه الحنفية، وبعض المالكية، وبعض الشافعية، وبعض الحنابلة[2].

كالجزاء على السجود، وهو يدل على تقديم السجود لتقديم السبب على المسبب[3].

القول الثاني: أن موضع السجود ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

ذهب إليه بعض المالكية[4]، بل المذهب المعتمد عن المالكية خلاف هذا القول.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ص: ١٨.

صلاة الضحى: هي التي يصليها المسلم تطوعاً في الضحى.

ذكر الإمام الشوكاني صلاة الضحى وفضلها ووقت صلاتها وذكر الأحاديث وأثر ابن عباس في فضلها وبيان وقتها وعددها، عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ص: ١٨، بينما ابن جزي اكتفى

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٦٥/٣)، القوانين الفقهية، ابن جزي، (ص ١٩٠)، المعتمد عن المالكية السجود عند وأناب، قال القرافي: والمذهب أنه في ص عند قوله وخر راكعاً وأناب، الذخيرة(٤١٨/٢)، ونص عليه خليل في المختصر.

(٢) البناية (٢/ ٧١١) شرح معاني الآثار (١/ ٣٦١) المنتقى (١/ ٣٥٢) الفواكه الدواني (١/ ٢٩٥) حاشية الصاوي (١/ ٥٧١) بداية المجتهد (٢/ ١٦٢) المهذب (١/ ٩٢) المجموع (٤/ ٦٠) نهاية المحتاج (٢/ ٨٨) الفروع (١/ ٥٠٣) المستوعب (٢/ ٢٥٨).

(٣) الفواكه الدواني (١/ ٢٩٥).

(٤) المنتقى (١/ ٣٥٢) الفواكه الدواني (١/ ٢٩٥) حاشية الصاوي (١/ ٥٧١) المعونة (١/ ٢٨٤).

بقوله: الإشراق يعني وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها[١].

فضل صلاة الضحى:

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي بثلاث: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام»[٢].

٢ – وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي – ﷺ –، أنه قال: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[٣].

٣ – وعن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: «في الإنسان ثلاث مائة وستون مفصلا فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة» قالوا: ومن يطيق ذلك يا نبي الله؟ قال: «النخاعة في المسجد تدفنها والشيء تنحيه عن الطريق فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك»[٤].

٤ – وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرج رسول الله – ﷺ – على أهل قباء وهم يصلون، فقال: «صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال»[٥].

حكم صلاة الضحى:

يرى الجمهور أن صلاة الضحى تستحب مطلقاً، ويستحب المواظبة عليها

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٦٠/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٠٥/٤-٥٠٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٨١) ، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٢١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٢٠).

(٤) أخرجه أحمد برقم (٢٢٩٩٨) ، وأبو داود برقم (٥٢٤٢)، وهذا لفظه.

(٥) أخرجه مسلم برقم (٧٤٨).

خلافًا للحنابلة [1]، صلاها رسول الله – ﷺ –، وأوصى بها، ورغب فيها، ولم يداوم عليها خشية أن تفرض.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله – ﷺ – يصلي الضحى أربعا، ويزيد ما شاء الله[2].

وعنها رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت رسول الله – ﷺ – يصلي سبحة الضحى قط، وإني لأسبحها، وإن كان رسول الله – ﷺ – ليدع العمل، وهو يحب أن يعمل به، خشية أن يعمل به الناس، فيفرض عليهم[3].

قال الشوكاني: ولا يخفاك أن الأحاديث الواردة بإثباتها قد بلغت مبلغًا لا يقصر البعض منه عن اقتضاء الاستحباب[4].

وقت صلاة الضحى:

وقت صلاة الضحى يبدأ من طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح، أي بعد ربع ساعة من طلوعها إلى قبيل الزوال[5].

عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أنه قال: ثلاث ساعات كان رسول الله – ﷺ – ينهانا أن نصلي فيهن، أو أن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب[6].

---

(1) عمدة القاري (٧/ ٢٤٠)، و مواهب الجليل (٢/ ٦٧)، و روضة الطالبين (١/ ٣٣٧)، و المغنى (٢/ ١٣٢)، الفروع، ابن مفلح،(١/ ٥٦٧).

(2) أخرجه مسلم برقم (٧١٩).

(3) متفق عليه

(4) نيل الأوطار، الشوكاني، (٣/٧٦).

(5) حاشية ابن عابدين (٢/ ٢٣) ط. الفكر.

(6) أخرجه مسلم برقم (٨٣١).

وعن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه أنه قال: يا نبي الله، أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟ قال: «صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة، حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار»[1].

أفضل أوقات صلاة الضحى إذا مضى ربع النهار، وارتفعت الشمس، واشتدت حرارتها، فمن صلاها بعد ارتفاع الشمس قدر رمح أصاب السنة، ومن أخرها إلى اشتداد الحر فهو أفضل.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه رأى قوما يصلون من الضحى، فقال: أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله – ﷺ – قال: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال»[2].

وصفة صلاة الضحى أقلها ركعتان، ولا حد لأكثرها، يصلي كل ركعتين بسلام، وأحيانا يسردهن بسلام واحد.

عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: إن النبي – ﷺ – دخل بيتها يوم فتح مكة، فاغتسل، وصلى ثماني ركعات، فلم أر صلاة قط أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود[3].

---

(1) أخرجه مسلم برقم (٨٣٢).

(2) تقدم تخريجه.

(3) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٧٦) ، واللفظ له، ومسلم برقم (٣٣٦).

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الأحزاب: ٣٣.

تقد تعريف الصلاة، وأما تعريف الزكاة عرفها ابن جزيبقوله: زكاة: له في اللغة معنيان؛ الزكاة والطهارة، ثم استعمله الشرع في إعطاء المال وهو من الزيادة لأنه يبارك له فيه فيزيد، أو من الطهارة لأنه يطهره من الذنوب، وزكيت الرجل: أثنيت عليه، وزكا هو مخففة: أي صار زكيا[١].

وتعريف الشوكاني للزكاة: والزكاة مأخوذة من الزكاء، وهو: النماء، زكا الشيء: إذا نما، وزاد، ورجل زكي، أي: زائد الخير، وسمي إخراج جزء من المال زكاة، أي: زيادة مع أنه نقص منه؛ لأنها تكثر بركته بذلك، أو تكثر أجر صاحبه، وقيل الزكاة مأخوذة من التطهير، كما يقال زكا فلان: أي: طهر، والظاهر أن الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحوها قد نقلها الشرع إلى معان شرعية هي: المرادة بما هو مذكور في الكتاب والسنة منها، وقد تكلم أهل العلم على ذلك بما لا يتسع المقام لبسطه،وقد اختلف أهل العلم في المراد بالزكاة هنا، فقيل المراد المفروضة، لاقترانها بالصلاة، وقيل: صدقة الفطر، والظاهر أن المراد ما هو أعم من ذلك[٢].

قال الشوكاني: خص الصلاة والزكاة لأنهما أصل الطاعات البدنية والمالية. ثم عمم فأمرهن بالطاعة لله، ولرسوله في كل ما هو شرع[٣].

قال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ فصلت: ٦ – ٧.

قال ابن جزي: الذين لا يؤتون الزكاة، هي زكاة المال وإنما خصها بالذكر

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/١٣٥-١٣٦).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (١/١١٩).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٣٣-٣٣٤).

لصعوبتها على الناس ولإنها من أركان الإسلام، وقيل يعني بالزكاة التوحيد وهذا بعيد وإنما حمله على ذلك لأن لآيات مكية لم تفرض الزكاة إلا بالمدينة والجواب أن المراد الفقه في طاعة الله مطلقا وقد كانت مأمورا بها بمكة[1].

وقال الشوكاني: الذين لا يؤتون الزكاة أي: يمنعونها ولا يخرجونها إلى الفقراء. وقال الحسن وقتادة: لا يقرون بوجوبها، وقال الضحاك ومقاتل: لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة. وقيل معنى الآية، لا يشهدون أن لا إله إلا الله لأنها زكاة الأنفس وتطهيرها. وقال الفراء: كان المشركون ينفقون النفقات، ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ فنزلت فيهم هذه الآية وهم بالآخرة هم كافرون[2].

وآيات الزكاة الورادة في السور المكية تعني صدقة التطوع عموماً، وقد أجاب بعض العلماء عن هذه الآيات بجوابين:

١-إما أن الزكاة يراد بها زكاة النفس وطهارتها من الشرك والدنس.

٢-أو أن الزكاة بمعناها العام كانت في الأمور التي طالب بها الشارع في الجملة منذ العهد المكي، وأن بيان نصابها ومقدارها، إنما تم بالمدينة في السنة الثانية للهجرة[3].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ الأحزاب: ٥٣.

الدعوة إلى الطعام لها عند العرب عدة مسميات وخصائص وصفات، منها: الوليمة، والمأدبة، والتحفة، والعقيقة، والخرس، والغديرة، والوضيمة، والنقيعة، والوكيرة.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٣١٥-١٣١٦).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٦٠١).

(3) تفسير ابن كثير، (٦/٥١٤).

وهنا نتكلم عن الوليمة لأن سبب نزول الآية في قصة زوج النبي ﷺ بزينب رضي الله عنها.

الوليمة في اللغة، مأخوذة من الولم، وهو تمام الشيء واجتماعه، ثم أصبحت تطلق على العرف على كل طعام لسرور حادث.

وغلب إطلاقها في النصوص الشرعية وكلام العلماء على: طعام العرس خاصة، فإذا أطلقت الوليمة فالغالب أن المراد بها ذلك، سميت بذلك تفاؤلاً باجتماع الزوجين وتمام أمرهم، ولأجل اجتماع الناس من الأقارب والجيران ونحوهم.

تقدم الكلام عن سبب نزول هذه الآية

وسبب نزول الآية هو حديث أنس في قصة زواج النبي عليه الصلاة والسلام بزينب رضي الله عنها ووليمتها، وقيل: أنها نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا، وذكرا الإمامان عند هذه الآية عدة مسائل فقهية نتكلم هنا أولاً عن الوليمة وأحكامها والمسائل الأخرى بعدها إن شاء الله[1].

والوليمة سنة مؤكدة عند جمهور العلماء، ودليل مشروعيتها حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال (ما هذا ؟) قال يا رسول الله إن تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب قال (بارك الله لك أولم ولو بشاه) [2]. وأكثر العلماء على وجوب دعوة الوليمة لقول النبي ﷺ إذا دعى أحدكم الوليمة فليأتها.

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٨٠-١١٨٢) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٥٦-٣٥٨).

([2]) أخرجه البخاري باب كيف يدعى للمتزوج (٤٨٦٠) (٥/١٩٧٩)، ومسلم باب الصداق (١٤٢٦).

هل يجوز تناول الطعام بدون دعوة؟

اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز دخول البيوت إلا بإذن، ولا يجوز تناول طعام الإنسان إلا بإذن صريح أو ضمني، لقوله عليه السلام: «لا يحل مال أمرئ مسلم إلا عن طيب نفسه».

وقد دلت الآية الكريمة على حرمة دخول بيوت النبي ﷺ إلا بعد الإذن، وعلى حرمة التطفل وهو أن يحضر إلى الوليمة بدون دعوة، وفاعله يسمى ب الطفيلي، والحكم عام في جميع البيوت، فلا يجوز لإنسان أن يدخل بيت أحد بدون إذنه، ولا أن يتناول الطعام بدون رضى صاحبه، وهذا أدب رفيع من الآداب الاجتماعية التي أرشد إليها الإسلام.

قال ابن عباس: كان ناس يتحيَّنون طعامه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ ، فيدخلون عليه قبل الطعام، وينتظرون إلى أن يدرك، ثمّ يأكلون ولا يخرجون، فكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم فنزلت هذه الآية.

قال ابن جزي: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل، فإن الآية تضمنت الحكمين.. وَلكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا أمر بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها[1].

وقال الشوكاني: ثم بين لهم سبحانه ما ينبغي في ذلك فقال: ولكن إذا دعيتم فادخلوا وفيه تأكيد للمنع، وبيان الوقت الذي يكون فيه الدخول، وهو عند الإذن، قال ابن العربي: وتقدير الكلام: ولكن إذا دعيتم، وأذن لكم فادخلوا، وإلا فنفس الدعوة لا تكون إذنا كافيا في الدخول، وقيل: إن فيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٨٠-١١٨٢).

الطعام: هو الدعوة إليه فإذا طعمتم فانتشروا أمرهم سبحانه بالانتشار بعد الطعام، وهو التفرق، والمراد الإلزام بالخروج من المنزل الذي وقعت الدعوة إليه عند انقضاء المقصود من الأكل[1].

هل الجلوس بعد تناول طعام الوليمة حرام؟

دلّ قوله تعالى: {فَإِذَا طَعِمْتُمْ فانتشروا} على ضرورة الخروج بعد تناول الطعام، وهذا من الآداب الإسلامية التي أدّب الله بها المؤمنين، فالمكث والجلوس بعد تناول الطعام ليس بحرام، ولكنّه مخالف لآداب الإسلام، لما فيه من الإثقال على أهل المنزل سيما إذا كانت الدار ليس فيها سوى بيت واحد، اللهمَّ إلا إذا كان الجلوس بإذن صاحب الدار أو أمره، أو كان جلوساً يسيراً تعارفه الناس، لا يصل إلى حدّ الإثقال المذموم، ومع ذلك فالأفضل الخروج، ولهذا جاء التعبير بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب {فانتشروا} .

فالمكث بعد الطعام غير مرغوب فيه على الإطلاق ولم يبق إلا أن يفرغ أهل البيت لبعض شأنهم، والبقاء بعد ذلك نوع من الإثقال غير محمود، يتنافى مع الأدب الرفيع، والذوق السليم.

قال ابن جزي: فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا أي انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدب أدّب الله به الثقلاء، وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ معطوف على غير ناظرين، أو تقديره: ولا تدخلوا مستأنسين، ومعناه النهي عن أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض، أو يستأنسوا لحديث أهل البيت، واستئناسهم: تسمعهم وتجسسهم.. [2].

قال الشوكاني: ولا مستأنسين لحديث عطف على قوله غير ناظرين، أو على مقدر، أي: ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين، والمعنى: النهي لهم عن أن يجلسوا بعد

([1]) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٥٦-٣٥٧).

([2]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٨١).

الطعام يتحدثون بالحديث، قال الرازي في قوله: إلا أن يؤذن لكم إلى طعام إما أن يكون فيه تقديم وتأخير تقديره: ولا تدخلوا إلى طعام إلا أن يؤذن لكم، فلا يكون منعا من الدخول في غير وقت الطعام بغير إذن. وإما أن لا يكون فيه تقديم وتأخير فيكون معناه: ولا تدخلوا إلا أن يؤذن لكم إلى طعام، فيكون الإذن مشروطا بكونه إلى طعام، فإن لم يؤذن إلى طعام فلا يجوز الدخول، فلو أذن لواحد في الدخول لاستماع كلام لا لأكل طعام فلا يجوز، فنقول المراد: هو الثاني ليعم النهي عن الدخول. وأما كونه لا يجوز إلا بإذن إلى طعام، فلما هو مذكور في سبب النزول أن الخطاب مع قوم كانوا يتحينون حين الطعام، ويدخلون من غير إذن فمنعوا من الدخول في وقتهم بغير إذن.

وقال ابن عادل: الأولى أن يقال المراد: هو الثاني، لأن التقديم والتأخير خلاف الأصل، وقوله: إلى طعام من باب التخصيص بالذكر، فلا يدل على نفي ما عداه، لا سيما إذا علم مثله، فإن من جاز دخول بيته بإذنه إلى طعامه جاز دخوله بإذنه إلى غير الطعام، انتهى، والأولى في التعبير عن هذا المعنى الذي أراده أن يقال: قد دلت الأدلة على جواز دخول بيوته ﷺ بإذنه لغير الطعام، وذلك معلوم لا شك فيه، فقد كان الصحابة وغيرهم يستأذنون عليه لغير الطعام فيأذن لهم، وذلك يوجب قصر هذه الآية على السبب الذين نزلت فيه، وهو القوم الذي كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه، وأمثالهم، فلا تدل على المنع من الدخول مع الإذن لغير ذلك، وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بإذنه، لغير الطعام، واللازم باطل فالملزوم مثله[1].

قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ الأحزاب: ٣٢.

تدل الآية على فضل زوجات النبي ﷺ:

بعد أن خير الله عزوجل زوجات الرسول ﷺ بين الله والدار الآخرة، والحياة

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٥٦-٣٥٧).

الدنيا وزينتها، اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ففضلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء.

قال ابن جزي: فضلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء، إلا أنه يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها[1].

قال الشوكاني: ثم لما اختار نساء رسول الله ﷺ رسول الله أنزل فيهن هذه الآيات تكرمة لهن، وتعظيما لحقهن.... ثم أظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النساء تصريحا، فقال: يا نساء النبي لستن كأحد من النساء قال الزجاج: لم يقل كواحدة من النساء، لأن أحد: نفي عام للمذكر والمؤنث، والواحد والجماعة، وقد يقال على ما ليس بآدمي كما يقال: ليس فيها أحد لا شاة ولا بعير، والمعنى: لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف، ثم قيد هذا الشرف العظيم بقيد فقال: إن اتقيتن فبين سبحانه أن هذه الفضيلة لهن إنما تكون بملازمتهن للتقوى، لا لمجرد اتصالهن بالنبي ﷺ، وقد وقعت منهن ولله الحمد التقوى البينة، والإيمان الخالص، والمشي على طريقة رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته[2].

ذكر ابن جزي والشوكاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٣، عدة مسائل فقهية:

المسألة الأولى: خروج النساء

الخروج لغة: مشتق من الفعل خرج، ومعناه برز من مقره أو حاله وانفصل، معنى الخروج ضد الدخول، وهو لفظ ذو اشتقاقات وتصريفات عديدة، ويستعمل للتعبير

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٠/٣) .

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٣٣٢/٤).

عن استئصال أو انتقال أو انفكاك الشيء عن أصله أو مسكنه أو مصدره أو قراره الأصلي.

الخروج اصطلاحا: انتقال المرأة من مقر إقامتها شرعاً أو ماآلت إليه برضا وليها مطلقاً.

لما كان لخروج المرأة أحكام تختلف باختلاف حال المرأة ووضعها إذ إن المرأة المتزوجة تختلف أحكام خروجها عن غير المتزوجة خاصة من حيث الإذن ومن يأذن لها، والمرأة المعتدة تختلف عن غيرها والشابة تختلف عن العجوز.

الأصل أن تبقى المرأة في بيتها ولا تخرج منه إلا لضرورة أو حاجة، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الأحزاب: ٣٣.

ومعنى الآية: الأمر بلزوم البيت.

هل الخطاب خاص بنساء النبي ﷺ أم هو عام لنساء أمة محمد ﷺ؟

فأمر الله نساء النبي ﷺ بملازمة بيوتهن وخاطبهن بذلك تشريفاً لهن ونهاهن عن التبرج، فالخطاب وإن كان خاصاً إلا أن الحكم يعم نساء المسلمين فقد جاءت أدلة أخرى تدل على دخولهن في الحكم مع نساء النبي ﷺ[1].

المراد بالقرار بالبيت:

تقدم اختلاف القراء في قراءة وقرن على قولين؛ وقد اختلف المعنى تبعاً لاختلاف القراءة ومع اختلاف المعنى فالاستدلال بها على المراد حاصل.

القراءة الأولى: قراءة نافع وعاصم بفتح القاف، والمصدر فيها قرار، ويقال قَرِرت في المكان إذا أقمت فيه، بكسر الراء.

---

(1) ذكر هذا الاستدلال الألوسي، روح المعاني، (٦/٢٢).

ومعنى الآية يكون اسكنّ في بيوتكن ولا تتحركن ولا تبرجن منها[١].

واستدل ابن جزي والشوكاني لتأكيد المعنى بأثر سودة قيل لها: ما لك لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقر في بيتي، فو الله لا أخرج من بيتي حتى أموت قال: فو الله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنازتها[٢].

وأثر عائشة أن الله أمرك أن تقري في منزلك.

القراءة الثانية: قراءة البقية بكسر القاف، وتحتمل هذه القراءة على وجهين:

أحدهما: أن يكون من الوقار: وَقَر يقر وقاراً، أي: سكن، والأمر قِرْ، وللنساء قِرْن، فيكون معنى الآية أي كن أهل وقار وهدوء وسكينة، وفيه دلالة على النساء مأمورات بلزوم البيت، منهيات عن الخروج[٣].

والوجه الثاني: أن يكون من القرار، تقول: قَرَرت بالمكان–بفتح الراء– أَقِرَّ.

فعلى القراءتين يكون الأمر بلزوم البيت بهدوء وسكينة، وعدم الخروج منه إلا لضرورة وبهذا يمكن الجمع بين معنى الآية على القراءتين.

المسألة الثانية: التبرج

التبرج لغة: تباعد بين الحاجبين وكل ظاهر مرتفع فقد برج، وإنما قيل للبروج بروجاً لظهورها وبيانها وارتفاعها، والتبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال.

قال الشوكاني: التبرج: أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره، مما تستدعي به شهوة الرجل[٤].

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، (١٥٣٥/٣).
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٠/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٣٧/٤).
(٣) أحكام القرآن، الجصاص، (٣٦٠/٣).
(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٣٣٣/٤).

والتبرج محرم بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۝٣٣﴾ الأحزاب: ٣٣، فهذه الآية ليست خاصة بنساء النبي ﷺ بل هي عامة لنساء المسلمين، فالآية صريحة الدلالة على النهي عن التبرج.

ثم ذكر ابن جزي والشوكاني الخلاف في المراد بالجاهلية الأولى على عدة أقوال:

القول الأول: أن الجاهلية الأولى هي: ما بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. واستحسن هذا القول الشوكاني وقال: ويمكن أن يراد بالجاهلية الأخرى: ما يقع في الإسلام من التشبه بأهل الجاهلية بقول، أو فعل، فيكون المعنى: ولا تبرجن أيتها المسلمات بعد إسلامكن مثل تبرج أهل الجاهلية التي كنتن عليها، وكان عليها من قبلكن، أي: لا تحدثن بأفعالكن وأقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التي كانت من قبل.

القول الثاني: أن الجاهلية الأولى هي: مابين آدم ونوح.

القول الثالث: أن الجاهلية الأولى هي: مابين نوح وإبراهيم، وقيل ولد إبراهيم عليه السلام وكانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال[1].

القول الرابع: أن هذه الجاهلية ما بين موسى وعيسى[2].

والراجح:

مارجحه ابن جزي والشوكاني من أن المراد بذلك هو الجاهلية التي تسبق الإسلام.

المسألة الثالثة: المراد بأهل البيت

ثم ذكر ابن جزي والشوكاني أقوال أهل العلم في المراد بأهل البيت، وناقشا

---

(1) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، (١٤/١٧٩).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٧٠) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٣٣).

حجج كل قول واستدلاله، ثم قالا: أنها نزلت في خمسة: في ولد عليّ وفاطمة والحسن والحسين[1].

ذهب أهل العلم بالمراد بأهل البيت في الآية على ثلاثة أقوال:

القول الأول: هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلي، وكل من حرمت عليهم الصدقة، لحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا، بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: (أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به)، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: (وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) ثلاثاً، فقال له حصين: ومن أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليهم الصدقة بعده، قال ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم، قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده؟ قال: نعم[2].

القول الثاني: أنهم أزواجه خاصة، والبيت هنا السكن، روي عن ابن عباس وعكرمة وعطاء ومقاتل وسعيد بن جبير.

القول الثالث: روي أن هذه الآية نزلت في خمسة؛ قال عليه الصلاة والسلام: فيّ وفي عليّ وفاطمة والحسن والحسين[3].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧١/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٣٤/٤-٣٣٧).

(2) رواه مسلم في صحيحه، فضائل علي رضي الله عنه، (٢٤٠٨) وقد أورد هذا جمهور المفسرين كالطبري والبغوي وابن العربي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور.

(3) جاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وموقوفاً كما عند الطبري وابن كثير، وجاء عن أم سلمة في مسند الإمام أحمد (٢٩٢/٦) وسنن الترمذي كما سيأتي.

الراجح:

ما رجحه الإمام ابن جزي والإمام الشوكاني من التوسط بين الأقوال:

أن أهل بيت النبي ﷺ هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلي وكل من حرمت عليهم الصدقة، لأن السياق يدل زوجات النبي ﷺ وسبب نزول الآية في حقهن، وأن علياً وفاطمة والحسن والحسين يدخلون بالآية فلكونهم قرابته وأهل بيته في النسب، ونص حديث الكساء[1] دخولاً أولياً، وأن آل علي وآل جعفر وآل العباس والذين حرمت عليهم الصدقة داخلون في عموم الآية؛ لأن آل الرجل هم الذين يؤول إليهم ويرجع إليهم لما روي في صحيح مسلم حديث غدير خم.

قال الشوكاني _ بعد ذكره للأقوال والمناقشة لها وذكر من توسط بين الأقوال _ : فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله وإهمال ما لا يجوز إهماله، وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما[2].

([1]) حديث الكساء: عن أم سلمة قالت: نزلت في بيتي: (إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. رواه الترمذي في "سننه " وصححه، كتاب التفسير، باب (٣٢٠٥) وفي كتاب " المناقب " (٣٧٨٧) والحاكم وصححه.

([2]) فتح القدير، الشوكاني، (٣٣٦/٤).

المبحث الثالث: أحكام المعاملات

تقدم في آيات أحكام العبادات تقسيم التكاليف، وتقسيم هذا الفصل إلى عبادات ومعاملات، وأدخلت أحكام الأسرة في المعاملات، والمقصد بالمعاملات هنا هي: الأحكام والتكاليف الشرعية التي تتعلق بين العبد وبين الناس في الدنيا، مما يبنى على المشاحة، وخصها بعض العلماء بالأحكام المتعلقة بالمال[1].

الآيات التي تتحدث عن آيات الأحكام في المعاملات:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ الأحزاب: ٢٨.

ذكر الإمامان عند تفسير هذه الآية عدة مسائل، وقد تقدم في أسباب النزول الكلام باستفاضة عن سبب نزولها:

تعريف الطلاق في اللغة: هو حل الوثاق والإطلاق هو الإرسال والتّرك، ويأتي الطّلاق أيضاً بمعنى إزالة القيد[2].

وللطلاق في اصطلاح الفقهاء عدة تعريفات متقاربة؛ منها أنه: "حل قيد النكاح أو بعضه"؛ أي: بعض قيد النكاح إذا طلقها طلقة رجعية[3].

المسألة الأولى: التخيير بالطلاق

التخيير في الطلاق: هو أن يخير الرجل زوجته بين أن تبقى معه وبين فعل شيء معين، كأن يقول لها: أنت مخيرة إما تتركي كذا وكذا أو تفارقيني، فلها أن تختار ما

---

(1) معجم لغة الفقهاء، قلعجي، (ص٤٣٨)، المعاملات المالية المعاصرة، محمد عثمان شبير، (ص ١٠).

(2) مختار الصحاح ، (١٦٦/١)، لسان العرب، ابن منظور،(٢٢٧/١٠)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،(ص٣٧٦).

(3) كشاف القناع (٢٣٢/٥).

تشاء، والآية أصل في ذلك وتخيير النبي ﷺ لأزواجه، ومجرد التخيير لا يعد طلاقاً عند جمهور العلماء.

اختلف أهل العلم في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه:

القول الأول: أنه خيرهن بإذن الله في البقاءعلى الزوجية أو الطلاق فاخترن البقاء.

وبهذا القول قالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، ورجح هذا القول ابن جزي والشوكاني[1].

القول الثاني: أنه إنما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن وبين الآخرة فيمسكهن، ولم يخيرهن في الطلاق.

وبهذا قال علي رضي الله عنه.

المسألة الثانية: إذا اختارت المخيرة زوجها هل تحسب لها طلقة أو لا؟

القول الأول: إذا اختارت المرأة المخيرة زوجها لا يكون التخيير طلاقاً لا واحدة ولا أكثر.

وإلى هذا ذهب جمهور العلماء، واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين قالت: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه فلم يعده طلاقاً.

القول الثاني: إذا اختارت المرأة المخيرة زوجها تعد طلقة واحدة بائنة.

المسألة الثالثة: إذا اختارت نفسها، هل تقع طلقة واحدة رجعية أو بائناً أو ثلاثاً؟

القول الأول: تقع طلقة واحدة رجعية، وهذا مذهب الشافعي وأحمد، وهو مروي عن عمر وابن مسعود وعائشة وجابر وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم جميعاً.

رجح هذا القول الشوكاني.

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٦٨/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٣١/٤).

القول الثاني: تقع طلقة بائنة، وهو مذهب أبي حنيفة وروي عن مالك.

القول الثالث: تقع ثلاثاً في المدخول بها، وهو مذهب مالك.

بعد أن ذكر ابن جزي الأقوال ومذهب مالك، قال رحمه الله: ووصف السراح بالجميل يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث، أو يريد أنه ثلاث[1].

ويرى ابن حزم أن التخيير لا يعد طلاقاً سواء اختارت أو اختارت نفسها-إلا أن يطلق الزوج- والله أعلم[2].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ الأحزاب:٤٩.

يخاطب الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين فيقول: يا أيها الذين آمنوا إذا عقدتم عقد الزواج على المؤمنات وتزوجتموهن، ثم طلقتموهن من قبل أن تقربوهنّ فليس لكم عليهن حق في العدّة تستوفون عددها عليهنّ لأنكم طلقتموهن قبل المِساس وهذا لا يستلزم احتباس المرأة في البيت وجلوسها في العدّة من أجل صيانة نسبكم لأنكم لم تعاشروهن فليس هناك احتمال للحمل، فالواجب عليكم أن تمتعوهن بدفع ما تطيب نفوسكم لأنكم لم تعاشروهن فليس هناك احتمال للحمل، فالواجب عليكم أن تمتعوهن بدفع ما تطيب نفوسكم لهن، وتكرموهنّ بشيء من المال أو الكسوة تطييباً لخاطرهن وتخفيفاً لشدة وقع الطلاق عليهن وأن تفارقوهنّ بالمعروف فلا تؤذوهن بقول أو عمل، ولا تحرموهن مما وجب لهن عليكم من حقوق، فإنّ ذلك من مقتضى إيمانكم وطاعتكم لله سبحانه.

يرى ابن جزي والشوكاني أن الآية مبينة حكم المطلقة التي لم يدخل بها، وأن

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٦٨/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٣١/٤).

(2) المحلى، ابن حزم، (١١٦/١٠ومابعدها).

العدة تسقط عن المطلقة قبل الدخول، ونقل الشوكاني الإجماع في ذلك، وتقدم معنا في الناسخ والمنسوخ يرجيحهما تخيصيص هذه الآية بآية سورة البقرة، والجمع مقدم على دعوى النسخ[1].

النكاح في الآية هو العقد، والمس هو الجماع.

{فَمَتِّعُوهُنَّ} : أي اعطوهن المتعة في الأصل ما يَمتّع به من مالٍ أو ثياب، و المتعة كل ما يعطيه الزوج لمطلقته ارضاءً لها وتخفيفاً من شدة وقع الطلاق عليها.

{وَسَرِّحُوهُنَّ} : أي طلقوهن، قال القرطبي: التسريح إرسال الشيء ومنه تسريح الشعر ليخلص البعض من البعض، وسرّح الماشية: أرسلها، والمراد هنا تركهن وعدم حبسهن في منزل الزوجية.

هل يقع الطلاق قبل النكاح؟

ذكر الشوكاني هذه المسألة وأقوال العلماء فيها، وابن جزي لم يتطرق لها[2]:

أجمع الفقهاء على أن الطلاق لا يقع قبل النكاح استدلالاً بقوله تعالى: {إِذَا نَكَحْتُمُ المؤمنات ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ} فقد رتّب الطلاق على النكاح وعطفه (بثمّ) التي تفيد الترتيب مع التراخي، واختلفوا فيمن علّق الطلاق مثل قوله: (إن تزوجت فلانة فهي طالق)، أو قوله: (كل امرأة أتزوجها فهي طالق) على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب الإمام الشافعي و الإمام أحمد: أنه لا يقع الطلاق وهو مروي عن (ابن عباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما.

المذهب الثاني: مذهب الإمام أبي حنيفة و الإمام مالك: أنه يقع الطلاق بعد عقد الزواج وهو مروي عن (ابن مسعود) رَضِيَ اللَّهُ عَنْه.

ومذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد ذهب إليه الجمهور من الصحابة

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٦/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٤٨/٤).
(2) فتح القدير، الشوكاني، (٣٤٨/٤-٣٤٩).

والتابعين وقد عدّ البخاري منهم أربعة وعشرين في باب (لا طلاق قبل النكاح) وهو منقول عن (ابن عباس)، فقد روي أنه سئل عن ذلك أي (عن الطلاق المعلَّق) فقال: هو ليس بشيء، فقيل له إن (ابن مسعود) يخالفك يقول: إذا طلّق ما لم ينكح فهو جائز، فقال: رحم الله أبا عبد الرحمن، لو كان كما قال لقال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن) ولكن إنما قال {إِذَا نَكَحْتُمُ المؤمنات ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ}.

والخلاصة فإنَّ الطلاق بعد النكاح يقع باتفاق الفقهاء، والطلاق المنجّز قبل النكاح لا يقع باتفاق، والطلاق المعلّق على النكاح يقع عند الحنفية والمالكية ولا يقع عند الشافعية والحنابلة، والله تعالى أعلم.

والعدّة في اللغة: مأخوذة من العَدّ وهو إحصاء الشيء[1]، لأن المرأة تعدّ الأيام التي تجلسها بعد طلاق زوجها لها أو وفاته.

والمعتدة لغة هي من تركت الزينة لموت زوجها[2].

والعدة شرعاً: المدة التي تتربص فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها، أو للتعبد، أو للتفجع على زوج مات.

وقيل: هي تربص يلزم المرأة عند رد النكاح المتأكد أو شبهته[3].

والعدة إما أن تكون بعد طلاق وإما تكون بعد وفاة.

والمعتدة بعد الوفاة: تكون معتدة أيضاً.

هل الخلوة الصحيحة توجب العدّة والمهر؟

ظاهر الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: {مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ} الذي هو كناية

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، (٣/٢٨١).

(2) المصباح المنير، (١/١٧١).

(3) التعريفات، الجرجاني(ص١٤٨).

عن الجماع أنَّ الخلوة ولو كانت صحيحة لا توجب ما يوجبه الجماع من العدّة والمهر، وهذا مذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، ودليله: أن الله سبحانه وتعالى نفى وجوب العدّة إذا طلقت قبل الجماع، والخلوةُ ليست جماعاً فلا يجب بها العدّة ولا المهر.

وذهب الحنفية والحنابلة إلى أن الخلوة كالجماع توجب المهر كاملاً، وتوجب العدّة.

وقد اختلف القائلون بوجوب العدّة بالخلوة الصحيحة فمنهم من يقول: إنها واجبة (ديانةً، وقضاءً) ومنهم من يقول بوجوبها قضاء لا ديانة لأن القاضي إنما يحكم بالظاهر.

هل تجب المتعة لكل مطلّقة؟

يرى ابن جزي أن ظاهر قوله تعالى: {فَمَتِّعُوهُنَّ} إيجاب المتعة للمطلقة قبل الدخول سواءً فرض لها مهر أو لم يفرض لها مهر، ويقوّي هذا الظاهر قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ البقرة: ٢٤١، فقد أوجبت لكل مطلقة (المتعة) وقد اختلف الفقهاء في وجوب المتعة على أقوال[1]:

أ – إنها واجبة لكل مطلّقة فرض لها مهر أم لم يفرض لها مهر عملاً بظاهر الآية وهو مذهب (الحسن البصري).

ب – إن المتعة واجبة للمطلّقة قبل الدخول التي لم يفرض لها مهر وهو مذهب (الحنفية والشافعية)، وبهذا قال (ابن عباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما، وأما التي فرض لها مهر فتكون المتعة لها مستحبة.

ح – إن المتعة مستحبة للجميع وليست واجبة لأحدٍ من النساء وهو مذهب (المالكية) .

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٦/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٤٨/٤).

وسبب الخلاف بين الفقهاء في (وجوب لمتعة) أو استحبابها هو أنه قد ورد في القرآن الكريم آيات كريمة ظاهرها التعارض، فمنها ما يوجب المتعة على الإطلاق، ومنها ما يوجب المتعة عند عدم ذكر المهر المفروض لها، ومنها ما لم ينصّ على المتعة أصلاً فلهذا وقع الخلاف بين الفقهاء.

أما الآيات الكريمة فهي آية الأحزاب ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ الأحزاب:٤٩، وآية: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ البقرة: ٢٣٦، وآية: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴿٢٣٧﴾﴾ البقرة: ٢٣٧.

فالآية الأولى مطلقة والثانية مقيّدة بقيدين (عدم المسّ، وعدم الفرض) وأول الآية هو قوله تعالى: {لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النسآء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ} [البقرة: ٢٣٦] الآية.

والثالثة أوجبت نصف المهر فقط ولم تذكر المتعة، فمن الفقهاء –كما تقدم عن ابن جزي والشوكاني– من جعل آية البقرة مخصّصة لآية الأحزاب ويكون المعنى (فمتعوهن إن لم يكن مفروضاً لهن المهر في النكاح) وبهذا التفسير قال (ابن عباس) ويؤيده أن المتعة إنما وجبت دفعاً لإيحاش الزوج لها بالطلاق، فإذا وجب للمطلّقة قبل الدخول نصف المهر كان ذلك جابراً للوحشة فلا تجبُ لها المتعة.

الترجيح:

يظهر من الأدلة أن حجة الفريق الثاني وهم (الحنفية والشافعية) أقوى وأظهر وهو مذهب ابن عباس وفيه جمع بين الأدلة والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ الأحزاب: ٥٠ – ٥١.

ذكر الإمامان لهذه الآية قولان في معناها:

الأول: إن الله أحلّ له أن يتزوّج كل امرأة يؤتيها مهرها، فتكون الآية مبيحة لجميع النساء ما عدا ذوات المحارم.

الثاني: المراد أحللنا لك أزواجك الكائنات عندك؛ لأنهنّ قد اخترنك على الدنيا وزينتها، وبه قال الجمهور[1].

ومذهب الجمهور استظهره الشوكاني وقال: وهذا هو الظاهر؛ لأن قوله: { أحللنا}، و { آتيت } ماضيان، وتقييد الإحلال بإيتاء الأجور ليس لتوقف الحلّ عليه، لأنه يصح العقد بلا تسمية، ويجب مهر المثل مع الوطء، والمتعة مع عدمه، فكأنه لقصد الإرشاد إلى ما هو أفضل.

{ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ } أي: السراري اللاتي دخلن في ملكه بالغنيمة.

ومعنى { مِمَّا أَفَاء الله عَلَيْكَ } مما ردّه الله عليك من الكفار بالغنيمة لنسائهم المأخوذات على وجه القهر والغلبة، وليس المراد بهذا القيد إخراج ما ملكه بغير الغنيمة، فإنها تحلّ له السرية المشتراة، والموهوبة، ونحوهما، ولكنه إشارة إلى ما هو أفضل كالقيد الأوّل المصرّح بإيتاء الأجور.

وذكر الإمامان رحمهما الله تعالى عند تفسيرهما لهذه الآيات عدة مسائل:

المسألة الأولى: هل يجوز النكاح بلفظ الإجارة أو الهبة؟

لا خلاف بين الفقهاء على أن عقد النكاح ينعقد باللفظ الصريح، وهو لفظ (النكاح أو الزواج) وبكل لفظ مشتق من هذه الصيغة، إذا لم يقصد به الوعد لقوله تعالى:﴿

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٦/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٤٩/٤).

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾ النساء: ٢٥، ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» فصيغة النكاح والتزويج وردت في الكتاب والسنة. وهي من الصيغ الصريحة في النكاح.

أما النكاح بلفظ الهبة فقد أجازه الحنفية، ومنعه جمهور الفقهاء.

استدل الحنفية على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة بعدة أدلة منها:

قوله تعالى: {إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النبي أَن يَسْتَنكِحَهَا}.

ووجه الاستدلال أنّ الله عَزَّ وَجَلَّ وسمّى العقد بلفظ الهبة نكاحاً فقال: (أن يستنكحها) فدلّ على جواز النكاح بلفظ الهبة، وإذا جاز هذا للنبي ﷺ فقد جاز لنا أيضاً لأننا أمرنا باتباعه والإقتداء به.

وقالوا: إن النبي ﷺ وأمتَّه في عقد النكاح بلفظ (الهبة) سواء، وخصوصيتُه التي أشارت إليها الآية الكريمة {خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمنين} إنما هي في جواز النكاح بدون مهر بدليل قوله تعالى في آخر الآية {لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ} وذلك يشير إلى أنّ الخصوصية دفعت حرجاً، والحرجُ إنما يكون في إلزام المهر؛ لأنه يلزمه مشقة السعي في تحصيل المال، وهو عليه السلام مشغول بشؤون الرسالة، وليس ثمة حرج أن يكون العقد بلفظ النكاح أو التزويج فتكون الخصوصية له عليه السلام في النكاح بدون مهر.

وقالوا أيضاً: مما يؤيد هذا ما روي عن عائشة أنها كانت تعيّر النساء اللاتي وهبن أنفسهنّ للنبي ﷺ وتقول: (ألا تستحيي أن تعرض نفسها بغير صداق) !! فلما نزل قوله تعالى: {تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وتؤوي إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ... } [إلى قوله] {فَلاَ جُنَاحَ} قالت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، وقد تقدّم الحديث، واستدلوا بحديث سهل بن سعد «أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: جئت لأهب نفسي لك. . وفيه فقام رجل من الصحابة فقال يا رسول الله: إن لم تكن لك بها حاجة فزوّجْنيها،

وذكر الحديث إلى قوله: إذهب فقد مَلّكتكها بما معك من القرآن» .

ففي هذا الحديث أنه عقد له النكاح بلفظ التمليك، والهبة من ألفاظ التمليك. فوجب أن يجوز بها عقد النكاح، فلك ما كان من ألفاظ (الإباحة) لم ينعقد به عقد النكاح قياساً على المتعة، وكل ما كان من ألفاظ (التمليك) ينعقد به عقد النكاح قياساً على سائر عقود التمليكات.

واستدل الجمهور (المالكية والشافعية والحنابلة) على عدم جواز النكاح بلفظ الهبة بما يأتي:

أنّ الله تعالى خصّ رسوله بهذه الخصوصية، وهي جواز النكاح بلفظ الهبة بدون مهر فقال جل ثناؤه: {وامرأة مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النبي أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمنين} .

فقوله تعالى: {إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ} وقوله {خَالِصَةً لَّكَ} دليل على أنّ إحلال المرأة عن طريق الهبة إنما كان خاصاً بالنبي ﷺ بدليل قوله تعالى {مِن دُونِ المؤمنين} فالخصوصية له عليه السلام كانت بالهبة (لفظاً ومعنى) لأنّ اللفظ تابع للمعنى.

وقالوا: ما كان من خصوصياته ﷺ، فلا يجوز أن يشاركه فيها أحد.

والآية دلت على أن هذا خاص بالرسول ﷺ أي أن النكاح بدون مهر، وبلفظ الهبة معاً، من خصائصه ﷺ، فمن أين لكم الخصوصية في المعنى دون اللفظ؟ ومن أين لكم أنه يجوز عقد النكاح لغير النبي ﷺ بلفظ الهبة مع إيجاب المهر؟

وأما استدلال الحنفية بحديث (سهل بن سعد) أن النبي عليه السلام زوّج الصحابي بلفظ التمليك بقوله: «اذهب فقد ملّكتُكها بما معك من القرآن» فليس فيه ما يدل لهم، فقد جاء في بعض الروايات «اذهب فقد زوّجتُكها» وليس كل ما يدل على التمليك

ينعقد به النكاح، فلفظ الإجارة يدل على التمليك ومع ذلك لا ينعقد به النكاح باتفاق[1].

الراجح:

مارجحه الإمامان وهو مذهب جمهور العلماء، خلافاً للحنفية وقد بسط أدلتهم الإمام الجصاص، إلاّ أنّ النصّ ورد بالخصوصية للرسول ﷺ في (نكاح الهبة) والظاهر أنّ المراد منه (اللفظ والمعنى) ، وحمله على لامعنى دون اللفظ يحتاج إلى دليل، وصيَغُ النكاح لا يجري فيها القياس.

وقد قال الإمام مالك رحمه اللّه: إنّ الهبة لا تحل لأحد بعد النبي ﷺ إن كانت هبة نكاح، والله أعلم.

المسألة الثانية: هل كان عند النبي امرأة موهوبة؟

ذكر ابن جزي والشوكاني هذه المسألة وخلاف العلماء في ذلك[2]:

القول الأول: لم ينكح النبي ﷺ من الواهبات أنفسن أحداً، ولم يكن عنده منهن شيء، ويؤيد هذا قراءة الجمهور "إنْ وهبت" بكسر الهمزة،أي: إن وقع، كما قال ابن جزي.

القول الثاني: أن الهبة وقعت من كثير من النساء، وعلى هذا القراءة الشاذة "أن وهبت" بفتح الهمزة،أي: لأن وهبت، وأصحاب هذا القول اختلفوا فيمن هي التي وهبت نفسها؟

وقد وردت روايات كثيرة منها القوي ومنها الضعيف في أسماء الواهبات أنفسهنّ، منهنّ (أم شريك) و (خولة بنت حكيم) – كما في صحيح البخاري عن عائشة–، و (ليلى بنت الخطيم) ولكن لم يكن عند رسول الله ﷺ منهنّ أحد.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٧/٣-١١٧٨) فتح القدير، الشوكاني، (٣٤٩/٤-٣٥١).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٧/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٥٠/٤).

وقيل: (ميمونة بنت الحارث) و(زينب بنت خزيمة) كذلك من الواهبات أنفسهنّ.

قال ابن جزي: قال عن ابن عباس: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين، لا بهبة نفسها[1].

وقال ابن كثير: «اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير، كما قال البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالت: كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهنّ للنبي صلى الله عليه وسلم وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلمّا أنزل الله تعالى: {تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وتؤوي إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ابتغيت مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ} قلت: ما أرى ربك إلاّ يسارع في هواك»[2].

المسألة الثالثة: عند قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾.

ذكر الإمامان في تفسيرهما مسألة هل كان القسم واجباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان يقسم بينهن بالعدل ويقول: اللهمّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما لا أملك[3]، يريد بقوله (ما لا أملك) ميل القلب نحو بعض نسائه كعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها[4].

واستدلوا بأنّ القسم كان واجباً عليه بأنه ﷺ كان يستأذن بعض نسائه فيقول:

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٧/٣).

(2) تفسير ابن كثير، (٢١٣/٦).

(3) رواه أحمد وأبو داود(٢١٣٤) والترمذي (١١٤٠) والنسائي (٣٩٣٤) وابن ماجه(١٩٧١)عن عائشة، وضعفه بعض العلماء.

(4) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٧٨/٣-١١٧٩) فتح القدير، الشوكاني، (٣٥٢/٤-٣٥٤).

أتأذنّ لي أن أبيت عند فلانه، وقد ورد في ذلك أحاديث صحيحة.

وذهب أكثر العلماء على أن هذه الآية الكريمة نزلت مبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم معاشرة من شاء من نسائه دون أن يكون القسم عليه واجباً، ومع ذلك فقد كان يعدل بينهنّ ويسوّي في القسمة.

قال ابن جزي: والمعنى على كل قول توسعة على النبي ﷺ، وإباحة له أن يفعل ما يشاء، وقد اتفق الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه: أخذا منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له، والضمير في قوله منهنّ: يعود على أزواجه ﷺ خاصة أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم[1].

وقال ابن كثير: «وذهب طائفة من العلماء من الشافعية وغيرهم، إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه ﷺ ، واحتجوا بهذه الآية الكريمة، وقال البخاري عن معاذ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أنها قالت: كان النبي ﷺ يستأذننا في يوم المرأة منا، بعد أن نزلت هذه الآية {تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وتؤوي إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ابتغيت مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ} فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت كنت أقول: إن كان ذلك إليّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً»[2]،[3] والصحيح أن القسم لم يكن واجباً عليه وهو اختيار الجمهور، ورجحه الشوكاني[4].

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ الأحزاب: ٥٢.

ذكر ابن جزي والشوكاني كلام العلماء في المراد بقوله:**(لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ)**

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٧٨-١١٧٩).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم (٤٧٨٩).

(3) تفسير ابن كثير، (٦/٢١٥).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٥١).

على ثلاثة أقوال[1]:

القول الأول: أن الآية محكمة، والمعنى لا يحل لك النساء من غير اللاتي في عصمتك، واللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ولا تزيد عليهن، مكافأة لهن بما فعلن من الاختيار.

القول الثاني: لا يحل لك النساء من غير الأصناف التي ذكرها الله في الآية السابقة.

القول الثالث: لا يحل لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات. واستبعد هذا القول ابن جزي والشوكاني.

الراجح أن المعنى لا يحل لك النساء من بعد زوجاتك اللاتي في حياتك، ومن سمى الله من الأصناف التي ذكر في الآية وهن: بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته والواهبة نفسها للنبي ﷺ وملك اليمين التي من الفيء.

وقد تقدم ترجيح ابن جزي والشوكاني أن الآية منسوخة بالسنة وبقوله سبحانه: (تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وتؤوي إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ).

ذكر الإمامان اختلاف العلماء في المراد بالمبادلة:

القول الأول: المعنى لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلاً منها، لأنهن أمهات المؤمنين وقد حرمهن على غيره حين اخترنه.

يرى الشوكاني التبدل من جملة ما نسخه الله في حق رسوله على القول الراجح.

القول الثاني: أن هذا من المبادلة وهو ما كانت العرب تفعله في النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل، وينزل الآخر له عن زوجته. وضعف هذا القول ابن

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٧٩-١١٨٠) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٥١-٣٥٢).

جزي، وأنكر الطبري في معنى الآية: وما فعلت العرب قط هذا.

والراجح هو القول الأول وهو ترجيح ابن جزي والشوكاني وهو قول الجمهور[1].

تقدم الكلام عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ الأحزاب: ٥٣، **وقوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ الأحزاب: ٥٩.

أمر الله المؤمنات بالحجاب وارتداء الجلباب صيانة لهنّ وحفظاً.

المسألة الأولى: معنى الجلباب

الجلابيب: جمع جلباب.

القول الأول: أن الجلباب ثوب أكبر من الخمار.

قال في «لسان العرب»: الجلباب ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل: هو الملحفة.

القول الثاني: هو الرداء.

القول الثالث: القناع.

القول الرابع: الثوب الذي يستر جميع البدن

قال ابن عباس: أُمر نساءُ المؤمنين أن يغطّين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٨٠/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٥٢/٤-٣٥٤).

إلا عيناً واحدة ليُعْلم أنهنّ حرائر[1].

الراجح:

أنه لا فرق بين الأقوال؛ فالجلباب هو ما تلفه المرأة على صدرها وظهرها ورأسها ثم ترسله على بدنها فيستر جميع البدن، ويدل على أنه أوسع من الخمار وهو مذكور في كتب اللغة.

المسألة الثانية: هل يجب الحجاب على جميع النساء؟

يدل ظاهر الآية الكريمة على أنّ الحجاب مفروض على جميع المؤمنات (المكلفات شرعاً) وهنّ: (المسلمات، الحرائر، البالغات) لقوله تعالى: {ياأيها النبي قُل لأزواجك وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ المؤمنين}.

فلا يجب الحجاب على الكافرة لأنها لا تكلّف بفروع الإسلام، وقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون، ولأنّ (الحجاب) عبادة لما فيه من امتثال أمر الله عزّ وجلّ، فهو بالنسبة للمسلمة كفريضة الصلاة والصيام.

المسألة الثالثة: في صفة الإدناء المأمور به في الآية[2]؟

القول الأول: أن تلويه على وجهها ولا تظهر إلا عيناً واحدة تبصر بها.

القول الثاني: أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها.

القول الثالث: أن تغطي نصف وجهها.

تقدم في أسباب نزول الآية أن الشوكاني ذكر حديث سودة وأم سلمة: لما نزل هذه الآية {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جلابيبهن} خرج نساء الأنصار كأنّ على رؤوسهنّ الغُربان من أكسية سودٍ يلبسنها.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٨٤/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٤/٤).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٨٤/٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣٦٤/٤-٣٦٥).

المسألة الرابعة: هل الأمر بالحجاب خاص بأزواج النبي أم هو عام؟

الآيات الكريمة وردت في شأن بيوت النبي ﷺ خاصة، تعظيماً لرسول الله، وتكريماً لشأنه، ولكنّ الأحكام التي فيها عامّة تعمُّ جميع المؤمنين، لأنها آداب اجتماعية، وإرشادات إلهية، يستوي فيها جميع الناس، فالأمر بعدم الاختلاط بالنساء، وبسؤالهن من وراء حجاب، ليس قاصراً على أزواج الرسول، ولكنه عام يشمل جميع نساء المؤمنين، فإذا كان نساء الرسول ﷺ لا يجوز الاختلاط بهن، ولا النظر إليهن، مع أنهن (أمهات المؤمنين) يحرم الزواج بهن، ولا يجوز سؤالهن إلا من وراء حجاب، فلا شكَّ أن الاختلاط بغيرهن من النساء، أو التحدث إليهن بدون حجاب، يكون حراماً من باب أولى، لأن الفتنة بالنساء متحققة.

ثمّ إنّ أمر الحجاب ليس خاصاً بأزواج الرسول ﷺ، بل هو عام لجميع نساء المؤمنين، بدليل قوله تعالى في آخر السورة { ياأيها النبي قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ}.

فهل خرجت مؤمنة من هذا الخطاب؟ وهل أمر الحجاب خاص بنساء الرسول حتى يزعم بعض المضلين، أن الحجاب مفروض على نساء الرسول ﷺ خاصة دون سائر النساء؟!

المسألة الرابعة: هل المباح لهن أن يظهرن له الإماء فقط أو الإماء والعبيد؟

القول الأول: أن الذي يجوز لهن الظهور لهم: الإماء دون العبيد.

القول الثاني: أنه يجوز الظهور على الإماء والعبيد لأن حكم الآية عام.

استظهر هذا القول ابن جزي ورجحه الشوكاني.

قال زيد: كن أزواج النبي ﷺ لا يحتجبن من المماليك. زاد المسير وابن كثير سورة النور.

الراجح: هو القول الثاني لأنه ظاهر الآية، والعام يبقى على عمومه حتى يرد

ما يخصصه، وليس هنا ما يخصص هذا الحكم[1].

المسألة الخامسة: من قالوا بدخول العبيد، اختلفوا هل المراد به من كان في ملكهن أو حتى من كان في ملك غيرهن أيضاً؟ أو هل هذا الحكم مختص بمن كان في ملكهن أو يدخل فيه كل مملوك؟ قولان: -ذكر هذه المسألة ابن جزي-[2].

القول الأول: أن هذا خاص بمن ملكنه من العبيد دون من ملكه غيرهن.

القول الثاني: جميع العبيد كن في ملكهن أو في ملك غيرهن.

الراجح:

القول الأول وهو الذي استظهره ابن جزي لأنه ظاهر الآية.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٨٢-١١٨٣) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٦٥).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٨٣).

الفصل الخامس: مقارنة بين التفسيرين في الآيات الكونية وآيات القصص والأمثال، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآيات الكونية.

المبحث الثاني: آيات القصص.

المبحث الثالث: آيات الأمثال.

المبحث الأول: الآيات الكونية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالآيات الكونية.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المطلب الأول: التعريف بالآيات الكونية.

تعريف الكون في اللغة: الكاف والواو النون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماض، أو زمان راهن، يقولون كان الشيء يكون كونا إذا وقع وحضر.

والكَون: الحدَث وقد كان كوَنا وكيْنُونِة، والكائنة الحادِثة، والتَّكوُّن التحرك، تقول العرب لمن تشنؤه: لا كان ولا تكوَّن؛ لا كان: لا خُلق، ولا تكوّن: لا تحرك، أي مات، والكائنة: الأمر الحادث، وكوَّنه فتكوَّن: أحدثه فحدث، وكوّن الشيء: أحدثه. والله مكوِّن الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود، والكَوْن: واحد الأكْوان[1].

وكوّن الشيء: ركبه بالتأليف بين أجزائه. والكون: الوجود المطلق العام، واسم لما يحدث دفعة كحدوث النور عقب الظلام مباشرة، وإن كان الحدث بالتدريج فهو الحركة، والكونان: الدنيا والآخرة[2].

ويستعمل مصطلح الكون في الفيزياء، وفي الفلك ليشير إلى كل شيء موجود، من أصغر الذرات إلى أكثر الأجرام الفلكية بعدًا[3].

ويطلق مسمى الكون اليوم على هذا الفضاء الواسع وما به من أجرام، كالسماوات والأرض وما فيهن وما بين ذلك من كل متحرك وساكن مما علمه الإنسان

([1]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٤٨/٥)، ولسان العرب، ابن منظور،(٥/ ٣٩٥٩ – ٣٩٦٣)، وتهذيب اللغة، الأزهري، (٣٧٥/١٠-٣٧٦).

([2]) المعجم الوسيط، (٢/ ٨١٢).

([3]) الموسوعة العربية العالمية، إعداد مجموعة من الباحثين، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية،(٢٠/ ٢٨٥).

وما جهله[1].

المراد بالآيات الكونية: يتبين لنا مما سبق أن المراد بالآيات الكونية: الآيات التي تتطرق لموضوع الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، وذلك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات[2]، فكل المخلوقات ذواتها، وصفاتها، وأحوالها من الآيات الكونية.

وهي العجائب – أي السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما– التي في الكون، ويسميها الله سبحانه آيات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فصلت: ٣٧.

قال الشوكاني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ غافر: ١٣: أي: دلائل توحيده، وعلامات قدرته.... جمع سبحانه بين إظهار الآيات، وإنزال الأرزاق، لأن بإظهار الآيات قوام الأديان، وبالأرزاق قوام الأبدان، وهذه الآيات هي: التكوينية التي جعلها الله سبحانه في سماواته، وأرضه، وما فيهما، وما بينهما[3].

وهذه الآيات الكونية هي مناط الاستدلال العقلي على وجود الإله[4]، وعلى أن خالقها هو الرب المعبود وحده[5]، وعلى ما له من حكمة، ورحمة، وقدرة ....

---

(1) الأجزاء الكونية بين النقل والعقل، لعبد العزيز آل عبد الله، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى،(٧٧/١)، والموسوعة الفلكية لفايجرت، وتسمرمان، ترجمة: عبد القوي عياد، ومحمد جمال الدين الفندي: ٣٢٩، ٤٠٤.

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الطبعة الأولى،(١٤١/١).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٥٧٦/٤).

(4) النبوات، ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز الطويان، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، (٢/ ٧٧٧).

(5) أضواء البيان، الشنقيطي، (٣٣٩/٧)

الآيات الكونية تتنوع وتنقسم باعتبارات مختلفة، فمن ذلك[1]:

أولاً: من حيث العينية، فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: أن تكون من الأعيان، كالشمس والقمر والنجوم والأرض والجبال ... فهذه أعيان ظاهرة.

النوع الثاني: أن تكون من الأعراض[2] التي تقوم بغيرها – وتسمى الظواهر الكونية–، كالخسوف والكسوف والزلازل والشهب والنوم[3].

ثانياً: من حيث التكرار والوقت، فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: آيات متكررة، وتتنوع في أوقاتها، ومنها:

١ – آيات يومية: مثل طلوع الشمس والقمر والليل والنهار.

٢ – آيات موسمية أو فصلية: كتغير الأجواء والفصول الأربعة والأمطار في الغالب.

٣ – آيات ليس لها وقت منتظم يعرفه الناس دون استدلال ونظر: كالخسوف والكسوف والزلازل.

النوع الثاني: آيات غير متكررة: وهي التي لا تكون إلا في آخر الزمان:

---

(١) استفدت ونقلت هذه التقسيمات من كتاب: الآيات الكونية دراسة عقدية،عبد المجيد بن محمد الوعلان، رسالة، رسالة ماجستير، قسم العقيدة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض (ص٢١– ومابعدها).

(٢) العرَض: بالتحريك هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به،– التعريفات، للجرجاني، (ص٢٢٥)، والكليات، لأبي البقاء أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية،(ص٦٢٥).

(٣) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، لزكريا بن محمد القزويني، بعناية سوزان مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦:(ص١٣).

كطلوع الشمس من مغربها، وما يحدث للسماء والأرض عند قيام الساعة.

ثالثاً: باعتبار من تقع عليه، فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الآيات النفسية: وهي ما يظهره الله من علامات وآثار قدرته في ذوات وأجسام الإنسان من حواس وقوى، وقدرات عقلية وجسمية، وما يصابون به من شر أو خير، ومن نعمة أو نقمة: كالنوم والمرض.

النوع الثاني: الآيات الآفاقية[1]: وهي ما يظهره الله من علامات قدرته في الأشياء الخارجية، أي الأشياء المحسوسة في أقطار السماوات والأرض.

رابعاً: باعتبار مكان وقوعها، فتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأرض وما فيها وما هو متصل بها.

النوع الثاني: ما نراه فوقنا من هذه المنطقة الفضائية بما فيها من أجرام مضيئة وغير مضيئة.

النوع الثالث: السماوات العلى بما فيها وما فوقها من الكرسي والعرش[2].

ومنهم من قسمها باعتبار مكان وقوعها، إلى نوعين:

النوع الأول: العلويات: ويقصد به ما يتعلق بالسماء وأبراجها والكواكب ومداراتها، والشمس والقمر وما يتصل بذلك من علم الفلك.

النوع الثاني: السفليات: وهي ما دون الأفلاك العلوية من النار والهواء والماء والتراب والرياح والسحاب والأرض والجبال والأشجار والبحار والأنهار والحجار

---

(1) الآفاق: جمع أفق وهو الناحية من الأرض المتميزة عن غيرها، أو ما ظهر من نواحي الفلك وآطراف الأرض. – لسان العرب، ابن منظور،(١/ ٩٦)، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي(ص ٧٧٨).

(2) الأجزاء الكونية بين النقل والعقل: ٩ – ١٠.

والحيوانات والإنسان والنبات والطيور[1].

خامساً: من حيث الظهور والاختفاء، فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: آيات منتظمة الظهور والاختفاء، مثل الشمس والقمر والليل والنهار.

النوع الثاني: آيات لا تختفي أبداً، مثل السماوات والأرض والجبال والبحار.

سادساً: من حيث الدلالة فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: نوع يوضح الحكمة الإلهية والسنن الحكيمة في إيجاد الخلق وإنشاء الحوادث.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ الحجر: ٨٥، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾﴾ طه: ٥٠، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ يونس: ٥.

النوع الثاني: يتحدث عن المخلوقات ويصف نظام إيجادها الحكيم وأحوالها وفقاً لأحكام سنته، وتنفيذاً لإرادته ومشيئته ويصف ما فيها من رحمات ونعم للعباد[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ آل عمران: ١٩٠.

سابعاً: من حيث الاستدلال لها فتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: حسي، لا يحتاج إلى نظر واستدلال، ولا إلى دليل شرعي، كطلوع الشمس من مشرقها وحرارتها.

---

(1) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٢٠، ٨٩.

(2) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، لحنفي أحمد، دار المعارف، مصر، ط ٣٥: ٣.

النوع الثاني: نظري، يحتاج إلى نظر واستدلال[١]، كمعرفة وقت الكسوف والخسوف.

النوع الثالث: غيبي، لا يمكن معرفته إلا من طريق النصوص الشرعية، كطلوع الشمس من مغربها، وسجودها تحت العرش، وما يحدث للكون في آخر الزمان[٢].

في القرآن الكريم ما يزيد على ألف آية تتحدث عن معالم هذا الكون، وتذكر مفرداته من السماوات والأرض، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والجبال والبحار والأنهار، والمطر والرعد والبرق[٣].

وهذه الآيات الكونية وما تدل عليه من حقائق علمية، لم تذكر في القرآن الكريم لمجرد الذكر، أو من أجل بيانها للناس ودلالتهم عليها ابتداءً، وإنما هي سيقت مساقا تابعا للغرض والهدف الذي ذكرت في ثناياه، من الاستدلال بها على قضايا كبرى: كالألوهية والنبوات والبعث[٤].

فهذا الكون وعجائبه وتنوعه علامات بينة تثبت قدرة الله وحكمته ووحدانيته لمن يتفكر ويتدبر.

---

(١) الأجزاء الكونية بين النقل والعقل: ١٥، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٦.

(٢) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ١٩.

(٣) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم لمحمد السيد راضي جبريل، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١: ٨١.

(٤) سمات الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم للشيخ ناصر الماجد، موقع ملتقى أهل التفسير على الشبكة العنكبوتية.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

أنزل الله القرآن يخاطب الناس ويدعوهم إلى الإيمان بالله والنظر في الكون والتأمل فيه والتدبير في صنعته في الكون بدء من الإنسان نفسه إلى الأرض وما فيها من جبال ونبات وغيرها ثم السموات ومافيها من مجرات ونجوم وهي دعوة إلى نظرة شاملة في كل آفاق الكون لتفعيل العقل ودعوته إلى الإيمان بالله وحده.

اتفق الإمامان في منهجمها في تفسير الآيات الكونية على بيان الآيات في دعوتهما إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ومعالم الإيمان وأركانه.

واتفقا على بيان دعوة القرآن في عرضه للآيات الكونية أن يدعو الناس إلى تفعيل العقل والتدبر في هذا الكون الذي يدلهم على الله الذي له ملكوت الكون كله وهذه دلائل ربوبيته وتدبيره.

لكن فرق بين الإمامين في بيان معنى الآية وتوضيح المراد منها، فابن جزي في هذا المبحث أوضح من الشوكاني، وتكلم في توجيه الآية بالمعنى العام أفضل، وكذلك في دعوة القرآن للمخالفين والرد عليهم.

قال ابن جزي: فاعلم أنّ معاني القرآن سبعة: هي علم الربوبية،... فأما علم الربوبية: فمنه إثبات وجود الباري ﷻ، والاستدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خلقة الأرض والسموات، والحيوان والنبات، والريح والأمطار، والشمس والقمر، والليل والنهار، وغير ذلك من الموجودات، فهو دليل على خالقه، ومنه إثبات الوحدانية، والردّ على المشركين، والتعريف بصفات الله: من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، وغير ذلك من أسمائه وصفاته، والتنزيه عما لا يليق به[1].

مما تميز به ابن جزي تفسيره لآيات الكونية وعرضه للشاهد منها وربط الكلام

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/٧٠).

بالدعوة إلى الإيمان والتوحيد والتحذير من الشرك في الآيات التي تتحدث عن الخلق وعن تدبير الكون وهو منهج القرآن في الآيات.

وتكلم الشوكاني في عرضه للآيات التي تكلمت عن ربوبية الله سبحانه فيذكر المعنى العام وتفسير المفردات للآية أو توجيهها لبيان التوحيد ونفي الشرك.

ويرى الإمامان إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية وعلى العبرة والبرهان، وعلى المعجزات التي يؤتيها الله رسله لإثبات صدق بلاغهم عن الله.

وهذه المعجزات لا تخرج عن كونها آيات كونية قدرية[1].

وسيأتي كلام الإمامين مفصلاً وموضحاً – إن شاء الله– في الأمثلة والتطبيقات.

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٣٥/٣) و(١٣٠٣/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٨/٤)و(٥٩١/٤).

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

تناول الإمامان في تفسيرهما الآيات الكونية، وهنا أقتصر ذكرها حسب المقرر:

خلق السموات والأرض:

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ سبأ: ٩، **وقال سبحانه:** ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ۖ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٢﴾ فصلت: ٩ – ١٢.

قال ابن جزي: الضمير في يروا للكفار المنكرين للبعث، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم، لأنهما محيطتان بهم، والمعنى ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلمون أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم، ...أي أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم، فيعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً الإشارة إلى إحاطة السماء بهم، أو إلى عظمة السماء والأرض بأن فيهما آية تدل على البعث[1].

وقال الشوكاني: ثم وبخهم سبحانه بما اجترؤ عليه من التكذيب مبيناً لهم أن ذلك لم يصدر منهم إلاّ لعدم التفكر، والتدبر في خلق السماء والأرض، وأن من قدر على هذا الخلق العظيم لا يعجزه أن يبعث من مخلوقاته ما هو دون ذلك، ويعيده إلى ما كان عليه من الذات والصفات، ومعنى { إلى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ }: أنهم إذا نظروا رأوا السماء خلفهم، وقدّامهم، وكذلك إذا نظروا في الأرض رأوها خلفهم، وقدّامهم، فالسماء والأرض محيطتان بهم، فهو: القادر على أن ينزل بهم ما شاء من العذاب

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١١٩٠).

بسبب كفرهم، وتكذيبهم لرسوله، وإنكارهم للبعث، فهذه الآية اشتملت على أمرين:

أحدهما: أن هذا الخلق الذي خلقه الله من السماء، والأرض يدلّ على كمال القدرة على ما هو دونه من البعث كما في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ يس: ٨١، والأمر الآخر: التهديد لهم بأن من خلق السماء، والأرض على هذه الهيئة التي قد أحاطت بجميع المخلوقات فيهما قادر على تعجيل العذاب لهم[1].

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ فاطر: ١.

الله -عز وجل- يثني ويمدح نفسه ويحمدها لخلقه للسماوات والأرض.

وقال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ فاطر: ٤١.

أخبر جل وعلا أن السماء والأرض تقوم بأمره لها، وتسخيره إياها، وأنه ممسك لها أن تقع على الأرض إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ الروم: ٢٥، فلا يقدر على ذلك إلا الله، وهذا من أدلة ربوبيته.

وقد أمر الله رسوله -ﷺ- أن يقول للكفار المشركين بالله، المكذبين لرسوله: إن الله هو رب السماوات والأرض، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ ص: ٦٥ - ٦٦، فهو وحده الذي قهر كل شيء وغلبه، وهو المالك له المتصرف فيه.

قال الشوكاني: بيان قدرة الله سبحانه، وبديع صنعه بعد بيان ضعف الأصنام، وعدم قدرتها على شيء، وقيل: المعنى: إن شركهم يقتضي زوال السماوات والأرض كقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٧٥).

﴿٩١﴾ مريم: ٩٠ – ٩١، { وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مّن بَعْدِهِ } أي: ما أمسكهما من أحد من بعد إمساكه، أو من بعد زوالهما، والجملة سادّة مسدّ جواب القسم والشرط، ومعنى: { أَن تَزُولاَ }: لئلا تزولا، أو كراهة أن تزولا، قال الزجاج: المعنى: أن الله يمنع السماوات والأرض من أن تزولا، فلا حاجة إلى التقدير، قال الفرّاء، أي: ولو زالتا ما أمسكهما من أحد، قال: وهو مثل قوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ الروم: ٥١، وقيل: المراد زوالهما يوم القيامة، وجملة: { إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } تعليل لما قبلها من إمساكه تعالى للسماوات، والأرض[1].

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١﴾ يس: ٧٧ – ٨١.

قال ابن جزي: هذا دليل آخر على البعث، بأن الإله الذي قدر على خلق السموات والأرض على عظمهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها، والضمير في مثلهم يعود على الناس وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ذكر في هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث، وكذلك في قوله إِنَّما أَمْرُهُ إذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولا شك أن الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ في هذا استدلال على البعث، وتنزيه لله عما نسبه الكفار إليه من العجز عن البعث، فإنهم ما قدروا الله حق قدره، وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى[2].

قال الشوكاني: ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم خلقاً من الإنسان،... ومعنى الآية: أن من قدر على خلق السماوات، والأرض – وهما في غاية العظم، وكبر الأجزاء – يقدر

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٢٤).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٣٠-١٢٣١).

على إعادة خلق البشر الذي هو صغير الشكل ضعيف القوّة، كما قال سبحانه: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ غافر: ٥٧[1].

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ ص: ٢٧.

أخبر الله -عز وجل- أنه خلق السماوات والأرض بالحق وللحق، وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعباً، وأن ذلك بالعدل والحكمة.

قال ابن جزي: أي عبثا بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا المعنى أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقة السموات والأرض عندهم باطلا بغير الحكمة، فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخروي أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أم هنا استفهامية يراد بها الإنكار: أي أن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار، بل يجازي كل واحد بعلمه لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء، وفيه أيضا وعد ووعيد[2].

قال الشوكاني: ما خلقنا هذه الأشياء خلقاً باطلاً خارجاً على الحكمة الباهرة، بل خلقناها للدلالة على قدرتنا[3].

قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ غافر: ٥٧.

قال ابن جزي: والمراد به الاستدلال على البعث، لأن الإله الذي خلق

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٥٨).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٦٥-١٢٦٦).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥١١).

السموات الأرض على كبرها، قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها، وقيل: المراد توبيخ الكفار المتكبرين، كأنه قال: خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم، وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم، والأول أرجح لوروده في مواضع من القرآن لأنه قال بعده: إن الساعة لآتية لا ريب فيها فقدم الدليل، ثم ذكر المدلول[1].

قال الشوكاني: ثم بيّن سبحانه عظيم قدرته،...أي: أعظم في النفوس، وأجلّ في الصدور، لعظم أجرامهما، واستقرارهما من غير عمد، وجريان الأفلاك بالكواكب من غير سبب، فكيف ينكرون البعث، وإحياء ما هو دونهما من كل وجه كما في قوله: { أَوَ لَيْسَ الذى خَلَقَ السموات والأرض بقادر على أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم } سورة يس:٨١، قال أبو العالية: المعنى: لخلق السموات، والأرض أعظم من خلق الدجال حين عظمته اليهود، وقال يحيى بن سلام: هو احتجاج على منكري البعث، أي: هما أكبر من إعادة خلق الناس { ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ } بعظيم قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء[2].

الليل والنهار والشمس والقمر:

قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ يس: ٣٧ – ٤٠.

وقد ذكر الله –عز وجل– من الأدلة على وجوده وقدرته التامة خلق الشمس وجريانها، والاستدلال بانتظامها وحركتها على وجوب إفراده بالعبادة، فالله الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام، وهذا دليل ظاهر على عظمة الخالق، وعظمة أوصافه، وأنه ليس معه آلهة أخرى؛ ولكن الظالمين بآيات الله

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٣١٠).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٩١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يجحدون[1].

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ فاطر: ١٣، **وقال سبحانه:** ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥﴾ الزمر: ٥.

ففي هذه الآيات ينبه تعالى عباده على آياته العظام، ومننه الجسام، في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان، والشمس والقمر يدوران، والنجوم الثوابت والسيارات، في أرجاء السماوات نورا وضياء، وأن ذلك استقام للناس بجعل الله حركات الشمس والقمر على نظام واحد لا يختلف، وذلك من أعظم دلائل علم الله وقدرته، وهذا بحسب ما يظهر للناس منه ولو اطلعوا على أسرار ذلك النظام البديع لكانت العبرة به أعظم.

وبين تعالى قدرته على خلق الأشياء وتسخيره إياها على مقتضى حكمته، فذكر أنه خلق الشمس، وأنها تحت قهره وتسخيره ومشيئته، وأنها تجري لأجل مسمى، وأن جريانها مع القمر بحساب مقدر، لا يتغير ولا يضطرب، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء، قال تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ يس: ٣٩ – ٤٠، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾ الأنعام:٩٦، فدلهم الله –عز وجل– بذلك على قدرته ووحدانيته.

قال ابن جزي: قدرنا سيره منازل، ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر، ثم يستتر في آخر الشهر ليلة أو ليلتين، وقال الزمخشري: وهذه المنازل هن مواضع النجوم وهي السرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة الصرفة، العوى، السماك، الغفر، الزباني، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد بلع، سعد الذابح، سعد السعود،

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٥٩٢/٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، بطن الحوت... لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، وهكذا قال بعضهم، ويحتمل أن يريد أن سير الشمس في الفلك بطيء، فإنها تقطع الفلك في سنة وسير القمر سريع، فإنه يقطع الفلك في شهر، والبطيء لا يدرك السريع وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ يعني أن كل واحد منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعدّاه، فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار، كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس: أي لا تجتمع معه فيكون المعنى كالذي قيل في قوله «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر» فحصل من ذلك أن الشمس لا تجتمع مع القمر وأن القمر لا يجتمع مع الشمس[1].

ولما كان هذا الأمر يدل على قدرة الله تعالى وتقديره وعلمه وعزته ختمت كثير من هذه الآيات بالعزة والعلم – والعلم من مراتب الإيمان بالقدر–، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ يس: ٣٧ – ٣٨.

القمر آية من آيات التي تدل على خالقها وعلى قدرته وعلمه وحكمته، فهو آية عظيمة على عظمة الرب وكبريائه، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ يس: ٣٧ – ٤٠.

وكثيراً في القرآن ما يقرن بين الشمس والقمر، ويقسم الله بهذه الآيات العظيمة؛ والليل إذا يغشى، والشمس وضحاها وغيرها من الآيات.

وقال تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٢٢-١٢٢٣).

فصلت: ١١، **وقال سبحانه:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ فصلت: ٣٧ – ٣٩.

وأخبر الله–عز وجل– في آيات كثيرة عن خضوع هذه الآيات الكونية له، طوعاً وكرهاً، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ النحل: ٤٨ – ٤٩، فجميع ما خلقه في السماوات وما دب على الأرض ومشى على ظهرها من مخلوقات كلها خاضعة لربها، تسجد له {طَوْعًا وَكَرْهًا) [1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ۖ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ فاطر: ١٢ – ١٤.

فهذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر دالة على كماله سبحانه وتعالى وإحسانه: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ أي: الذي انفرد بخلقها وتسخيرها، وهو وحده المتصرف فيها، وهو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله، وأن الذي يدعى من غير الله الله لا يملكون شيئاً"}.

وأخبر النبي –ﷺ– أن ملك الله –عز وجل– لا ينقص منه شيء ولو أعطى كل إنسان مسألته إلا كما ينقص البحر إذا أدخل فيه المخيط، وهذا من باب التوضيح والتقريب وإلا فملك الله أعظم من ذلك، وعن أبي ذر –رضي الله عنه– عن رسول الله –صلى

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٣٥/٣) و(١٣٠٣/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٨/٤)و(٥٩١/٤).

الله عليه وسلم- عن الله -عز وجل- قال: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك من ملكي شيئا، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر» وقد استدل الله بما على الأرض من بحار وأنهار وما في صفاتها من دلالة زائدة على دلالة وجود أعيانها، بتفرده سبحانه وتعالى بالإلهية فقال تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}،" فصيغ هذا الاستدلال على أسلوب بديع إذ اقتصر فيه على التنبيه على الحكمة الربانية في المخلوقات وهي ناموس تمايزها بخصائص مختلفة واتحاد أنواعها في خصائص متماثلة استدلالاً على دقيق صنع الله تعالى، ويتضمن ذلك الاستدلال بخلق البحرين أنفسهما لأن ذكر اختلاف مذاقهما يستلزم تذكر تكوينهما، فالتقدير: وخلق البحرين العذب والأجاج على صورة واحدة وخالف بين أعراضهما، ففي الكلام إيجاز حذف، وإنما قدم من هذا الكلام تفاوت البحرين في المذاق واقتصر عليه؛ لأنه المقصود من الاستدلال بأفانين الدلائل على دقيق صنع الله تعالى" الذي يستلزم إفراد الله بالعبادة لأن القادر على ذلك هو الله وحده.

أن من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقه ومشيئته، وأن الله -عز وجل- نبه على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، وفي هذه الآيات الكونية -البحار والأنهار- يقول تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

وهذا التفاوت دليل عقلي على مشيئة الله تعالى التي خصصت ما خصصت منها بطعمه، فهذا عذاب فرات وهذا ملح أجاج، وقدرة الله وحكمته ورحمته، وسعة علمه. الاستدلال ضرب الأمثال للتوضيح والتقريب، ومن ذلك مما يتعلق بهذه الآيات الكونية

-البحار والأنهار- قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}، وهذا مثل ضربه الله في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن، فالإيمان لا يشتبه بالكفر في الحسن والنفع كما لا يشبه البحر العذب والملح الأُجاج، ومن كل أي ومن كل واحد منهما تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية"، وقوله -عز وجل-: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}، وقوله -عز وجل-: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا}، وهذا كثير في القرآن فانظر إلى هاتين الآيتين وما تضمنتاه من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته، كيف جعل الليل سكنا ولباسا، يغشى العالم فتسكن فيه الحركات وتأوى الحيوانات إلى بيوتها والطير إلى أوكارها، وتستجم فيه النفوس وتستريح من كد السعي والتعب، حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها وتطلعت إلى معايشها وتصرفها جاء فالق الإصباح سبحانه وتعالى بالنهار، يقدم جيشه بشير الصباح، فهزم تلك الظلمة ومزقها كل ممزق، وكشفها عن العالم فإذا هم مبصرون، فانتشر الحيوان وتصرف في معاشه ومصالحه، وخرجت الطيور من أوكارها، فياله من معاد ونشأة دال على قدرة الله سبحانه على المعاد الأكبر وتكرره.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ فصلت: ١٥.

قال الشوكاني: لما ذكر سبحانه عادًا، وثمود إجمالاً ذكر ما يختص بكل طائفة من الطائفتين تفصيلاً، فقال: { فَأَمَّا عَادٌ فاستكبروا فِى الأرض بِغَيْرِ الحق } أي: تكبروا عن الإيمان بالله، وتصديق رسله، واستعلوا على من في الأرض بغير الحق، أي: بغير استحقاق ذلك الذي وقع منهم من التكبر، والتجبر،... { وَكَانُواْ بئاياتنا يَجْحَدُونَ } أي: بمعجزات الرسل التي خصهم الله بها، وجعلها دليلاً على نبوّتهم، أو بآياتنا التي أنزلناها

على رسلنا، أو بآياتنا التكوينية التي نصبناها لهم، وجعلناها حجة عليهم، أو بجميع ذلك[1].

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٦٠٦).

المبحث الثاني: آيات القصص، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بآيات القصص.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المطلب الأول: التعريف بآيات القصص.

القصص لغة: القاف والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبُّع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصَصْتُ الأثر، إذا تتبَّعتَه، ومن ذلك اشتقاقُ القِصاص في الجراح، وذلك أنه يُفعَل به مثلُ فعله بالأوّل، فكأنَّه اقتصَّ أثره، ومن الباب القِصَّة والقَصَص، كلُّ ذلك يُتَتَبَّع فيذكر، وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة _ وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ۝٣﴾ يوسف: ٣، أي نبين لك أحسن البيان[١].

وقد أشار ابن جزي إلى المعنى اللغوي للقصص، فقال: القصص: لها معنيان؛ من الحديث، ومن قص الأثر.. [٢].

وقال في موضع آخر عند تفسيره قوله تعالى: (أَحْسَنَ الْقَصَصِ) سورة يوسف:٣، يعني قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقصّ محذوف، لأن ذكر القرآن يدل عليه.

وبمثله ذكر الشوكاني وأشار إلى المعنى اللغوي للقصص، فقال: القصص: تتبع الشيء، ومنه قوله تعالى:﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۝١١﴾ القصص: ١١، أي تتبعي أثره، وهو مصدر، والتقدير: نحن نقص عليك قصصا أحسن القصص، فيكون بمعنى الاقصاص، أو هو بمعنى المفعول أي المقصوص... فيكون المعنى: نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن[٣].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (١٩٩/١١)، الصحاح تاج اللغة، الجوهري،(١٠٥١/٣)، المحكم والمحيط ، ابن سيده، (١٠١/٦)، تاج العروس، الزبيدي،(٩٨/١٨)، المعجزات القرآنية حقائق علمية، أحمد أبو شوفة، دار الكتب العلمية الوطنية، ليبيا،٢٠٠٣م، (ص ٢٠٨).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٥٩/١).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٦/٣-٧).

والقصص اصطلاحاً: هي حديث من القرآن الكريم ينبئ عن آثار الغابرين، ويحكي أحداثاً ماضية من أجل العظة والاعتبار[1].

وقال ابن جزي أما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدّمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين[2].

وقال في موضع آخر: واعلم أنّ السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والردّ على المشركين، وفي قصص الأنبياء.

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين؛ كقصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، ويوسف، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول ﷺ كغزوة بدر وأحد، وغزوة حنين وتبوك، وغزوة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

وللقصص القرآني فوائد نجمل أهمها فيما يأتي:

---

(1) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (ص٣٠٦)، البيان القصصي في القرآن،إبراهيم عوضين،(ص١٨) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٧١/١).

إيضاح أسس الدعوة إلى الله ، وبيان أصول الشرائع التي يبعث بها كل نبي، وتثبيت قلب رسول الله ﷺ وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان البطل وأهله، وتصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم، وتسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له، ومقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليها السامع، وترسخ عبره في النفس: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: ١١١.

تقدم كلام ابن جزي في المناسبات في تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۝٢٠ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ ص: ١٨ – ٢١، قال: تسلية للنبي ﷺ، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدّة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء، والمقصد: ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبي ﷺ، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرّجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر سيدنا محمدا ﷺ بذكرهم، ليعلمه أنه يفرج عنه ما يلقى من إذاية قومه، ويعقبها بالنصر والظهور عليهم[1].

ذكر الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿* وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾ يونس: ٧١، قال: شرع في ذكر قصص الأنبياء، لما في ذلك من التسلية

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٥٩-١٢٦٠).

لرسول الله ﷺ، فقال:{ واتل عَلَيْهِمْ }أي: على الكفار المعاصرين لك، المعارضين لما جئت به بأقوالهم الباطلة[1].

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾ سبأ: ٣٤، قال: لما قص سبحانه حال من تقدم من الكفار أتبعه بما فيه التسلية لرسوله، وبيان أن كفر الأمم السابقة بمن أرسل إليهم من الرسل هو كائن مستمر في الأعصر الأول[2].

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ٣٥﴾ الفرقان: ٣٥، قال: ذكر سبحانه طرفاً من قصص الأولين تسلية له ﷺ بأن تكذيب قوم أنبياء الله لهم عادة للمشركين بالله، وليس ذلك بخاص بمحمد ﷺ[3].

تكرار القصص وحكمته:

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة قد يتعدد ذكرها في القرآن.

ومن القصص القرآنية مالا يأتي إلا مرة واحدة مثل قصة لقمان وأصحاب الكهف ومنها ما يأتي متكررًا حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر.

وجاء في مقدمة ابن جزي لماذا تتكرر قصص الأنبياء فقال: فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأوّل: أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرى، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٢/٥٨٣).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٣٩٣).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٩٢).

الثاني: أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريق الإطناب. وفي مواضع على طريق الإيجاز، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الثالث: أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدّد ذكرها بتعدّد تلك المقاصد، فمن المقاصد بها إثبات نبوة الأنبياء المتقدّمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذّبهم بأنواع من المهالك، ومنها إثبات النبوة لمحمد صلّى الله عليه وسلّم لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ هود: ٤٩، ومنها إثبات الوحدانية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ هود: ١٠١، ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدّة عقابه لمن كفر، ومنها تسلية النبي صلّى الله عليه وسلّم عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدّم من الأنبياء: كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الأنعام: ٣٤، ومنها تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله، ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء، وردّهم على الكفار وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة: ذكرت في مواضع كثيرة، ولكل مقام مقال[1].

وتأتي قصص في القرآن أو حوادث تروى عن مصدر إسرائيلي.

فالإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام _ أي عبدالله _ وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسل منهم فيما بعد إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء، وقد عرفوا باليهود أو بيهود من قديم

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/٧١-٧٢).

الزمان، أما من آمنوا بعيسى عليه السلام فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم النصارى..[1].

فالإسرائيليات هي أخبار منقولة أو مروية عن أهل الكتاب[2] من اليهود أو النصارى من غير طريق القرآن والسنة الثابتة عن النبي ﷺ، ولم يكد يوجد كتاب في التفسير بالمأثور يخلو من الإسرائيليات حتى توهم من نقح هذه الكتب ودرسها أن الإسرائيليات مصدر من مصادر التفسير، وذلك لما وجدوه من تلك الكتب.

وأما ما نقل عن الصحابة مثل عبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، أنهم كانوا ينقلون من أهل الكتاب؛ فليس على اطلاقه إنما هو خاضع للقاعدة القاضية بتصديق ما صدقه الشرع، وتكذيب ما كذبه، والتوقف فيما سوى ذلك، وهي التي أشار إليها قوله ﷺ: لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴿١٣٦﴾ البقرة: ١٣٦...الحديث[3].

ثم جاء جيل النقلة من التابعين ومن بعدهم فقاموا برواية الإسرائيليات والتحدث بها.

فأصل المسألة يرجع إلى حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:(بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج، ومن كذب علي متعمداً

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ ،(صـ ١٢)، والإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة ، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م ، (صـ ١٣).

(2) التعريفات، الجرجاني (صـ ٨٠).

(3) البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير، باب قولوا آمنا بالله ومأأنزل إلينا، رقم (٤٤٨٥)(٩/٦٥٢)، وكتاب الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ " لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء" ،(٧٣٦٢)(١٧/ ٢٦٥)، وكتاب التوحيد، باب مايجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها،(٧٥٤٢) (١٧/٥٩٠).

فليتبوأ مقعده من النار)[1].

فقوله: لاحرج يشعر أن نهياً كان قبل ذلك فجاء الحديث بالرخصة.

وجائز أن يكون مورد الحرج عليهم مما فهموه من قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ العنكبوت: ٥١، كما استدلت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية حين أهدي لها شيء من كتب أهل الكتاب[2].

أو يكون مورد الحرج جاء من نهي النبي ﷺ عن ذلك، كما في حديث:(لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا فإما إنكم تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، والله لوكان موسى بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني)[3].

فهذا نهي صريح عن سؤال أهل الكتاب لعلتين:

العلة الأولى: أن الله سبحانه أغنى هذه الأمة بما أوحى إلى نبيه محمد ﷺ من العلم والهدى، وأن شريعته نسخت ماتقدمها فهو المتبوع الأول لأمته.

والعلة الثانية: أن ماعند أهل الكتاب لايعرف حقه من باطله؛ وذلك لما وقع فيه من قبلهم من التحريف والتبديل.

وهذا المعنى لم ينفك الصحابة عن مراعاته مع ما فهموه من الإذن في الحديث

---

(1) البخاري في" صحيحه " كتاب أحاديث الأنبياء، باب ماذكر عن بني إسرائيل، (٣٤٦١) (٩٥/٨).

(2) تفسير ابن أبي حاتم: رقم (١٧٣٨١) (٩/ ٣٠٧٣).

(3) رواه أحمد في" مسنده "رقم (١٤٦٣١) (٤٦٨/٢٢) ورقم (١٥١٥٦)(٣٤٩/٢٣). وضعف إسناد هذا الحديث محقق مسند الإمام أحمد .

_ " أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح الباري " نبيل بن منصور البصارة، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ، حديث رقم (٣٠٣١) (٤٣٠٨/٦_٤٣١٢) .

عن أهل الكتاب، فأحاديث الإذن أزالت عنهم شبهة المنع المطلق، لكنهم بقوا على ملاحظة المعنى الذي من أجله جاء النهي.

فترخصُ الصحابة عن بني إسرائيل كان في حدود ضيقة وبقدر معين، ويتسم ذلك بأمور ثلاثة:

١_ القلة والندرة.

٢_ أنه أخذ من مسلمة أهل الكتاب، مثل عبدالله بن سلام وكعب الأحبار، وكانوا لايخبرون بما ظهر كذبه، أو عارض القرآن وأصول الإسلام، إنما يخبرون بما يأتي على التصديق لما جاء به النبي ﷺ.

٣_ لم يكن الصحابة يتلقون مايسمعون من ذلك بالتسليم دون نقد وتثبت، حتى عن أخذه عمن أسلم من أهل الكتاب كما تدل على ذلك الآثار عنهم.

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس أن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب بني إسرائيل، ليس هو موسى صاحب الخضر فقال: كذب عدو الله، سمعت أبي بن كعب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل ...الحديث[1].

([1]) البخاري في" صحيحه " كتاب العلم، باب ماذكر في ذهاب موسى إلى الخضر..(٧٤) (٢٩٥/١)، وباب الخروج في طلب العلم ..(٧٨) (٣٠٥/١)، وباب مايستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم ..(١٢٢) (٣٧٩/١_٣٨٠)، وكتاب الإجارة، باب إذا استأجر أجيراً على أن يقيم حائطاً ..(٢٢٦٧) (٣٤/٦)، وكتاب الشروط، باب الشروط مع الناس بالقول (٢٧٢٨) (٦١٦/٦)، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب طوفان من السيل، (٣٤٠١)(٧١١/٧_٧١٢)، وكتاب التفسير، سورة الكهف (٤٧٢٥) و(٤٧٢٦) و(٤٧٢٧)(٣٠٨/١٠_ وما بعدها)، ومسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، رقم (٦١١٣) و(٦١١٧) (١٣٢/١٥_١٣٩).

فهذا وشبهه دليل على منهاج الصحابة فيما كانوا يسمعونه من الأخبار الإسرائيلية.

فالأصل أنها معروضة على ماجاء به القرآن والسنة فما وافق منها فهو شاهد حق وما خالف ردوه.

فهذان قسمان ويبقى قسم ثالث: وهو مالا يوجد له في الكتاب و السنة تصديق أو تكذيب.

فهذا ترخص الصحابة فيه بمعنى صحيح اشتمل عليه، وإن كان لايمكن القطع بصحته أو كذبه من كل وجه، والتوجيه النبوي كان معلوماً للصحابة، قد ثبت غير ما حديث: منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال ﷺ:(لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ...الآية ﴾ سورة البقرة آية رقم: ١٣٦،... الحديث[١].

فخلاصة القول في الإسرائيليات في نظر الصحابة أنها ثلاثة أقسام[٢]:

١_ خبر جاء في القرآن أو السنة مايصدقه فهو حق.

٢_ خبر جاء في القرآن أو السنة مايكذبه فهو باطل.

٣_ خبر لم يأت مايصدقه أو يكذبه فلا يوصف بكونه حقاً أو باطلاً.

وهذا التماري الذي وقع بين ابن جبير ونوف البكالي، هو: هل موسى صاحب الخضر، أو هو موسى آخر، غير التماري الذي وقع بين ابن عباس والحر بن قيس الفزاري، في صاحب موسى هل هو الخضر أو غيره، وكلا الحديثين في الصحيحين كما تقدم.

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) تفسير ابن كثير(١/ ٩)، والإسرائيليات والموضوعات، أبي شهبة(صـ ١٠٦_١٠٨)، الإسرائيليات، الذهبي(صـ ٤١_ ٥٥).

وهذا المنهج جرى عليه الكثير مِنْ مَنْ جاء بعدهم من تلامذتهم من التابعين كأصحاب ابن عباس، فإذا استثنيت تفسير مجاهد فما أقل تلك الأخبار عنهم، لكن وقع من آخرين توسع في ذلك، وإتباع منهج الصحابة في ذلك عاصم مما في تلك الأخبار من الأباطيل، كالذي يحكونه في شأن الأنبياء من النقائص، وبدء الخليقة من الغرائب المخالفة والخرافة.

ومما يؤخذ على كتب التفسير بالمأثور هو ذكر تلك الأخبار مع السكوت عن نقدها.

وهذا خطأ جسيم، فتلك الأخبار إن سلمت من النكارة، فإنها لاتثبت لذاتها، إنما تقبل بشواهدها كما تقدم، ومجانبة ذكر تلك الاخبار في كتب التفسير أصح.

فقد علمت مما تقدم أن الفائدة منها ضعيفة إلا أن تذكر لبيان خلل فيها.

قال الحافظ ابن كثير:(ليعلم أن أكثر مايتحدثون به غالبه كذب وبهتان؛ لأنه قد دخله تحريف وتبديل، وتغيير وتأويل، وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدته لو كان صحيحاً)[1].

([1]) تفسير ابن كثير(٥/٣٣٧_٣٣٨)، و مقدمة تفسيره (١/٩_١٠).

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

اتفق الإمامان بتعريف القصص لغة واصطلاحاً وذكرا أن الحكمة من القصص العبرة والاتعاظ وكذلك الحكمة من تكرار قصص في القرآن.

تطرق ابن جزي للإسرائيليات والقصص في تفسيره، ورسم في مقدمته المنهج الذي سيسلكه اتجاهها، فقال: وأما القصص: فهي من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلا أن الضروري منه: ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زائد مستغنى عنها.

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى أنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح[1].

ومن خلال ما ذكره ابن جزي نلخص منهجه في الإسرائيليات والقصص القرآني بما يلي:

يرى ابن جزي أن القصص من فنون العلم التي تتعلق تعلقاً وطيداً بالقرآن، وبما أن القصص من جملة العلوم التي تضمنها القرآن فلا بد من التعرض لتفسيره.

قسم ابن جزي الإسرائيليات والقصص عموماً إلى قسمين:

ضروري: وهو الذي يتوقف التفسير عليه.

غير ضروري: وهو الذي لا يتوقف التفسير عليه، أي مستغنى عنه.

نقده رحمه الله لبعض المفسرين الذين أوردوا قصصاً لا تليق بمنصب الأنبياء،

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٧٧/١).

وحكوا ما يجب تنزيههم عنه، كقصة داود وسليمان ونبينا محمد عليهم الصلاة والسلام.

أما ما ذكره من اقتصاره على الحديث الصحيح، فهو منهج حسن، لكن ابن جزي لم يلتزم بشرطه على نفسه، بل أورد قصصاً وحكايات تروى حول بعض الآيات، وأطال في سردها أحياناً، وهذا متنافي مع ما ذكره في مقدمة تفسيره بأنه مختصراً وجيزاً، وإن كان قد ضرب صفحاً عن كثير من هذه الروايات[1].

في عدة مواضع من تفسير ابن جزي يقول بعد القصص: وفي هذه القصة قصص كثيرة تركتها لعدم صحتها، ولما فيه من الأقوال الفاسدة... سورة البقرة قصة طالوت، قصة المائدة، سورة الأعراف قصة موسى رؤية الجبل، قصة الذبيح كما سيأتي

أما الشوكاني أورد في تفسيره الروايات الإسرائيلية، كغيره من كتب التفسير إلا أنه يمتاز تفسيره بقلة الإسرائيليات، وإذا وجدت تلك الروايات تكون للرد عليها.

فكان رحمه الله يقف موقف الناقد الحصيف العارف ويوضع الأمور في مواضعها، وبهذا يظهر أن الشوكاني أشد في باب الإسرائيليات من ابن جزي وغيره من المفسرين.

ومما يدل على أن الشوكاني أشد المفسرين انتقاداً للإسرائيليات؛ فلم يدع فرصة تمر دون أن يوجه نقده اللاذع إليها، وإليك نماذج من ذلك:

قصة هاروت وماروت:

قال الشوكاني: فذكر قصة طويلة، وفيها التصريح بأن الملكين شربا الخمر، وزنيا بالمرأة، وقتلاها، وأخرج ابن جرير، عن ابن مسعود، وابن عباس هذه القصة، وقالا: إنها أنزلت إليهما الزهرة في صورة امرأة، وأنهما وقعا في الخطيئة، وقد روي في هذا الباب قصص طويلة وروايات مختلفة استوفاها السيوطي في الدرّ المنثور، وذكر

([1]) منهج ابن جزي، الزبيري، (٤٧٩/١).

ابن كثير في تفسيره بعضها، ثم قال:... وحاصلها راجع في تفصليها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد، إلى الصادق المصدوق المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط، ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال[1].

ذكر الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿٢٤٨﴾﴾ البقرة:٢٤٨، قال بعد ذكره الآثار والأقوال: وأقول: هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقمأهم الله، فجاؤوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين رضي الله عنهم والتشكيك عليهم، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيوانا وتارة جمادا وتارة شيئا لا يعقل، كقول مجاهد: كهيئة الريح لها وجه كوجه الهر، وجناحان وذنب مثل ذنب الهر، وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويا عن النبي ﷺ ولا رأيا رآه قائله، فهم أجل قدرا من التفسير بالرأي وبما لا مجال للاجتهاد فيه، إذا تقرر لك هذا عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سعة، ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي ﷺ لوجب علينا المصير إليه والقول به، ولكنه لم يثبت من وجه صحيح بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن كما في صحيح مسلم عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط، فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها: فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «تلك السكينة نزلت للقرآن»[2].

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (١/١٧٨-١٧٩).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (١/٣٦٥).

قال الشوكاني في قصة موسى مع قومه في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ٦٧﴾ البقرة: ٦٧، قال الشوكاني: وقد روي في هذا قصص مختلفة لا يتعلق بها كثير فائدة... [1].

قال الشوكاني في تفسيره لقصة هلاك قوم لوط:﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢﴾ هود: ٨٢، قال: وقد ذكر المفسرون روايات وقصصاً في كيفية هلاك قوم لوط طويلة متخالفة وليس في ذكرها فائدة لا سيما وبين من قال بشيء من ذلك، وبين هلاك قوم لوط دهر طويل لا يتيسر له في مثله إسناد صحيح، وغالب ذلك مأخوذ عن أهل الكتاب، وحالهم في الرواية معروف، وقد أمرنا بأنا لا نصدّقهم ولا نكذبهم، فاعرف هذا، فهو الوجه في حذفنا لكثير من هذه الروايات الكائنة في قصص الأنبياء وقومهم[2].

([1]) فتح القدير، الشوكاني، (١/١٤٨).

([2]) فتح القدير، الشوكاني، (٢/٦٥٠-٦٥١).

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

نذكر هنا الأمثلة التي ذكرها الإمامان في ثنايا تفسيرهما لنتعرف على موقفهما من آيات القصص " الإسرائيليات".

فقد تطرقا في تفسيرهما لقصص الأنبياء كقصة نوح وإبراهيم وأيوب ويونس وداود وسليمان وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وذكرا قصة سبأ، وقصة أصحاب القرية، وغيرها، نذكر شيء منها هنا لمعرفة منهج الإمامين في آيات القصص:

أولاً: قصة إبراهيم عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ الصافات: ٨٣ -١١٣.

ذكر ابن جزي عند قوله تعالى: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) سورة الصافات:٨٨-٨٩، قال: روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال: إني سقيم ليمتنع عن الخروج معهم، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال: الأول أنها كانت تأخذه الحمى في وقت معلوم، فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى، والثاني أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه أستدل بالنظر في علم النجوم أنه يسقم، فأعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم والثالث أن

معنى نظر في النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم فقال: إني سقيم والنجوم على هذا ما ينجم من حاله معهم، وليست بنجوم السماء، وهذا بعيد وقوله: إني سقيم على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقا لا كذب فيه، ولا تجوّز أصلا، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، أحدها: قوله إني سقيم[1]، ويحتمل إن يكون كذبا صراحا، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال، لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعارضين، فإن أراد أنه سقيم فيما يستقبل، لأن كل إنسان لا بدّ له أن يمرض، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له، وهذان التأويلان أولى، لأن نفي الكذب بالجملة معارض للحديث، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق، أما المعاريض فهي جائزة[2].

يلاحظ من كلام ابن جزي خروجه عن عادة الاختصار، بل أطال رحمه الله في ذكر القصص المتعلقة بقصة إبراهيم لعله لتنزيه الأنبياء جعله يطيل مع أن منهجه الاختصار والاقتصار كما قال في سورة الأنبياء- عند قوله تعالى: (كوني برداً وسلاماً على إبراهيم)-: وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحتها ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيها.

ومال رحمه الله إلى مايوافق السنة الثابتة عن النبي ﷺ، ويلاحظ كذلك من كلامه تنزيهه لنبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن الكذب الصريح الذي لا يمكن أن يحدث من أنبياء الله عليهم السلام.

وهذه الكذبات محمولة على أنها من المعاريض[3]والتورية وهذا أليق والأنسب،

---

(1) متفق عليه عن أبي هريرة.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (3/1245-1247).

(3) المعاريض: أن يريد الرجل أن يكلم الرجل بالكلام الذي إن صرح به كان كذباً، فيعارضه بكلام آخر يوافق ذلك الكلام في اللفظ ويخالفه في المعنى، فيتوهم السامع أنه أراد ذلك، غريب الحديث، أبي عبيد، (4/287).

فإن في المعارض مندوحة عن الكذب ومن وجد محمل سائغ يجوز حمل الكذبات عليه، وأما تسمية النبي ﷺ لما عرّض به إبراهيم عليه السلام كذبات إنما هو كذب باعتبار الأفهام.

وذكر ابن جزي عند قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢).... (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) سورة الصافات:١٠٧.

قال ابن جزي: واختلف الناس في هذا الغلام المبشر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل. وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله ﷺ قال: أنا ابن الذبيحين، يعني إسماعيل عليه السلام، ووالده عبد الله، حين نذر والده عبد المطلب أن ينحر [أحد أولاده وأصابت القرعة عبد الله] إن يسر الله له أمر زمزم، ففداه بمائة من الإبل والثاني أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح وبشرناه بإسحاق فدل ذلك على أن الذبيح غيره والثالث أنه روي أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة، وإنما كان معه بمكة إسماعيل. وذهب عليّ بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوادي إنما كانت بإسحاق لقوله: فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، والثاني أنه روي أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله....[1].

قال الشوكاني: وقد اختلف أهل العلم في الذبيح؟ هل هو إسحاق أو إسماعيل. قال القرطبي: فقال أكثرهم: الذبيح إسحاق وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله، وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود، ورواه أيضا عن جابر، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعمر بن الخطاب، قال: فهؤلاء سبعة من الصحابة. قال: ومن التابعين وغيرهم: علقمة، والشعبي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وكعب

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٤٥-١٢٤٧).

الأحبار، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، والقاسم بن أبي برزة، وعطاء، ومقاتل، وعبد الرحمن بن سابط، والمهري، والسدي، وعبد الله بن أبي الهذيل، ومالك بن أنس كلهم قالوا الذبيح إسحاق، وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى، واختاره غير واحد، منهم: النحاس، وابن جرير الطبري، وغيرهما، قال وقال آخرون: هو إسماعيل، وممن قال بذلك أبو هريرة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس أيضا، ومن التابعين سعيد بن المسيب، والشعبي، ويوسف بن مهران، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي، وعلقمة، وعن الأصمعي قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك، ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة. قال ابن كثير في تفسيره: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى يقال عن بعض الصحابة وليس في ذلك كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأخذ مسلما من غير حجة، وكتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، وقال بعد ذلك وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين.

واحتج القائلون بأنه إسحاق بأن الله عز وجل قد أخبرهم عن إبراهيم حين فارق قومه، فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال: إني ذاهب إلى ربي سيهدين أنه دعا فقال: رب هب لي من الصالحين فقال تعالى: فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب ولأن الله قال: وفديناه بذبح عظيم فذكر أنه في الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم، وإنما بشر بإسحاق،لأنه قال: وبشرناه بإسحاق وقال هنا: بغلام حليم وذلك قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن يصير له إسماعيل، وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق، قال الزجاج الله أعلم أيهما الذبيح، وما استدل به الفريقان يمكن الجواب عنه والمناقشة له.

ومن جملة ما احتج به من قال إنه إسماعيل بأن الله وصفه بالصبر دون إسحاق كما في قوله: وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين، وهو صبره على

الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله: إنه كان صادق الوعد، لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح، فوفى به، ولأن الله سبحانه قال: وبشرناه بإسحاق نبيا فكيف يأمره بذبحه، وقد وعده أن يكون نبيا، وأيضا فإن الله قال: فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب، وأيضا ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة، فدل على أن الذبيح إسماعيل، ولو كان إسحاق لكان الذبح واقعا ببيت المقدس وكل هذا أيضا يحتمل المناقشة...ثم قال: وبما سقناه من الاختلاف في الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل، وما استدل به المختلفون في ذلك تعلم أنه لم يكن في المقام ما يوجب القطع، أو يتعين رجحانه تعينا ظاهرا، وقد رجح كل قول طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير فإنه رجح أنه إسحاق، ولكنه لم يستدل على ذلك إلا ببعض مما سقناه هاهنا، وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل، وجعل الأدلة على ذلك أقوى وأصح، وليس الأمر كما ذكره، فإنها لم تكن دون أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق لم تكن فوقها ولا أرجح منها، ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء، وما روي عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جدا، ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق، هي محتملة ولا تقوم حجة بمحتمل، فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته، وفيه السلامة من الترجيح، بلا مرجح، ومن الاستدلال بما هو محتمل[1].

ذكر الإمامان هنا مسألة من هو الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟ وذكرا الأقوال فيها ونسبتها لإصحابها، وذكرا بعض أدلة الفريقين – والبعض يذكر ثلاثة أقوال كالقرطبي القول بالتوقف– لم يرجح ابن جزي من الذبيح فذكر تفسير الآية كأقوال وذكر الخلاف في المسألة، وذكر القولين فقط، كما لا يرجح أحياناً في بعض المسائل، واكتفى هنا بذكر بعض الأدلة ولم يرجح منها قولاً.

بينما الشوكاني توقف في المسألة نظراً لطول الخلاف في تعيين الذبيح قديماً

([1]) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٨٠-٤٨٦).

وحديثاً، ولعدم وجود دليل صريح وواضح من الكتاب والسنة حسب فهمهم يفيد تعيين الذبيح من هو، فقال الشوكاني بعد ذكره لأدلة الفريقين: وما استدل به الفريقان يمكن الجواب عنه والمناقشة له.

ولعل الراجح والله أعلم هو القول القائل بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام لأن الله ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى: (وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) فدل على أن المذبوح غيره، وأيضاً قوله تعالى: (فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ) سورة هود:٧١، فكيف يأمره بذبح إسحاق، وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق... إلى غير ذلك من الأدلة التي ذكروها، وأما أدلة القول بأنه إسحاق فهي أدلة من الإسرائيليات.

(وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) سورة الصافات:١٠٧، قال: وروي أنه من كباش الجنة، وقيل: إنه الكبش الذي قرب به ولد آدم، ووصفه بعظيم لذلك، أو لأنه من عند الله أو لأنه متقبل، وروي في القصص أن الذبيح قال لإبراهيم: أشدد رباطي لئلا أضطرب، وأصرف بصرك عني لئلا ترحمني، وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع، فحينئذ جاءه الكبش من عند الله، وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية وتركناه لعدم صحته[1].

يلحظ منه لم يطل هنا في القصة كما التزم مع نفسه، وأشار إلى توهينه – ويفهم من كلامه أنه أعرض عن ذلك بسبب ضعف القصص– وعدم الاعتماد عليه ومثل هذا القول يتكرر في عدة مواضع.

ثانياً: قصة أيوب عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾ ص: ٤١ – ٤٤.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٤٧/٣).

ذكر الشوكاني رواية قصة طويلة واستنكرها، فقال: وقد أخرج أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن ابن عباس قال: إن الشيطان عرج إلى السماء، فقال: يا رب سلطني على أيوب، قال الله: لقد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده، فنزل فجمع جنوده، فقال لهم: قد سلطت على أيوب فأروني سلطانكم، فصاروا نيرانا ثم صاروا ماء، فبيناهم في المشرق إذا هم بالمغرب، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق. فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى أهله، وطائفة إلى بقره، وطائفة إلى غنمه وقال: إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف، فأتوه بالمصائب بعضها على بعض، فجاء صاحب الزرع فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك نارا فأحرقته؟ ثم جاء صاحب الإبل، فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل إلى إبلك عدوا فذهب بها، ثم جاء صاحب البقر فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل إلى بقرك عدوا فذهب بها؟ ثم جاءه صاحب الغنم فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على غنمك عدوا فذهب بها؟ وتفرد هو لبنيه فجمعهم في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام بأذنيه قرطان فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح أخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماءهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم؟ فقال له أيوب: فأين كنت؟ قال: كنت معهم، قال: فكيف انفلت؟ قال انفلت، قال أيوب أنت الشيطان ثم قال أيوب أنا اليوم كيوم ولدتني أمي، فقام فحلق رأسه وقام يصلي، فرن إبليس رنة سمعها أهل السماء وأهل الأرض، ثم عرج إلى السماء فقال: أي رب إنه قد اعتصم فسلطني عليه فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك، قال: قد سلطتك على جسده ولم أسلطك على قلبه، فنزل فنفخ تحت قدمه نفخة قرح ما بين قدمه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة وألقي على الرماد حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى عليه، حتى قالت له: ألا ترى يا أيوب قد نزل والله بي من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني برغيف فأطعمتك فادع الله أن يشفيك ويريحك قال: ويحك كنا في النعم سبعين عاما فاصبري حتى نكون في الضراء سبعين

عاما، فكان في البلاء سبع سنين ودعا فجاء جبريل يوما فدعا بيده، ثم قال قم، فقام فنحاه عن مكانه وقال: اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين، فقال اغتسل، فاغتسل منها، ثم جاء أيضا فقال: اركض برجلك فنبعت عين أخرى فقال له اشرب منها، وهو قوله: اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وألبسه الله حلة من الجنة، فتنحى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله أين المبتلى الذي كان هاهنا؟ لعل الكلاب قد ذهبت به أو الذئاب وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك أنا أيوب قد رد الله علي جسدي. ورد عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم، وأمطر عليه جرادا من ذهب، فجعل يأخذ الجراد بيده ثم يجعله في ثوبه وينشر كساءه ويأخذه فيجعل فيه، فأوحى الله إليه يا أيوب أما شبعت؟ قال: يا رب من ذا الذي يشبع من فضلك ورحمتك.

وفي هذا نكارة شديدة، فإن الله سبحانه لا يمكن الشيطان من نبي من أنبيائه ويسلط عليه هذا التسليط العظيم. وأخرج أحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن ابن عباس قال: إن إبليس قعد على الطريق وأخذ تابوتا يداوي الناس، فقالت امرأة أيوب: يا عبد الله إن هاهنا مبتلى من أمره كذا وكذا فهل لك أن تداويه قال: نعم بشرط إن أنا شفيته أن يقول أنت شفيتني لا أريد منه أجرا غيره. فأتت أيوب فذكرت له ذلك، فقال: ويحك ذاك الشيطان، لله علي إن شفاني الله أن أجلدك مائة جلدة، فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثا فيضربها به، فأخذ عذقا فيه شمراخ فضربها ضربة واحدة[1].

وقد ذكر الإمامان فوائد فقهية عند الكلام في هذه القصة، وهي حكم الحيل والحنث والحلف والكفارة.

([1]) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٢٢-٥٢٣).

ثالثاً: قصة يونس عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝١٤١ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ۝١٤٦ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ۝١٤٨﴾ الصافات: ١٣٩ – ١٤٨.

ذكر الإمامان بعد تفسيرهما لقصة يونس عليه السلام باللغة والقراءات والتفسير التحليلي، قال ابن جزي: وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها[1].

وقال الشوكاني: وروي أنهم يزيدون بضعة وثلاثين ألفا، وروي أنهم يزيدون بضعة وأربعين ألفا، ولا يتعلق بالخلاف في هذا كثير فائدة[2].

فنزهوا يونس عليه السلام، وإنما ظن أنه لن يضيق الله عليه بعد فراقه لقومه، فاعتمد الإمامان على تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن التلوث بأقذار المعاصي وتأكيد عصمتهم، وتفنيد هذه المرويات وبيان عدم صحتها.

وقد ذكر الإمامان فائدة فقهية عند الكلام في هذه القصة، وهي القرعة.

رابعاً: قصة داود عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۝٢٠ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝٢٢ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝٢٤ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ۝٢٥ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٥٠).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٩١).

﴿بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝٢٦﴾ ص: ١٧ – ٢٦.

قصة داود تناقلها جمع غفير من المفسرين ومحاولة بعضهم رفعها مع ما فيها من إمساس بمقام الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا تساهل بين.

قال ابن جزي: ... وأجاب الزمخشري عن السؤال فإنه قال: كأن الله قال لنبيه ﷺ: اصبر على ما يقولون، وعظم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زلّ زلة فوبخه الله عليها فاستغفر وأناب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار، وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا[1].

ذكر ابن جزي انتقاده للزمخشري عند ذكر المناسبة بين قول الله تعالى لنبينا محمد ﷺ **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**، وقوله: **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**، حيث أخذ ابن جزي على الزمخشري عدم تأدبه مع نبي الله داود عليه السلام.

أما ابن جزي لم يعقب على بعض الأشياء وتعقب على الآخر واستبعدها لما هو الغالب إلا أنه وقع مما حذر منه رحمه الله، فقد نزه داود وأورد قول علي: (من حدّث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله قدره).

لكن ابن جزي عن منهجه بالاختصار وعدم الاعتماد على الروايات الواهية فحشد عدد من الروايات في قصة داود وبعضها يخل بمقام النبوة، يقول: ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك،

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٦٠).

فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبته، فسأله النزول عنها ففعل، وتزوّجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، فبعث الله إليه ملائكة مثالا لقصته، فقال أحدهما إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، فقال أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابه داود عليه السلام بقوله: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه.

ثم قال: ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا، وإنما عوتب على أمر جائز، كان ينبغي له أن يتنزه عنه لعلوّ مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم، كما قيل:

حسنات الأبرار سيئات المقربين، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة، فكان غنيا عن هذه المرأة فوقع العتاب على الاستكثار من النساء، وإن كان جائزا.

ثم ذكر ابن جزي رواية مشهورة عن المفسرين وهي التي حذر منها على أن صحت الرواية عنه، فقال ابن جزي: وروي هذا الخبر على وجه آخر، وهو أن داود انفرد يوما في محرابه للتعبد، فدخل عليه طائر من كوة فوقع بين يديه فأعجبه، فمد يده ليأخذه فطار على الكوة فصعد داود ليأخذه، فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده، وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت، وهو موضع قل ما تخلص أحد منه، فقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا، فتزوج داود امرأته فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل، وتزوجه امرأته بعده مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها، وقيل: إنّ داود همّ بذلك كله ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك، وروي أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعلمه، وظهر منه ما

يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة[1].

قال الشوكاني: وقد اختلف المفسرون في ذنب داود الذي استغفر له وتاب عنه على أقوال: الأول أنه نظر إلى امرأة الرجل التي أراد أن تكون زوجة له، كذا قال سعيد بن جبير وغيره، قال الزجاج: ولم يتعمد داود النظر إلى المرأة لكنه عاود النظر إليها، وصارت الأولى له والثانية عليه، القول الثاني أنه أرسل زوجها في جملة الغزاة، الثالث أنه نوى إن مات زوجها أن يتزوجها، الرابع أن أوريا-وهو قائد جنده- كان خطب تلك المرأة فلما غاب خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا، فعتب الله عليه حيث لم يتركها لخاطبها، الخامس أنه لم يجزع على قتل أوريا كما كان يجزع على من هلك من الجند، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك، لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة، السادس أنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر كما قدمنا، وأقول: الظاهر من الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريضا لداود عليه السلام أنه طلب من زوج المرأة الواحدة أن ينزل له عنها ويضمها إلى نسائه، ولا ينافي هذا العصمة الكائنة للأنبياء، فقد نبهه الله على ذلك وعرض له بإرسال ملائكته إليه ليتخاصموا في مثل قصته حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه فاستغفر وتاب، وقد قال سبحانه وعصى آدم ربه فغوى وهو أبو والبشر وأول الأنبياء، ووقع لغيره من الأنبياء ما قصه الله علينا في كتابه، ثم أخبر سبحانه أنه قبل استغفاره وتوبته قال: فغفرنا له ذلك أي: ذلك الذنب الذي استغفر من، قال عطاء الخراساني وغيره: إن داود بقي ساجدا أربعين يوما حتى نبت الرعي حول وجهه وغمر رأسه[2].

لو عقب وفند ابن جزي والشوكاني عن القصة لخرجا من العهدة وسلما، لكن الكمال لله وحده، وتابعا بعض المفسرين الذين ذكروا القصة بدون تعقيب، ومن المفسرين من أيد القصة، وبعضهم ذكرها وردها كالزمخشري والرازي والبيضاوي

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٦٢-١٢٦٤).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥٠٨).

والنسفي وأبي حيان والخازن وغيرهم.

لا يلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب...[1]، فهي قصة باطلة ولا تليق بمقام الأنبياء وهذه القصة مبثوثة في كتب قصص الأنبياء وبعض كتب التفسير.

وما أورده الإمامان هنا في حق داود عليه السلام من قبيل الإسرائيليات التي أخذوها من كتب اليهود ولا صحة لها، وهو هراء وافتراء كما قال البيضاوي[2]، وفيها أكاذيب باطلة لا تليق بأفراد الناس فضلاً عن نبي الله داود[3].

وقد ذكر الإمامان بعض الفوائد عند الكلام في هذه القصة منها: حكم الصور والتماثيل كما في سورة سبأ، وحكم طلب الولاية والقضاء، واليمين على المدعي، والشراكة في الأملاك والعقود والمنع من الظلم.

خامساً: قصة سليمان عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۝٤٠﴾ ص: ٣٤ – ٤٠.

ذكر ابن جزي والشوكاني القصة تبعاً لمن تقدمه من المفسرين.

قال ابن جزي: واختلف الناس في قصص هذه الآية، فقال الجمهور: إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه وقيل: أخرجتها له الشياطين من البحر، وكانت ذوات أجنحة، وكانت ألف فرس، وقيل: أكثر فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشي «العصر»، فأسف لذلك، وقال:

---

(1) الشفا بتعريف المصطفى، القاضي عياض، (١٥٨/٢).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٢٧/٥).

(3) تفسير ابن كثير، (٤١٥/٦)، البحر المحيط ، أبو حيان ( )، زاد المسير، ابن الجوزي ( )، والرازي والبقاعي وأبو السعود ( )،أضواء البيان، الشنقيطي، (٣٣٩/٦).

ردوا عليّ الخيل وطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة، ولم يترك منها إلا اليسير، فأبدله الله أسرع منها وهي الريح، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية وقال: تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان عليه السلام؟ وأي ذنب للخيل في تفويت الصلاة فقال بعضهم: إنما عقرها ليأكلها الناس، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله، وقال بعضهم، لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل، بل كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها فلما فرغ من صلاته قال ردّوها عليّ فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة، وقيل إن المسح عليها كان وسما في سوقها وأعناقها بوسم حبس في سبيل الله، فَقالَ إِنّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبّي معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة، فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال: أحدها أن الخير هنا يراد به الخيل، وزعموا أن الخيل يقال لها خير، وأحببت بمعنى: آثرت أو بمعنى فعل يتعدى بمن كأنه قال: آثرت حب الخيل فشغلني عن ذكر ربي، والآخر: أن الخير هنا يراد به المال، لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى «إِنْ تَرَكَ خَيْراً» أي مالا، والثالث: أن المفعول محذوف، وحب الخير مصدر والتقدير: أحببت هذه الخيل مثل حب الخير، فشغلني عن ذكر ربي، وأما الذين قالوا: كان يصلى فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها فالمعنى أنه قال: إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي، وشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها، ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشي يقتضيها، والمعنى حتى غابت الشمس، وقيل: إن الضمير للخيل، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها والأول أشهر وأظهر رُدُّوها عَلَيَّ أي قال سليمان: ردوا الخيل عليّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْناقِ السوق جمع ساق يعني سوق الخيل وأعناقهم: أي جعل يمسحها مسحا، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم، هل هو قطعها وعقرها أو مسحها باليد محبة لها، أو وسمها للتحبيس.

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها، وفي ذلك أربعة أقوال: الأول أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيرا لاسم الله تعالى، فنزعه يوما ودفعه إلى جارية فتمثل لها جني في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، روي أن اسمه صخر، فقعد على كرسيّ سليمان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فارّا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجني قد رماه في البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه، ففتنة سليمان على هذا هي ما جرى له من سلب ملكه، والجسد الذي ألقي على كرسيه هو الجنيّ الذي قعد عليه وسماه جسدا، لأنه تصور في صورة إنسان، ومعنى أناب رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء، أو رجع إلى ملكه، والقول الثاني أن سليمان كان له امرأة يحبها وكان أبوها ملكا كافرا قد قتله سليمان فسألته أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها، وصار صنما معبودا في داره، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوما، فلما علم به كسره فالفتنة على هذا عمل الصورة، والجسد هو الصورة والقول الثالث أن سليمان كان له ولد وكان يحبه حبا شديدا، فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبدا فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه، فالفتنة على هذا حبه الولد، والجسد هو الولد لما مات وسمي جسدا لأنه جسد بلا روح، القول الرابع أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل إلا واحدة بشق إنسان، فالفتنة على هذا كونه لم يقل إن شاء الله، والجسد هو شق الإنسان الذي ولد له، فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسليط الشياطين عليه، وأما القول الثاني فضعيف أيضا مع أنه يبعد أنه يعبد صنم في بيت نبي، أو يأمر نبي بعمل صنم، وأما القول الثالث فضعيف

أيضا، وأما القول الرابع فقد روي في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية[1].

ذكر ابن جزي أغرب الروايات التي ذكرها في قصة داود، إلا إنه ذكر القصة وعدها قولاً من الأقوال التي ذكرت في الآية، إلا إنه نبه على ضعفها واستبعدها ورجح القول الصحيح.

قال ابن جزي: تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها.

وذكر الشوكاني رواية من الإسرائيليات وهي منكرة ولم ينبه على ذلك، فقال: وقد أخرج الفريابي، والحكيم الترمذي، والحاكم وصححه عن ابن عباس في قوله: ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا قال: هو الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يوما، وكان لسليمان امرأة يقال لها جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة، فقضى بينهم بالحق إلا أنه ود أن الحق كان لأهلها، فأوحى الله إليه أن سيصيبك بلاء، فكان لا يدري أيأتيه من السماء أم من الأرض؟

وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم قال السيوطي بسند قوي عن ابن عباس قال: أراد سليمان أن يدخل الخلاء فأعطى لجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأعطته، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين، فلما خرج سليمان من الخلاء قال هاتي خاتمي، قالت قد أعطيته سليمان. قال أنا سليمان، قالت كذبت لست سليمان، فجعل لا يأتي أحدا يقول أنا سليمان إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله، وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: تنكرن من أمر سليمان شيئا؟ قلن نعم إنه يأتينا ونحن نحيض، وما كان يأتينا قبل ذلك، فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٦٦-١٢٦٩).

انقطع، فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أثاروها وقرءوها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته، وكان سليمان يعمل على شط البحر بالأجر، فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان فقال: تحمل لي هذا السمك؟ قال نعم، قال بكم؟ قال بسمكة من هذا السمك، فحمل سليمان السمك ثم انطلق به إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان فشق بطنها فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه، فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان في طلبه، وكان شيطانا مريدا، فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاؤوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب، فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أنباط معه الرصاص فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخله في جوفه ثم شد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر، فذلك قوله: ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا يعني الشيطان الذي كان سلط عليه. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: وألقينا على كرسيه قال: صخر الجني تمثل على كرسيه على صورته[1].

وقال الشوكاني في سورة النمل عن قصة سليمان: وأخرج الحاكم في المستدرك عن جعفر بن محمد قال: أعطي سليمان ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سليمان سبعمائة سنة وستة أشهر، ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والدواب والطير والسباع، وأعطي كل شيء، ومنطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة، حتى إذا أراد الله أن يقبضه إليه أوحى إليه أن يستودع علم الله وحكمته أخاه، وولد داود كانوا أربعمائة وثمانين رجلاً أنبياء بلا رسالة.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٤/٥١٦-٥١٧).

قال الذهبي: هذا باطل، وقد رويت قصص في عظم ملك سليمان لا تطيب النفس بذكر شيء منها، فالإمساك عن ذكرها أولى[1].

وقد ذكر الإمامان بعض الفوائد عند الكلام في هذه القصة منها: حكم تفويت الصلاة، وحكم إهدار المال.

سادساً: مايتعلق بنبينا محمد ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ الأحزاب: ٣٧.

قال ابن جزي: هو زيد بن حارثة الكلبي، وإنعام الله عليه بالإسلام وغيره، وإنعام النبي ﷺ بالعتق وكانت عند زيد زينب بنت جحش وهي بنت أميمة عمة النبي ﷺ، فشكا زيد إلى رسول الله ﷺ سوء معاشرتها وتعاظمها عليه، وأراد أن يطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله، يعني فيما وصفها به من سوء المعاشرة، واتق الله ولا تطلقها فيكون نهيا عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال عليه الصلاة والسلام: أبغض المباح إلى الله الطلاق، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ الذي أخفاه رسول الله ﷺ أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب، ولكنه خاف أن يسلط الله عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه روي أن النبي ﷺ كان حريصا على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه ولحسبها، فقال: أمسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص عليها خوفا من كلام الناس، لئلا يقولوا: تزوج امرأة ابنه إذ كان قد تبناه، فالذي أخفاه ﷺ هو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوّجها، فقالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه، وقيل: إن الله كان أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ: ما أعلمه الله به من ذلك.

([1]) فتح القدير، الشوكاني، (١٦٣/٤).

قال الشوكاني: واذكر إذ تقول للذي أنعم الله عليه وهو زيد بن حارثة، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بأن أعتقه من الرق، وكان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ في الجاهلية وأعتقه وتبناه، وسيأتي في بيان سبب نزول الآية في آخر البحث ما يوضح المراد منها.

قال القرطبي: وقد اختلف في تأويل هذه الآية، فذهب قتادة، وابن زيد، وجماعة من المفسرين، منهم: ابن جرير الطبري، وغيره إلى أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد، وكان حريصا على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو، ثم إن زيدا لما أخبره بأنه يريد فراقها، ويشكو منها غلظة قول، وعصيان أمر، وأذى باللسان، وتعظما بالشرف قال له: اتق الله فيما تقول عنها وأمسك عليك زوجك، وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها، وهذا الذي كان يخفي في نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف.

المراد بالذي أخفاه الرسول ﷺ، فيها قولان:

القول الأول: أنه أخفى إرادة الزواج من زينب امرأة زيد.

القول الثاني: أن ما أخفاه هو ما أوحاه الله إليه من أن زيداً سيطلق زوجته، وأن الله سيزوجه إياها.

وهذا القول الثاني هو الأولى وأليق بعصمة الأنبياء[1]، وهو ترجيح الشوكاني وقول لجمهور المفسرين[2]، وأما ترجيح ابن جزي ليس بصحيح، وأن الأمر الذي أخفاه في نفسه وعاتبه الله عليه هو معرفته بأن زيدا يطلق زوجته ويتزوجها من بعده بتزويج الله له إياها من فوق سبع سموات، فخشي النبي ﷺ أن يأمره بطلاقها ثم يتزوجها بعده، فربما تحدث الناس بقالة سوء في حق النبي ﷺ وأنه أمره بطلاق زينب ليتزوجها من

---

(1) كما قال السمعاني(٤/٢٨٦)

(2) كالزهري والسمعاني والقاضي بن العربي والقرطبي وابن كثير وابن عاشور

بعده، أو أنه تزوج امرأة ابنه من التبني.

وهذا أليق بمقام النبي ﷺ فليس من الأدب مع النبي ﷺ أن يقال في حقه مثل هذا، وخاصة مع عدم وجود الدليل الصريح الصحيح.

والخبر الصحيح عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول اتق الله وأمسك عليك زوجك، وقال أنس لو كان رسول الله كاتما شيئا لكتم هذه، قال فكانت زينب تفتخر على أزواج رسول الله ﷺ زوجني الله من فوق سبع سموات[1].

فثبت أن تزويجه من الله، ولم يثبت أنه ﷺ كان يهوى تطليق زيد لزينب، ولكنه صلى الله عليه وسلك كان في نفسه إن طلقها زيد يتزوجها.

أو يقال أنه أخفى إعلام الله له أن يتزوج زينب فيكون الذي أبداه الله للناس هو زواجه من زينب، وليس رغبته في تطليق زيد لها[2].

فكان ابن جزي رحمه الله يقظاً لم يذكر الروايات الباطلة والموضوعة، وقد أعرض عنها.

والتزم ابن جزي بما الزم به نفسه من عدم الإكثار من القصص، فقد أعرض عن ذكر الكثير منها، وكان ينبه على عدم صحة الكثير، أشار إلى بعض القصص التي تنافي مقام الأنبياء وعصمتهم، ويطيل في بعض المواضع وهذا خلاف منهجه وطريقته للاختصار ووقع مما قد حذر منه.

---

(1) البخاري (٤٧٨٧)، ومسلم

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٥٠/٣٢).

المبحث الثالث: آيات الأمثال، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بآيات الأمثال.

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

المطلب الأول: التعريف بآيات الأمثال.

المثل لغة: الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد، والمثل كلمة تسوية، يقال: هذا مِثلُه ومَثَله كما يقال: شِبْهُه وشَبَهه بمعنى، والمثَلُ: ما يضرب به من الأمثال، ومثل الشيء أيضاً: صفته، والمثال: الفِراش، والجمع مُثُل، وإن شئت خففت، والمثال معروف، والجمع أمثلة ومُثُل، ومثَّلتُ له كذا تمثيلا، إذا صورت له مثاله بالكتابة وغيرها[1].

قال ابن جزي: مثل بفتح الميم والثاء، له أربعة معان؛ الشبيه والنظير، ومن المثل المضروب، وأصله من التشبيه، ومثل الشيء: حاله وصفته، والمثل الكلام الذي يتمثل به، ومثل الشيء بكسر الميم: شبهه[2].

وقال الشوكاني: المثل: الشبه، والمثلان: المتشابهان،....ثم قال: وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأناً عظيماً في إبراز خفيات المعاني ورفع أستار محجبات الدقائق ولهذا استكثر الله من ذلك في كتابه العزيز، وكان رسول الله ﷺ يكثر من ذلك في مخاطباته ومواعظه[3].

وقال في موضع آخر:... وفي ضرب الأمثال زيادة تذكير وتصوير للمعاني[4].

فالمثل تشبيه شيء بشيء في حكمه[5].

والتشبيه: هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى[1].

([1]) الصحاح تاج اللغة، (١٨١٦/٥)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢٩٦/٥)، لسان العرب، ابن منظور، (٢١/١٣)، تاج العروس، (٣٧٩/٣٠).

([2]) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٤٣/١).

([3]) فتح القدير، الشوكاني، (٧٩/١).

([4]) فتح القدير، الشوكاني، (١٣٣/٣).

([5]) أمثال القرآن، ابن القيم (١٤٤/١)، من أعلام الموقعين.

قال الشوكاني: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ العنكبوت: ٤٣، أي هذا المثل، وغيره من الأمثال التي في القرآن نضربها للناس تنبيهاً لهم، وتقريباً لما بعد من أفهامهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي يفهمها ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ بالله الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه[٢].

ومعرفة أمثال القرآن الكريم لا بد منها للعالم المجتهد، فإن " من أعظم علم القرآن علم أمثاله، وقال بعض السلف: " إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ العنكبوت:٤٣[٣].

ويستفاد من ضرب الأمثال في القرآن أمور كثيرة منها:

التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالمشاهد[٤]، **قال الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الزمر: ٢٧. قال الشوكاني:..ثم ذكر سبحانه مثلاً من الأمثال القرآنية للتذكير، والإيقاظ[٥].

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم، الشريف منصور العبدلي، (ص٢٧).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٣/٢٤٥).

(٣) تفسير ابن كثير، (١/٢١١).

(٤) الإتقان، السيوطي، (٢/٢٨٣- ٢٨٤).

(٥) فتح القدير، الشوكاني، (٣/٥٤٩).

المطلب الثاني: كلام الإمامين والمقارنة بينهما.

قال الشوكاني: { وَيَضْرِبُ الله الأمثال لِلنَّاسِ } سورة النور:٣٥. أي: يبين الأشياء بأشباهها، ونظائرها تقريباً لها إلى الأفهام وتسهيلاً لإدراكها، لأن إبراز المعقول في هيئة المحسوس، وتصويره بصورته يزيده وضوحاً وبياناً { والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ } لا يغيب عنه شيء من الأشياء معقولاً كان أو محسوساً، ظاهراً، أو باطناً.

وهذا من فوائد الأمثال.

المطلب الثالث: ذكر الأمثلة والتطبيقات ودراستها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ الأحزاب: ٧٢.

ذكر الإمامان معنى عرض الأمانة والأقوال فيها؛ قيل: العرض في هذه الآية ضرب مثل، أي إن السماوات والأرض والجبال على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب، أي أن التكليف أمر عظيم، حقه أن تعجز عنه السماوات والأرض والجبال، وقد كلفه الإنسان وهو ظلوم جهول لو عقل.. [١].

قال الله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ سبأ: ١٩.

قال ابن جزي: وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ أي فرقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم، قيل تفرقوا أيدي سبا... [٢].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ فاطر: ١٢.

هل المراد بالآية الامتنان أم هو ضرب مثل للمؤمن والكافر، على قولين[٣]:

القول الأول: أن المراد من ذلك التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٨٧/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٣٧٠/٤).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٩٤/٣).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٠٧/٣-١٢٠٩)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٠٨/٤-٤١٢).

القول الثاني: أن الله ضرب بالبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر.

استبعد هذا القول ابن جزي.

وقال الشوكاني: قال أكثر المفسرين: إن المراد من الآية ضرب المثل في حقّ المؤمن والكافر، والكفر والإيمان، فكما لا يستوي البحران كذلك لا يستوي المؤمن والكافر، ولا الكفر والإيمان.

ويرى ابن جزي أن الراجح هو القول الأول وهو ظاهر القرآن والسياق في مقام الامتنان.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝٢٢ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣﴾ فاطر: ١٩ – ٢٣،

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ غافر: ٥٨.

ذكر سبحانه في هذه الآيات أمثلة، منها مثلاً للمؤمن، والكافر، وللكفر والإيمان، والثواب والعقاب[1].

حقيقة المثل المضروب في هذه الآية:

القول الأول: أن المراد بذلك التمثيل للثواب والعقاب.

القول الثاني: أن المراد بالظل الجنة والحرور النار.

الراجح: أن الله ضرب بهذه الأشياء المتباينة مثلاً للحق والباطل، والثواب والعقاب والجنة والنار، فكما أن هذه الأمور بينها فرق وتضاد فكذلك ذلك، وهذا الأسلوب معهود

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣/١٢٠٧-١٢٠٩)، فتح القدير، الشوكاني، (٤/٤٠٨-٤١٢)(٤/٥٩١).

في القرآن كثيراً، وهو ما يسمى بأسلوب المقابلة، وكما قيل بضدها تتبين الأشياء[1].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ يس: ٨.

مثل لحال الكفار، ومنع الله لهم من الإيمان، فشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات[2].

قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝١٣﴾ يس: ١٣.

المعنى: اضرب لأجلهم مثلاً، أو اضرب لأجل نفسك أصحاب القرية مثلاً، أي: مثلهم عند نفسك بأصحاب القرية[3].

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ يس: ٧٨.

الشوكاني: وجملة { قَالَ مَن يُحيِي العظام وَهِىَ رَمِيمٌ } استئناف جواباً عن سؤال مقدّر كأنه قيل: ما هذا المثل الذي ضربه؟ فقيل: قال: من يحيي العظام، وهي رميم، وهذا الاستفهام للإنكار؛ لأنه قاس قدرة الله على قدرة العبد، فأنكر أن الله يحيي العظام البالية حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر... ثم أجاب سبحانه عن الضارب لهذا المثل، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ يس: ٧٩، أي : ابتدأها، وخلقها أوّل مرة من غير شيء، ومن قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الثانية ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ لا يخفى عليه خافية ، ولا يخرج عن علمه خارج كائناً ما كان[4].

قال تعالى: ﴿* وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ ص: ٢١.

---

(1) مختصر قواعد التفسير، خالد السبت، (ص).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢١٦/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٣٠/٤).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢١٨/٣)، فتح القدير، الشوكاني، (٤٣٣/٤).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (٤٥٧/٤).

قال ابن جزي: واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله، ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأفتى بفتيا هي واقعة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد أناب[1].

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ الزمر: ٢١.

قال الشوكاني: لما ذكر سبحانه الآخرة، ووصفها بوصف يوجب الرغبة فيها، والشوق إليها أتبعه بذكر الدنيا، ووصفها بوصف يوجب الرغبة عنها، والنفرة منها، فذكر تمثيلاً لها في سرعة زوالها، وقرب اضمحلالها مع ما في ذلك من ذكر نوع من أنواع قدرته الباهرة، وصنعه البديع... وقيل: هو مثل ضربه الله للقرآن، ولصدور من في الأرض، والمعنى: أنزل من السماء قرآناً، فسلكه في قلوب المؤمنين، ثم يخرج به ديناً بعضه أفضل من بعض، فأما المؤمن، فيزداد إيماناً ويقيناً، وأما الذي في قلبه مرض فإنه يهيج كما يهيج الزرع، وهذا بالتغيير أشبه منه بالتفسير[2].

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ الزمر: ٢٧ – ٢٩.

قال ابن جزي: والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحده، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوإ حال، وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد، فمعنى قوله سالما لرجل، أي خالصا له وقرئ سلما بغير ألف والمعنى واحد[3].

قال الشوكاني: ثم بيّن المثل، فقال: { رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء متشاكسون } قال

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٦١/٣).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٥٤٤/٤-٥٤٥).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٨٨/٣).

الكسائي: نصب { رجلاً }؛ لأنه تفسير للمثل، وقيل: هو منصوب بنزع الخافض، أي: ضرب الله مثلاً برجل... ثم جاء سبحانه بما يدلّ على التفاوت بين الرجلين، فقال: { هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً }، وهذا الاستفهام للإنكار، والاستبعاد، والمعنى: هل يستوي هذا الذي يخدم جماعة شركاء أخلاقهم مختلفة، ونياتهم متباينة يستخدمه كل واحد منهم، فيتعب وينصب مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمته[1].

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝٥﴾ فصلت: ٥.

قال الشوكاني: والمعنى: أن الحجاب ابتدأ منا، وابتدأ منك، فالمسافة المتوسطة بين جهتنا، وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها، وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن إدراك الحق، ومج أسماعهم له، وامتناع المواصلة بينهم[2].

قال الله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ فصلت: ٣٩.

قال ابن جزي: إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى تمثيل واحتجاج على صحة البعث[3].

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (٥٤٩/٤).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (٦٠١/٤).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٣٢٢/٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقني إلى إتمام هذا البحث وإكماله، نهاية لمشوار ممتع مع العلَمَيْن الجهبذين ابن جزي والشوكاني رحمهما الله تعالى، أصل إلى ختام هذا البحث المتواضع وما كان ليتم إلا بتوفيق الله وتسديده ومعنوته، فهو المستحق للحمد والشكر والثناء في الأولى والآخرة، وأرجو الله تعالى أن أكون قد وصلت إلى الغاية التي كنت أتطلع إليها منذ أن بدأت في دراسة هذه الرسالة.

وبعد هذه الإطلالة على تفسيري الإمامين ابن جزي والشوكاني من سورة الأحزاب إلى سورة فصلت، قد توصلت في هذه الدراسة التحليلية والمقارنة والموضوعية، أجمل أهم النتائج والفوائد التي توصلت إليها، في النقاط التالية:

١- إن شخصية الإمامين قد درست بحمدالله بدراسات علمية متخصصة في شتى الجامعات الإسلامية.

٢- إن عقيدة الإمامين هي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ إلا إنهما قد وجد عليهما بعض المآخذ، وهي لا تتعدى المنهج الذي نهجاه رحمهما الله تعالى.

٣- إن الإمامين قد جمعا في تفسيرهما التفسير بالمأثور وهو الأغلب، والتفسير بالرأي، إلا إن سمة تفسير ابن جزي الاختصار، لكنه على صغر الحجم واختصار العبارة إلا أنه قد حوى درراً نفيسة، ربما تغنيك عن كثير من المطولات في بعض الأحيان.

٤- يهتم ابن جزي والشوكاني باللغة وعلوم القرآن والقراءات وتوجيهها والأحاديث والآثار؛ إلا أن الشوكاني يستطرد في ذلك كثيراً.

٥- يستدل الإمامان بالحديث الصحيح والضعيف في أسباب النزول، وابن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جزي لا يخرج ولا يعزو إلا نادراً، وأحياناً ينبه على صحة الحديث وضعفه ويرجح بينهما، وأما الشوكاني فقد كان أوسع من ابن جزي في سرد الأحاديث والآثار، وذكرها مسندة ويرجح الأقوال فيها والتوقف بينهما أحياناً.

٦- لم يذكر ابن جزي علم المناسبات في مقدمته، لكن تكلم عن بعض المناسبات في أثناء تفسيره لبعض السور، أما الشوكاني فقد أنكر علم المناسبات والتكلف فيه، فنفى أن يكون شيئاً من المناسبات في القرآن، ثم لم يلبث أن أتى به، فكأنه يثبته كعلم وينكر المبالغة فيه.

٧- اهتم الإمامان بالقراءات، وكانت قراءة ابن جزي قراءة نافع، وقراءة الشوكاني برواية قالون عن نافع، ويقتصر ابن جزي على القراءات السبع أو بعضها ونادراً ما يخرج عن العشر، ويستشهد أحياناً بالقراءة الشاذة لمعنى الآية، وأما الشوكاني يورد المتواتر والشاذ ويتوسع في العزو، أحياناً يعزو للقراء القراءة المتواترة قراءة شاذة، وأحياناً لا يستوفي ذكر أصحاب القراءات المتواترة، وأحياناً ينتقد لبعض القراءات السبعة.

٨- إن الإمامين يتفقان في بيان معنى النسخ وثبوته في الشريعة، وبيان النسخ في الآيات ويرجحان في حال الخلاف بالنسخ، وأحياناً لا يرجحان.

٩- تكلم الإمامان عن معنى المحكم والمتشابه، حيث يرى ابن جزي أن من المتشابه آيات الصفات، ويرى الشوكاني أن من المتشابه الأحرف المقطعة.

١٠- تكلم الإمامان عن آيات العقائد؛ من الإيمان بالله وتوحيده بالربوبية والألوهية، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

١١- تكلم الإمامان في آيات الأحكام من العبادات والمعاملات والأسرة، فكان رحمهما الله تعالى يذكران أقوال العلماء واستدلالهم وترجيحاتهم، فكان

مذهب ابن جزي مالكي لكنه لا يتعصب لمذهبه، وكان الشوكاني لا يتقيد بمذهب معين، فيرجح ما توصل إليه اجتهاده.

١٢- وتكلم رحمهما الله تعالى عن الآيات الكونية وآيات القصص والأمثال، وبيانها وأثرها في تدبر معاني القرآن وأخذ العبرة والعظة فيها، وبذكر الفوائد والاستنباطات فيها، وبيان مقصد فيها أو حجة على الكافر والجاحد.

١٣- أما آيات القصص فقد أضرب الإمامان عن كثير مما ذكره المفسرون، والتزما بعدم الخوض في الإسرائيليات، وتقدم تصريحهما في عدة مواضع عن ذلك لعدم صحتها؛ لكن لم يف ابن جزي بشرطه الذي اشترطه على نفسه في مقدمته، بل انتقد بعض المفسرين الذين أكثروا من القصص الاسرائيلية إلا أنه وقع في شيء من ذلك كما في قصة داود عليه السلام وغيره، أما الشوكاني فكان يمتاز عن ابن جزي بقلة الإسرائيليات بل لا تكاد توجد فيه إلا للرد عليها، فكان يقف موقف الناقد الحصيف العارف يضع الأمور في مواضعها، فكان الشوكاني أشد المفسرين انتقاداً للاسرائيليات كما تقدم في البحث.

التوصيات:

١- أوصي الباحثين بقراءة حياة علماء الأمة كافة وأخص منهم من اعتنى بكتاب الله تعالى تفسيرا وإيضاحا، ودراسة مناهجهم؛ لتسهيل فهم واستيعاب التفاسير وما كتبه الأئمة والاستفادة منه.

٢- أوصي طلاب العلم بالاهتمام والتحقيق تحقيقياً علمياً بالرجوع للمخطوطات الأصلية، لكتاب التسهيل لعلوم التنزيل و كتاب فتح القدير، ليظهر لطلاب العلم وللناس عامة لأن الموجود مليء بالأخطاء وعدم الاهتمام.

٣- الاهتمام بالتفسير المقارن والتخصص الدقيق بالموضوعات.

٤- دراسة وتحقيق القصص التي أوردها ابن جزي ولم يعلق عليها.

٥- إفراد الأحكام الفقهية التي تناولها كل مفسر برسالة مستقلة.

وفي الختام أحمد الله تعالى عوداً على بدء، فالحمد لله أولاً وآخراً، والحمدلله الذي بحمده ونعمته تتم الصالحات، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمدلله رب العالمين.

الفهارس: وتحتوي على التالي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الآيات

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
١	البقرة	﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾	٣	٣٠٣
		﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾	١٧	١٣٤
		﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾	٢٥	٣٥٥
		﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾	٢٦	١٣٨
		﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۝٣٦﴾	٣٦	٢١٦
		﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾	٤٨	٢٩١
		﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ ۝٦١﴾	٦١	١٢٩
		﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۝٦٧﴾	٦٧	٤٥٧
		﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ۝٨٥﴾	٨٥	٣٦٧
		﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ	٩٨	٣٢٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾		
		﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾	١٢٣	٢٩١
		﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴿١٣٦﴾﴾	١٣٦	٤٤٩
		﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾	١٥٣	١٩٧
		﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾	١٦٤	١٩٧
		﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾	١٦٥	١٩٧
		﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾	١٦٦	١٤٤
		﴿* وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ	٢٣٣	١٩٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾		
		﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾	٢٣٤	١٩٨
		﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾	٢٣٦	٤١٠
		﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴿٢٣٧﴾ ﴾	٢٣٧	٢٨٢
		﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾	٢٤١	٤٠٩
		﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿٢٤٨﴾ ﴾	٢٤٨	٤٥٦
		﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾	٢٥٢	٣٠٠
		﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى	٢٥٩	١٩٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		ٱلْعِظَـٰمِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾		
		﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾	٢٨٥	٣٤١
٢	آل عمران	﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٣٦٦
		﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ ﴾	٧	٢٨٨و٢٩٢
		﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾	٤٩	٣٠٠
		﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا	١٨٥	٣٥٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		﴿ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾		
		﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾	١٩٠	٣٠٠
٣	النساء	﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	٢٧٨
		﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٤١٢
		﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	١٥٣
		﴿ * وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٦	١٣٥
		﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	٣٥٥
		﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾	٥٩	٢٨٩
		﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ﴿٩٠﴾ ﴾	٩٠	٣٦٦
		﴿ * وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾	١٠٠	١٣٣
		﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ	١٥٠-	٣٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾	١٥٢	
٤	المائدة	﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢	٣٥٨
٥	الأنعام	﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	٤٤٨
		﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾	٦١	٣٣١
		﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾	٩٦	٤٣٧
		﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ ﴿١٠٠﴾ ﴾	١٠٠	٦٣
		﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾	١٠٢	٣٧٠
		﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾	١١٢	٣٦٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾	١٣٧	٢١٦
		﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾	١٦٠	١٣٠
٦	الأعراف	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ ﴿٥٣﴾﴾	٥٣	٢٨٩
		﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴿١٤٣﴾﴾	١٤٣	٣٣٣
		﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾	١٥٠	٢١٧
٧	الأنفال	﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾	٣٢	١٣٠
		﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾	٦٠	٦٤
٨	التوبة	﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٢٤
		﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ	٧٢	٣٥٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾		
		﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	٣٧١
		﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾	٩٥	٣٧١
٩	يونس	﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾﴾	٥	٤٢٨
		﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾	٩-١٠	٦٢و٦٣
		﴿* لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾	٢٦	٦٤
		﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ	٣٩	٢٨٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾		
		﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾	٦٢-٦٣	٦٢
		﴿ * وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾	٧١	٤٤٧
		﴿ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ ﴿٩٢﴾ ﴾	٩٢	٢١١
١٠	هود	﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾	١	١٩٢و ٢٩١
		﴿ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾	٤٩	٤٤٨
		﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	٤٥٧
		﴿ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾ ﴾	١٠١	٤٤٨
		﴿ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾	١٠٨	٣٥٥
١١	الرعد	﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ	١١	٣٣٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		﴿أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ١١﴾		
		﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾	١٦	٣٧٠
١٢	يوسف	﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾	٣	٤٤٤
		﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾	٦	٢٨٩
		﴿* لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾	٧	٣٠٠
		﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾	٤٢	٣١٠
		﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ١٠٠﴾	١٠٠	٢٨٩
		﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾	١٠٦	٣١١
		﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾	١١١	٤٤٦
١٣	إبراهيم	﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾	٢٧	٣٦٦
١٤	الحجر	﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ	٨٥	٤٢٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		﴿ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾		
١٥	النحل	﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾	٤٤	٦٣
		﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩﴾	٤٩	٤٣٩
١٦	الإسراء	﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾	١١٠	١٨٣
١٧	الكهف	﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ٢٩﴾	٢٩	٣٧١
١٨	مريم	﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾	٦٢	١٣٠
		﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١﴾	٩٠-٩١	٤٣٤
١٩	طه	﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾	٥٠	٤٢٨
		﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾	٨٢	٢٩٣
٢٠	الحج	﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾	١٥	١٤٤
		﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧﴾	٤٧	١٣٠
		﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ	٧٠	٣٦٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		﴿فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾		
٢١	المؤمنون	﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾	٥٠	٣٠٠
٢٢	النور	﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾	١	١٣٩
٢٣	الفرقان	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾	٢	٣٦٦
		﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾	٦٨	١٧٦
٢٤	النمل	﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾	٨٧	٣٣٤
٢٥	القصص	﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾	١١	٤٤٤
		﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾	٦٨	٣٦٦
		﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨٥﴾	٨٥	١٣٣
		﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾	٨٨	٣٣١

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٦	العنكبوت	﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	٤٨٠
٢٧	الروم	﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾	٢٥	٤٣٣
		﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	٣٣٣
		﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾	٥١	٤٣٤
٢٨	السجدة	﴿* قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾	١١	٣٣١
		﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٣٥٦
٢٩	الشورى	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾	١١	٩٠
٣٠	الزخرف	﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾	١٩	٣٢٨
		﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾	٧٧	٣١١
		﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾	٨٧	٣١١
٣١	الحجرات	﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾	١٤	٣٠٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		﴿١٤﴾		
		﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾	١٥	٣٠٣
٣٢	ق	﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٣٣٠
٣٣	الذاريات	﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	٣٠٥
		﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾	٣٥	٣٠٧
٣٤	النجم	﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾	٢-٤	٦٣
٣٥	الرحمن	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾	٢٦-٢٧	٣٣١
٣٦	المجادلة	﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾	٢١	١٣٠
٣٧	الحشر	﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾﴾	٩	٣٢٢
٣٨	التحريم	﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ ﴿٤﴾﴾	٤	١٥٠
		﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴿٥﴾﴾	٥	١٥٩
		﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾	٦	٣٣٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
٣٩	الحاقة	﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٣٢٩
٤٠	الجن	﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	٣٥٥
٤١	المدثر	﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٣٢٩
		﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾	٣٦-٣٧	٣٧١
٤٢	الإنسان	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٣٧٠
٤٣	المرسلات	﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾	٣٦	٦٣
٤٤	الانفطار	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾	١٠-١١	٣٣٠
٤٥	الأعلى	﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾	١٣	٣٥٧
٤٦	الليل	﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾	١٥-١٦	٢٤
٤٧	البينة	﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾	١	٢٨٠
		﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾	٥	٢٨
		﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ	٦	٣٥٨

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
		﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾		
٤٨	الإخلاص	﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾	٣	٢٤

فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث	الصفحة
١	أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي	٦٧
٢	إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله	٣٢٥
٣	إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد	٣٥٩
٤	اذهب فقد ملّكتُكها بما معك من القرآن	٤١٣
٥	أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	٣٥٦
٦	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي	٣٤٤
٧	أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت	٣٣٢
٨	أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان	٥٠
٩	ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي	٦٤
١٠	ألا إني أوتيت القرآن ومثلَه معه	٦٤
١١	ألا تستحيي أن تعرض نفسها بغير صداق	٤١٢
١٢	أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات	٤٥٩
١٣	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة، والعشيّ	١٣٢
١٤	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً	٣٣٠

م	طرف الحديث	الصفحة
١٥	أن أزواج رسول الله ﷺ تغايرن	١٤٩
١٦	أن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عزوجل	٦٤
١٧	إن الدجال يكون منا في آخر الزمان ويكون في أمره	١٨٠
١٨	أن الله بعث ثمانية آلاف رسول	٧٠
١٩	إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى	٣٣٤
٢٠	إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة	٣٩١
٢١	إن النبي ﷺ قرأ خمس عشرة سجدة في القرآن	٣٨٦
٢٢	أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ	٤١٢
٢٣	أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟	١٦٠
٢٤	أنا العاقب الذي ليس بعده نبي	٣٤٣
٢٥	إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب	٣١٥
٢٦	إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير	٣٥١
٢٧	أيُّ أرض تقلني، وأيُّ سماء تظلني، إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم	٥٠-٥١
٢٨	الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته...	٣٠٢
٢٩	بارك الله لك أولم ولو بشاه	٣٩٤
٣٠	البخيل الذي من ذُكِرتُ عنده	٣٨٣

م	طرف الحديث	الصفحة
٣١	بلغوا عني ولو آية	٤٤٩
٣٢	تذهب حتى تسجد تحت العرش	٦٩
٣٣	جاء زيد يشكو امرأته إلى النبي ﷺ فأمره أن يمسكها	١٥٥
٣٤	خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار	٣٢٥
٣٥	الدعاء هو العبادة	٣٢٠
٣٦	رحم الله نساء الأنصار	١٦٢
٣٧	شفاعتي لأهل الكبائر	٣٥٤
٣٨	صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال	٣٨٩
٣٩	صيام ثلاثة أيام من كل شهر	٣٨٩
٤٠	عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل	٣٢٢
٤١	فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه	١٧٩
٤٢	في الإنسان ثلاث مائة وستون مفصلا	٣٨٩
٤٣	فيّ وفي عليّ وفاطمة والحسن والحسين	٤٠٢
٤٤	قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا	٤٠٢
٤٥	قام موسى عليه السلام خطيباً	٤٥١
٤٦	قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقر في بيتي	٤٠٠
٤٧	كان النبي ﷺ يستأذننا في يوم المرأة منا	٤١٦
٤٨	كان النبي ﷺ يقرأ في المسجد فيجهر بالقراءة	١٦٤
٤٩	كان رجلان شريكين، خرج أحدهما إلى الساحل، وبقي	١٦٢

م	طرف الحديث	الصفحة
	الآخر	
٥٠	كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعا	٣٩٠
٥١	كان يستعيذ في صلاته من عذاب القبر	٣٥٠
٥٢	كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء	٣٤٣
٥٣	كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة	٦٧
٥٤	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السّماوات والأرض	٣٦٥
٥٥	كنا في جنازة في بقيع الغرقد	٣٥١
٥٦	كيف تقضى إذا عرض لك قضاءٌ	٧١
٥٧	لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء	٤٥٠
٥٨	لا يحل مال أمرئ مسلم إلا عن طيب نفسه	٣٩٥
٥٩	لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا،	١٥٨
٦٠	اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد	٣٨١و٣٨٢
٦١	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	٧٢
٦٢	لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئاً من الوحي	١٥٥
٦٣	لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى لهما ثالثاً	٢٧٩
٦٤	ما أرى ربك إلاّ يسارع في هواك	٤١٢
٦٥	ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه	٣٥٧
٦٦	ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي سبحة الضحى قط، وإني	٣٩٠

م	طرف الحديث	الصفحة
	لأسبحها	
٦٧	ما شأنُ قومك يشكونك؟	١٧١
٦٨	مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين	١٣٤
٦٩	من صلى عليّ صلاة واحدة	٣٨٣
٧٠	من عمره الله ستين فقد أعذر إليه	٦٩
٧١	من قال بالقرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار	٥٢
٧٢	من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ	٥٢
٧٣	موضع سوط أحدكم في الجنة	٣٥٦
٧٤	نعم ليكررن عليكم ذلك حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه	١٧٥
٧٥	نعم، يميتك الله ثم يحييك	١٦٨
٧٦	وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث	١٥٩
٧٧	والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة	٣٥٨
٧٨	وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي	٣٦٢
٧٩	يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم	٦٩و١٦٦
٨٠	يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم أو عليكم منازلكم تكتب آثاركم	٦٩و١٦٦
٨١	يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم	٤٤٠
٨٢	يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع	٣٥٣
٨٣	يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار	٣٣٠

م	طرف الحديث	الصفحة
٨٤	يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ	٣٦٣
٨٥	يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني	٦٧
٨٦	يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة	٣٨٩
٨٧	يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه	١٣٢
٨٨	يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح	٣٦٢

فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
ابن السَّمَيفَع	٢١١
ابن الفرس	٣٧٧
ابن جمَّاز	٢٠٨
ابن جني	٢١٢
ابن ذَكْوان	٢٠٦
ابن عبد البر	١٣٣
ابن عقيل البغدادي الظفري	٢٨٧
ابن مجاهد	٢٠٦
ابن مفلح	٢٨٨
ابن وردان	٢٠٨
أبو جعفر النحاس	٢١٢
أبو جعفر يزيد بن القعقاع	٢٠٣
أبو حيان الأندلسي	٢٠١
أبو عمرو بن العلاء	٢٠٥
أبي السَّمَّال	٢١١
أبي عبيد القاسم بن سلام	٥٤
أحمد بن حنبل الشيباني	٦٥
الأخفش	٢٠٢
إدريس الحداد	٢٠٩
إسحاق المروزي	٢٠٩
إسماعيل القاضي	٣٧٦

اسم العلم	الصفحة
إسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر	٢٠٥
الأعمش	٢٠٤
امرؤ القيس	٨٠
البَزِّيُّ	٢٠٦
الحسن البصري	٢١٠
حفص	٢٠٧
حماد الأنصاري	٩٦
حمزة بن حبيب	٢٠٤
حميد بن قيس الأعرج	٢٠٤
خلَّاد	٢٠٧
خلف البزار	٢٠٧
الدُّوري	٢٠٧
رؤبة بن العجاج	١٣٨
رَوْح	٢٠٨
رويس	٢٠٨
الزركلي	٩٩
السرخسي	٢٧٩
السوسي	٢٠٧
سيبويه	٢٠٢
الشاطبي	٨٠
شُريح بن زيد الحضرمي	٢٠٦
شعبة	٢٠٧

اسم العلم	الصفحة
شيبة بن نصاح	٢٠٣
ضميرة بن حبيب	١٣٤
طلحة بن سليمان	٢١٣
عاصم الجحدري	٢٠٥
عاصم بن أبي النجود الأسدي	٢٠٤
عبد الله بن أبي إسحاق	٢٠٥
عبد الله بن عامر	٢٠٥
عبد الله بن كثير	٢٠٤
عطية بن قيس الكلابي	٢٠٥
علي بن إسماعيل المتوكل	٩٦
عيسى بن عمر	٢٠٥
الغزالي	٢٨٧
الفراء	٢٠٣
القاضي أبي بكر بن العربي	٢٧٣
قالون	٢٠٨
القشيري	٣٠٢
قُنْبُل	٢٠٧
الكتاني	٩٩
الكسائي	٢٠٤
الكَلْوَذَاني	٢٨٧
الكيا الهراسي	٣٧٦
الليث	٢٠٨

اسم العلم	الصفحة
مالك بن أنس الأصبحي	٧٩
محمد بن إدريس الشافعي	٦٥
محمد بن محيصن	٢٠٤
محمد بن يحيى بهران	١٢٤
محمد صديق خان	٩٧
المفضل الضَّبِّي	٢١٢
نافع	٢٠٣
هشام بن عمار	٢٠٦
الوجيه الأهدل	٩٨
ورش	٢٠٨
يحيى بن الحارث الذماري	٢٠٥
يحيى بن المبارك اليزيدي	٢١٠
يحيى بن وثاب	٢٠٤
يعقوب الحضرمي	٢٠٥

فهرس المصادر والمراجع

اسم المصدر ومؤلفه
أبجد العلوم، محمد صديق خان القنوجي، دار ابن حزم، طبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
ابن جزي ومنهجه في التفسير، دراسة مسهبة عن الإمام المفسر ابن جزي، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره، التسهيل، علي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
اتحاف المهرة بالكلام على حديث لا عدوى و لا طيرة، الشوكاني، تحقيق راشد بن عامر الغفيلي، دار اطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد للمصحف، المدينة، ١٤٢٦هـ.
الأجزاء الكونية بين النقل والعقل، لعبد العزيز آل عبد الله، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.
إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، خليل العلائي الشافعي، تحقيق محمد سليمان الأشقر، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت.
الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله الأندلسي، المعروف لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.
أدب الطلب ومنتهى الأرب، الشوكاني، تحقيق محمد بن عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض.
ارتشاف الضّرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، – صفحات المحقق– تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩٨م.
إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، تحقيق أبي حفص سامي العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى،٢٠٠٠م.

اسم المصدر ومؤلفه
أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
أسباب النزول، أبي الحسن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة ، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م .
الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ .
الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبوشهبة، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.
أصول التفسير وقواعده، خالد عبدالرحمن العك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة،٢٠٠٧م.
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، إشراف بكر بن عبدالله أبوزيد، طبعة دار الفوائد مطبوعات المجمع بجدة.
الإعجاز البياني في ترتيب القرآن الكريم وسوره، محمد القاسم، دار المطبوعات الدولية، ١٩٧٩م.
إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد النحاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
الإمام الشوكاني حياته وفكره، عبدالغني قاسم الشرجبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة

اسم المصدر ومؤلفه
الأولى،١٩٨٨م.
الإمام الشوكاني رائد عصره، حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة، محمد كمال جمعة، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف– الرياض، الطبعة الأولى،١٩٩٩م.
أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح الباري، نبيل بن منصور البصارة، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
الآيات الكونية دراسة عقدية، عبد المجيد بن محمد الوعلان، رسالة، رسالة ماجستير، قسم العقيدة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.
أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الطبعة الأولى.
الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة.
بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد عبدالرحمن الرومي، مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ.
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير،ابن الملقن، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، ودار

اسم المصدر ومؤلفه
المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٥٧م.
تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، التراث العربي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥م.
التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق حسن خان، طبع وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
تاريخ الشعوب الإسلامية، عبدالعزيز سليمان نوار، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى.
تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه، محمد طاهر الكردي، مطبعة الفتح، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م.
تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بيروت.
تاريخ اليمن فرجة الهموم، عبد الواسع بن يحي الواسعي، المطبعة السلفية– القاهرة، ١٩٢٥م.
التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد ودار البيان، الطائف، ودمشق، الطبعة الأولى،١٩٩١م.
التحرير والتنوير في التفسير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار التونسية، ١٩٨٤م.
التحف في مذاهب السلف، الشوكاني، تحقيق سيد عاصم، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى،١٩٨٩م.
التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، (١٧٦٧/٤)، دار الضياء، الكويت، طبعة الأولى، ٢٠١٣م.
تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ٢٠١٢م.
التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢هـ
التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، لحنفي أحمد، دار المعارف، مصر.

اسم المصدر ومؤلفه
تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺوالصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار ابن الجوزي وابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٢م.
التفسير القيم، ابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠٠٠م.
التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار، محمد بن الحسن الشجني، مكتبة الجيل، صنعاء، الطبعة الأولى،١٩٩٠م.
تهذيب التهذيب، أحمد بن علي ابن حجر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.
جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، واعتمدت تحقيق عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة،٢٠٠١م.
جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر في، تحقيق أبي الأشبال الزهيري.
الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد، المعروف ابن حزم، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة.
حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، جميل المصري، دار أم القرى طبع في الجامعة الإسلامية بالمدينة، الأردن، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٦م.
حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، تحقيق محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، الصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

اسم المصدر ومؤلفه
الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، مصر،١٩٥٣م.
الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت.
دقائق التفسير، ابن تيمية، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية،١٤٠٤هـ.
الديباج المُذهب في معرفة أعيان المذهب، القاضي إبراهيم بن نور الدين، المعروف ابن فرحون، تحقيق محمد الأحمدي، دار التراث العربي، القاهرة، بدون طبعة.
ديوان النابغة الذبياني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩١م.
الرسالة، الشافعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
سمات الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم للشيخ ناصر الماجد، موقع ملتقى أهل التفسير على الشبكة العنكبوتية.
سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف، الرياض.
سنن أبي داود مع شرح عون المعبود، لابن أمير العظيم آبادي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٥م.
سنن الترمذي مع شرح تحفة الأحوذي، للبماركفوري، بيت الأفكار الدولية، الأردن.
سنن النسائي، تحقيق فاروق حمادة، دار إحياء العلوم، بيروت، ودار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية،١٩٩٢م.
السيرة الحلبية من سيرة الأمين، علي بن برهان الحلبي، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
شرح الصدور بتحريم رفع القبور، الشوكاني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م.
شعب الإيمان، البيهقي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى،٢٠٠٣م.
شفاء العليل في القضاء والقدر، ابن القيم ، تحقيق مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

اسم المصدر ومؤلفه
الصحيح المسند في أسباب النزول، الشيخ مقبل الوادعي، مكتبة صنعاء الأثرية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
صحيح مسلم مع شرح النووي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٤م.
طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي، تحقيق علي محمد عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، لزكريا بن محمد القزويني، بعناية سوزان مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم لمحمد السيد راضي جبريل، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١.
غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، تحقيق برجستر اسر، دار الكتب العلمية، ومكتبة ابن تيمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
فتح الباري بشرح صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح، الحافظ ابن حجر، تعليق عبدالعزيز بن باز، وعبدالرحمن البراك، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد– صنعاء، بدون طبعة.
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة،١٩٩٩م.
فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة و وفاء تقي الدين، دار ابن كثير، بيروت.
فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي،

اسم المصدر ومؤلفه
إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى،٢٠٠٢م.
فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، دار المعرفة ، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٧٢م.
القراءات الشاذّة وتوجيهها النحوي، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت.
القرآن الكريم والدراسات الأدبية، نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
قطر الولي على حديث الولي، الشوكاني، تحقيق إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، بدون طبعه.
قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد عثمان السبت، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، ابن جزي، تحقيق محمد بن سيدي مولاي، طبع في وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي– السعودية، الطبعة الثانية.
القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، الشوكاني، تحقيق محمد سعيد البدوي، دار الكتاب المصري–القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩١م.
كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.
الكليات، لأبي البقاء أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية.
لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب

اسم المصدر ومؤلفه
العربي، بيروت،٢٠٠٦م.
لسان العرب، جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.
لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة،٢٠٠١م.
مائة عام في تاريخ اليمن الحديث، حسين عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.
مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠٠٠م.
المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالمتعال الصعيدي.
مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، تحقيق عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، مصر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م.
المجموع في ترجمة العلامة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، عبد الأول بن حماد الأنصاري، الطبعة الأولى.
المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق عبدالله الأنصاري ومحمد العناني، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الثانية،٢٠٠٧م.
المحرر في أسباب النزول، خالد المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ.
المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٦م.
المستصفى من علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق محمد

اسم المصدر ومؤلفه
سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة.
مسند أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٥م.
المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي المقري، دار الحديث، القاهرة، طبع ٢٠٠٨م.
معالم السنن، الخطابي، دار ابن حزم ، بيروت.
المعجزات القرآنية حقائق علمية، أحمد أبو شوفة، دار الكتب العلمية الوطنية، ليبيا،٢٠٠٣م.
معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٣م.
معجم البلدان والقبائل اليمنية، إبراهيم أحمد المقحفي، دار الكلمة– صنعاء، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٢م.
معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس، مطبعة سركيس– مصر، ١٩٢٨م.
معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.
معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، مصر.
مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، المكتبة الأزهرية للتراث،

اسم المصدر ومؤلفه
الطبعة الثانية.
مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.
مقدمة كتاب ديوان الشوكاني أسلاك الجوهر، حسين عبد الله العمري، دار الفكر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
مقدمتان في علوم القرآن، وهما مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية، نشرهما من المخطوطات المحفوظة، دار الكتب ببرلين، ودار الكتب المصرية، ووقف على تصحيحهما وطبعهما، المستشرق الدكتور: أرثرجفرى، مكتبة الخانجي، مصر ١٣٧٥هـ، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٤م.
مناهج المفسرين القسم الأول: التفسير في عصر الصحابة، مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠١م.
منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
الموافقات، إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، تحقيق مشهور حسن، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
الموسوعة العربية العالمية، إعداد مجموعة من الباحثين، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب، فرانكلين.
الموسوعة الفلكية لفايجرت، وتسمرمان، ترجمة: عبد القوي عياد، ومحمد جمال الدين الفندي.
النبوات، ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز الطويان، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى.
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان

اسم المصدر ومؤلفه
عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
النفس اليماني والروح الروحاني في إجازة القضاة بني الشوكاني، عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، تحقيق عبد الله الحبشي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
النهاية في غريب الحديث، أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠١٤م.
نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى،١٩٩٣م.
نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، محمد بن محمد زبارة، المطبعة السلفية، القاهرة،١٣٤٨.
الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (٣٦٣/٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م،
الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبدالله بن عبدالحميد الأثري، طبع وزارة الأوقاف السعودية، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــــــــــوع	الصفحة
الاستهلال	ب
الإهداء	
شكر وتقدير	ث
ملخص الرسالة	ج
مقدمة	١
أهمية الموضوع	٢
أهداف البحث	٢
عرض الدراسات السابقة	٢
منهج البحث	٤
هيكلة البحث	٥
المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جزي	١٢
اسمه ونسبه ومولده	١٤
نشأته وطلبه للعلم	١٧
عقيدته ومذهبه الفقهي	١٨
مكانته العلمية	٢٣
شيوخه وتلاميذه	٢٤
مؤلفاته ووفاته	٢٧
الحالة السياسية	٣١
الحالة الاجتماعية	٣٢
الحالة العلمية	٣٣
التعريف بالكتاب وقيمته العلمية	٣٥

الموضـــــــــــــــــــــــــــــوع	الصفحة
منهجه في التفسير	٣٩
مصادره في التفسير	٥٤
المبحث الثاني: التعريف بالإمام الشوكاني	٧٩
اسمه ونسبه ومولده	٨٠
نشأته وطلبه للعلم	٨١
عقيدته ومذهبه الفقهي	٨٣
مكانته العلمية	٩٠
شيوخه وتلاميذه	٩٥
مؤلفاته ووفاته	١٠١
الحالة السياسية	١٠٤
الحالة الاجتماعية	١٠٨
الحالة العلمية	١١٠
التعريف بالكتاب وقيمته العلمية	١١٧
منهجه في التفسير	١٢٠
مصادره في التفسير	١٢٣
أسباب النزول	١٣٦
علم المناسبات	١٨١
القراءات	١٩٤
الناسخ والمنسوخ	٢٦٦
المحكم والمتشابه	٢٨٠
آيات العقائد	٢٩٤
آيات الأحكام الفقهية	٣٦٨
الآيات الكونية	٤١٨

الموضـــــــــــــــــــــــــــــوع	الصفحة
آيات القصص	٤٣٨
آيات الأمثال	٤٧٣
الخاتمة	٤٨١
الفهارس	٤٨٥
فهرس الآيات القرآنية	٤٨٦
فهرس الأحاديث النبوية	٥٠٢
فهرس الأعلام	٥٠٨
فهرس المصادر والمراجع	٥١٢
فهرس الموضوعات	٥٢٤

هذا الكتاب منشور في

I am Sorry !!!!!